

موضوعات معاصرة في أدب الأطفال العربي: دراسة تحليلية انتقائية

بحث جامعي لنيل شهادة الدكتوراه

الباحث

غلام نبي

تحت إشراف

الدكتور محمد قطب الدين



مركز الدراسات العربية والإفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي- 110067

2019



مركز الدراسات العربية والإفريقية

Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Culture Studies

Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110 067

जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली - 110067

Gram: JAYENU Tel. : +91-11 2670 4253, Fax : 91-11-2671 7525

Date: July 10, 2019

DECLARATION

I, hereby, declare that the material in this thesis entitled "Contemporary Themes of Children's Literature in Arabic: An Analytical Select Study" submitted by me is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Ghulam Nabi

(Research Scholar)

Supervisor

Dr. Md. Qutbuddin

CAAS/SLL&CS/JNU
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi - 110067

Chairperson

Prof. A. Basheer Ahmad

CAAS/SLL&CS/JNU
Chairperson
Centre for Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

مقدمة

إن أدب الأطفال هو الغذاء الروحي بالنسبة للطفل ومن أبرز المداخل التي من خلالها يطل الطفل على العالم الحقيقي ويكشفه لأول مرة. يعترف العديد من المثقفين والتربويين بتأثير أدب الأطفال على نمو الطفل الشامل وتشكيل الأيدولوجيات. تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان ولها تأثير كبير في حياته القادمة. في غضون هذه المرحلة، يتم تشكيل ملامح شخصية الطفل وينمو الكثير من قدراته الكامنة وأوصافه الشخصية وعاداته الاجتماعية. بما أن الأطفال بمثابة اللبنة الأولى من اللبنة الأساسية التي يبنى عليها المجتمع الإنساني، فإن تربيتهم وتنقيتهم على خطوات سليمة منذ نعومة أظفارهم أمر لا بد منه لكي يتمكن الأطفال من تحمل المسؤولية تجاه الأسرة والأمة والوطن والإنسانية في حياتهم المقبلة، بالإضافة إلى التصدي لتحديات أو مشاكل متعلقة بذواتهم والمجتمع بكل جرأة وبسالة في المستقبل.

إن الأمم السابقة ذات الحضارات الثابتة والآداب الرفيعة لم تهتم بتسجيل حياة الطفولة وآدابها. وكان الأطفال في العصور السالفة يعتمدون للتسلية والترفيه على القصص التي كتبت خاصة للكبار أو على الحكايات أو الأغاني الشفهية التي كانوا يسمعونها من الجدات والأمهات. ومع ظهور فكرة الطفولة الخاصة في العصر الحديث ظهر أدب الأطفال بمعناه الفني ومفهومه الجديد أولاً في أوروبا في أواخر القرن السابع عشر على يد الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو الذي أصدر كتاباً باسم "حكايات الأم الإوزة" عام 1697م. نالت هذه المجموعة القصصية شهرة واسعة في فرنسا ونقلت إلى اللغات الأوروبية الأخرى. وفي القرن الثامن عشر، ظهر الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" وانتشرت آراءه في تعليم الأطفال وتربيتهم. ولفت كتابه "إميل" الصادر في عام 1762م الأنظار إلى الاهتمام بدراسة الطفل كفرد مستقل. تطور أدب الأطفال في إنجلترا على يد جون نيو بري الذي أنشأ مكتبة خاصة للأطفال وكتب حوالي مئتي كتاب صغير بالإضافة إلى تبسيط العديد من القصص الشهيرة بما فيها قصة "روبنسون كروز" لدانيال ديفو لتسليّة الأطفال وإمتاعهم.

لعب الأخوان "يعقوب ووليم جريم" دورا رئيسيا في إرساء دعائم أدب الأطفال وتطويره في ألمانيا كما قدم رائد أدب الأطفال في أوروبا هانز كريستيان أندرسون إسهامات هائلة في تطوير أدب الأطفال في الدانمارك. وأخيرا بلغ أدب الأطفال في الولايات المتحدة قمة الكمال كما ونوعا. ورغم أن ظهر أدب الأطفال في العالم الغربي في إطار أخلاقي وديني وكان يغلب عليه اللون التعليمي والوعظي، ولكنه بدأ اللون التعليمي يتلاشى من صفحات أدب الأطفال منذ القرن التاسع عشر وظهر اتجاه جديد مبني على الموضوعات الأكثر دعابة ومناغمة لخيال الأطفال. وكسرت قصة "مغامرات أليس في بلاد العجائب" كافة التقاليد والقواعد الكتابية للصغار. وشهد أدب الأطفال في العالم الغربي عصره الذهبي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث تضمنت هذه الفترة نشر العديد من كتب الأطفال المعترف بها اليوم على أنها كلاسيكية.

إن أدب الأطفال في العالم الغربي شهد نقطة تحول فيما يتعلق بموضوعاته ومضامينه بعد منتصف القرن العشرين حيث برزت الواقعية في أدب الأطفال. وبدأ الكتاب يتناولون في كتاباتهم الموجهة للأطفال بكل صراحة موضوعات قد يجد الكبار صعوبة في التحدث عنها مع الأطفال. ووجدت الموضوعات مثل الحرب والموت والطلاق والعنف الأسري والتحرش الجنسي والتربية الجنسية والولادة وتعاطي المخدرات والإجهاض والتتمر وما إلى ذلك طريقها إلى صفحات أدب الأطفال كما وجد الأطفال المعاقون قضاياهم في أدب الأطفال وأدوا دورا رئيسيا في القصة. وبالإضافة إلى ذلك، ظهرت الموضوعات حول المحافظة على البيئة والاقتصاد والسياسة والإرهاب والأمراض ومشاكل وعواطف الأطفال المتنوعة من الغضب والفرح والحزن والخوف والغيرة بين الأشقاء وغيرها الكثير من الموضوعات. وبلغ الأمر إلى أن أدب الأطفال في العالم الغربي يتناول كل ما يخطر على البال من الموضوعات سواء كانت شائكة أو صعبة لأن الطفل في حاجة إليها ويمكن تقديمها للطفل بدون إلحاق أي أذى به إذا تم التعامل مع هذه الموضوعات بأسلوب شعري وعاطفي. وجدير بالذكر أن حركة النقد الأدبي في مجال أدب الأطفال وعنايات الحكومات الغربية بالأطفال وأدبهم وقراءة علم نفس الطفل وحاجاته عن كذب والثقافة السائدة لمراجعة كتب الأطفال ومناقشتها بشكل متكرر في وسائل الإعلام الرئيسية مهدت الطريق لكتاب

الغرب إلى تناول الموضوعات المتنوعة في أدب الأطفال الذي يعتبر وسيلة هامة لتنمية الأطفال الشاملة ونموهم الفعال.

ظهر أدب الأطفال في العالم العربي بعد سنوات كثيرة من ظهوره في البلدان الغربية. ورغم أن الأدب العربي كان مليئا بالقصص الرائعة والأساطير القديمة ولكن الأطفال العرب لم يجدوا قصة أو حكاية مكتوبة خاصة لهم بل كانوا يعتمدون على قصص الكبار للتسلية والترفيه. مع بداية النهضة الأدبية الحديثة في مصر بعد غزو نابليون عام 1798م، شهدت مصر لأول مرة نوعا جديدا من الأدب الذي كان يستهدف غرس القيم الأخلاقية والتعليمية في الأطفال، إلى جانب الأصناف المختلفة، من خلال الترجمة والتعريب في أعقاب اتصال العرب بالأوروبيين وآدابهم. قام رفاعة رافع الطهطاوي بدور هام في ترجمة القصص الكلاسيكية الأوروبية وإدخالها في المناهج الدراسية لقراءة الأطفال في مصر. وبالتالي، يعتبر ديوان "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" لمحمد عثمان جلال أول محاولة عربية مهدت الطريق للكتاب إلى إرساء دعائم أدب الطفولة في العالم العربي. ترجم فيه حكايات لافونتين الخرافية باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية بأسلوب وعظي وتعليمي.

أثناء دراسته في فرنسا، تعرف أمير الشعراء أحمد شوقي على أدب الأطفال وأعجب خاصة بالأديب الفرنسي لافونتين، فنظم بعض القصص والحكايات للأطفال على ألسنة الحيوانات والطيور على غرار حكايات لافونتين. ودعا شوقي الشعراء إلى الكتابة للأطفال ولكن دعوته لم تلق ترحيبا كبيرا. وتبعه علي فكري وإبراهيم العرب وغيرهما ولكن إنتاجاتهم كانت تقتصر على مواعظ دينية وأخلاقية. وبدأت الخطوة الجادة في مسيرة أدب الأطفال في مصر في العقد الثالث من القرن العشرين عندما ظهر اثنان من الرواد الأوائل لهذا النوع من الأدب، وهما محمد الهراوي وكامل الكيلاني. ففي عام 1922م أصدر الشاعر محمد الهراوي ديوانه الأول "سمير الأطفال للبنين" وديوانه الثاني "سمير الأطفال للبنات" في عام 1923م. وأوقد أشعة عربية ناضجة في ميدان أدب الأطفال ليمهد السبيل للمبدعين الجدد في المجال الإبداعي للطفولة. وفي عام 1927م نهض الأديب كامل الكيلاني كأكبر رواد أدب الأطفال العربي، وبدأ ينشر القصص للصغار في القاهرة والتي كانت مترجمة عن الكتب الأوروبية، ولكنه سرعان ما أخذ يؤلف القصص للأطفال من

إبداعه، فأصدر قصته "السند باد البحري" كأول محاولة قصصية حديثة يقوم بها أديب عربي بالتأليف للطفل خارج المقررات الدراسية. استمر الكيلاني في تأليف القصص للأطفال حتى بلغ عدد قصته حوالي مئتي قصة يركز معظمها على القيم الأخلاقية والدينية والخرافات والأساطير أو على الفكاهة والحيوانات.

والحق أنه بدأ أدب الأطفال كنوع أدبي معترف به ينتشر في العالم العربي منذ ستينات القرن العشرين فصاعداً. وأدخل أدب الأطفال كموضوع منفصل في بعض الجامعات والكليات. وافتتحت عدة مكاتب للأطفال في أنحاء العالم العربي وأنشأت دور النشر العربية قسماً خاصاً لإنتاج كتب الأطفال في البلاد العربية المختلفة مثل "دار الفتى العربي" في لبنان و"دائرة ثقافة الطفل" في العراق و"دائرة المعارف" في مصر. وجاء الكثير من مجلات الأطفال إلى حيز الوجود. ظهر العديد من الكتاب والشعراء إلى منصة أدب الأطفال مثل يعقوب الشاروني وأحمد نجيب وعبد التواب يوسف وخليل السكاكيني وعمر فروخ وروز غريب ويعقوب إسحاق وزكريا تامر وسليمان العيسى وغيرهم في مختلف البلدان العربية وعرضوا إبداعاتهم المتنوعة من القصص والدراما والأغاني والأناشيد للأطفال. وقاموا بتبسيط العديد من الأعمال الكلاسيكية العربية مثل "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" وقدمت للأطفال في شكل قصص قصيرة. بدأ العلماء يقومون بأعمال البحث في مجال أدب الأطفال. وكل هذا، أدى إلى تقوية دعائم أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي.

وبجانب ذلك، شهد أدب الأطفال في العالم العربي نقطة تحول واتجاهاً جديداً في شكله الخارجي والداخلي بعد التسعينات من القرن العشرين. وإن الاحتفال بـ "السنة العالمية للطفل" عام 1979م وبدء البرنامج "التعليم للجميع" عام 1990م وحركة تشجيع حقوق الطفل وبرامج الإصلاح التربوي في ضوء علم نفس الطفل والتطورات السياسية والاجتماعية على الصعيدين العربي والعالمية نتجت عن نشر الوعي بين العرب بأهمية أدب الأطفال في تربيتهم وتثقيفهم كما ساعدت على تغيير أساسي في مضامين كتب الأطفال ومظهرها الخارجي. وازداد اهتمام الحكومات بأدب الأطفال في سائر أنحاء العالم العربي وتكثفت المؤتمرات والندوات والمعارض والمهرجانات العربية والدولية حول أدب الأطفال كما برزت الجوائز المتعددة الخاصة بأدب الأطفال على المستوى القومي والعربي لتشجيع الكتاب على الإتيان بالجودة والنوعية في أعمالهم الموجهة للأطفال.

قطعت صناعة كتاب الطفل العربي شوطا كبيرا في السنوات الأخيرة وأنتجت كتب الأطفال المصورة ذات الألوان الجذابة حسب المراحل العمرية المختلفة للأطفال ولعب الرسامون الموهوبون العرب من الجيل الجديد دورا كبيرا في إعطاء كتب الأطفال أفقا جديدا من ناحية الشكل والمظهر.

أما من ناحية الموضوع والمضمون، فشهد أدب الأطفال العربي اتجاهات حديثة في موضوعاته في السنوات الأخيرة. تغيرت وجهات نظر الكتاب المعاصرين تجاه الطفل، فيرونه الآن كفرد مستقل يتمتع بعالم خاص ويفرح ويحزن ويقلق ويواجه المشاكل والتحديات مثل الرجال. وبدأ يختارون موضوعات أعمالهم الأدبية من بيئة الطفل ومحيطه وكل ما يتعلق بفرحه وحزنه وقلقه آخذين في الاعتبار الجوانب النفسية للأطفال. كانت دائرة موضوعات أدب الأطفال العربي قبل التسعينات من القرن العشرين ضيقة ومحدودة وتدور عامة حول موضوعات تقليدية من الأخلاق والتعليم والدين والوطن والأساطير والخرافات وغيرها بشكل متكرر وبقالب تقليدي. ولكن السنوات الأخيرة شهد تنوعا في موضوعات أدب الأطفال. وبالإضافة إلى المضامين والموضوعات الرائجة منذ العصور، برزت بعض المواضيع الجديدة التي لم يتم التطرق إليها من قبل مثل المحافظة على البيئة والإعاقة والانتخابات والتنمر والتسامح والخيال العلمي بمفهومه الفني كما تطرق بعض الكتاب المعاصرين ضمن الاتجاه الجديد إلى الموضوعات الواقعية والمشاكل الاجتماعية من وجهة نظر الطفل مثل الطلاق والحرب والمساواة بين الطفل والبنات والتدخين والمخدرات وما إلى ذلك لتوعية الأطفال وتخفيف آلامهم وإعدادهم لمواجهة أية مشكلة ممكنة الوقوع في حياتهم القادمة.

وأخيرا، وجدت الموضوعات المحرمة والحساسة طريقها إلى صفحات أدب الأطفال، فظهرت بعض القصص حول الموت والتحرش الجنسي وتساؤلات الصغار الحرجة مثل الولادة وغيرها في أدب الأطفال كما ظهر اتجاه جديد لكتابة الرواية والقصة لفئة اليافعين خاصة في السنوات الأخيرة. وجدير بالذكر أن هذا الاتجاه الجديد ظهر أيضا في شعر الأطفال حيث دخلت قصائد الأطفال إلى عالم الطفولة وظهرت بعض الموضوعات الجديدة مثل القضايا الاجتماعية والبيئية ومظاهر الطبيعة والقضايا الوطنية والعروبة والوحدة العربية ومعاناة الحرب وما إلى ذلك في شعر الأطفال كما نشعر بعواطف الأطفال وأحاسيسهم الصادقة في الأشعار الموجهة لهم.

ذات مرة قرأت مقالة كتبها عميد أدب الأطفال العربي الأستاذ يعقوب الشاروني حول اتجاهات حديثة في موضوعات قصص الأطفال في الدول الغربية وحث الأستاذ الباحثين العرب على تناول هذا الجانب في أدب الأطفال العربي أيضا. وبما أنني قد حصلت على شهادة البكالوريوس في التربية وكنت مطلعا على بعض النواحي لعلم النفس التربوي، فزاداد رغبتني في

الموضوع وبدأت القراءة حوله. في أول الأمر، بدا لي أن أدب الأطفال العربي أيضا يشهد تغيرات واتجاهات جديدة فيما يتعلق بموضوعاته ومضامينه على يد بعض الكتاب المعاصرين. وهذا ما حثني على اختيار موضوع البحث للدكتوراه حول أدب الأطفال العربي فاخترت الموضوع: "موضوعات معاصرة في أدب الأطفال العربي: دراسة تحليلية انتقائية". وبما أن الموضوع واسع جدا ولا يمكن الإحاطة بكل ما يكتب من الموضوعات في أدب الأطفال العربي، اخترت بعض الكتاب والشعراء المعاصرين من الدول العربية المختلفة والذين يمتازون بإنتاجاتهم القيمة في مجال أدب الأطفال أو فازت أعمالهم بجائزة أدب الأطفال في الدول العربية وخارجها أو هم يكتبون حول موضوعات جديدة لم يتم التطرق إليها من قبل.

وقد قسمت هذه الأطروحة إلى أربعة أبواب بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة. وكل باب يشتمل على ثلاثة فصول. يحتوي الفصل الأول من الباب الأول على الحديث عن مفهوم وتعريف أدب الأطفال ونشأته وتطوره في الدول العربية عبر المراحل المختلفة ابتداء من مصر بعد اتصال العرب بالغرب وآدابهم من خلال البعثات العلمية إلى فرنسا والدول الغربية الأخرى بعد النهضة الأدبية بمصر في العصر الحديث. وتحدثت أيضا عن ظهور اتجاه جديد واهتمام متزايد بأدب الأطفال في العالم العربي منذ التسعينات من القرن العشرين فصاعدا بأسباب عديدة ساعدت الدول العربية على خلق بعض الجودة والنوعية في أدب الأطفال شكلا ومضمونا. وبالإضافة إلى هذا، جرى النقاش أيضا حول معنى الطفل لغة واصطلاحا والفرق الأساسي بين أدب الأطفال وأدب الكبار والحديث عن أدب اليافعين في الأدب العربي. وفي الفصل الثاني تحدثت عن أهمية أدب الأطفال وأهدافه المختلفة بالإضافة إلى ذكر خصائص أدب الأطفال وميزاتها البارزة التي يجب أن يتحلى بها أدب الأطفال. وفي الفصل الثالث كتبت عن مراحل نمو الطفل المختلفة وخصائصها في ضوء علم نفس الطفل حيث تعد معرفة سيكولوجية الأطفال وحاجاتهم في مراحل عمرهم المختلفة من الأمور اللازمة التي يجب أن يطلع عليها الكتاب عند كتابة الأعمال الأدبية للأطفال.

أما الباب الثاني فهو يتناول أشكال أدب الأطفال المختلفة وأعلامه الكلاسيكيين والمعاصرين وموضوعاته في كتاباتهم. ففي الفصل الأول ذكرت بقدر من التفصيل أشكال أدب الأطفال المختلفة من القصة والشعر والمسرحية مع أنواعها المختلفة. وفي الفصل الثاني تحدثت عن بعض الأعلام الكلاسيكيين في مجال النثر والشعر مثل أحمد شوقي ومحمد الهراوي وكامل

الكيلاي وإسهاماتهم القيمة في تطوير أدب الأطفال العربي. قمت بدراسة بعض أعمالهم الهامة و الموضوعات العامة في كتاباتهم الموجهة للأطفال. ولاحظنا من خلال الموضوعات أن نظرية الكتاب تجاه الطفل لم تتغير بل هو صورة مصغرة للرجل. فدائرة الموضوعات ضيقة وتدور عامة حول الموضوعات الأخلاقية والتعليمية والدينية وغيرها بشكل متكرر ولم تجد القضايا الاجتماعية وقضايا الأطفال ومشاكلهم تمثيلا مناسباً كما يتصف معظمها باللون التعليمي والوعظي. وفي الفصل الثالث جرى الحديث عن بعض الأعلام المعاصرين من الدول العربية المختلفة مثل يعقوب الشاروني وفاطمة شرف الدين وسمر محفوظ براج وسليمان العيسى وغيرهم. ومن خلال استعراض الموضوعات في كتاباتهم يبدو أن نظرة الكتاب العرب تجاه الأطفال في السنوات الأخيرة بدأت تتغير، فهم الآن أطفال أذكىء ويستطيعون مواجهة التحديات والمشاكل. ونجد التنوع والجدة في الموضوعات مثل المحافظة على البيئة والخيال العلمي والإعاقة والقضايا المتعلقة بعواطف الأطفال ومشاعرهم بأسلوب ممتع وطريف بالإضافة إلى بعض الموضوعات الحساسة الواقعية مثل الطلاق والحرب والتحرش الجنسي والموت والمرض وما إلى ذلك.

والباب الثالث يتحدث عن أدب الأطفال في بعض الدول الغربية والموضوعات التي يتناولها الكتاب الغرب في كتاباتهم للأطفال كما يتناول هذا الباب علاقة التأثير والتأثر في أدب الأطفال الغربي وأدب الأطفال العربي. ففي الفصل الأول، جرى الحديث عن بداية أدب الأطفال في بعض الدول الغربية ابتداءً من فرنسا التي يرجع إليها فضل إنشاء أدب الأطفال في العصر الحديث. ثم تناولت بداية أدب الأطفال وتطوره في كل من بريطانيا وألمانيا والدانمارك والولايات المتحدة. وتحدثت عن الإسهامات القيمة للأدباء البارزين مثل الأب الحقيقي لأدب الأطفال جون نيوبيري من بريطانيا والأخوين غريم من ألمانيا، وهانز كريستيان من الدانمارك في تطوير أدب الأطفال في العالم الغربي. وفي الفصل الثاني قمت بدراسة مفصلة حول موضوعات أدب الأطفال التي بدأت في الجو التعليمي والوعظي ولكنها خُطت خطوات كبيرة في السنوات القادمة خاصة بعد منتصف القرن العشرين بسبب دراسة مكثفة في مجال علم نفس الطفل وبروز الاتجاه الواقعي في أدب الأطفال. لم يبق أي موضوع خارجاً من نطاق أدب الأطفال بل كسرت التقاليد وتنوعت موضوعاته وأساليبه حتى شمل أدب الأطفال الموضوعات الجديدة والحساسة من الموت والتحرش

الجنسي والطلاق والحرب والإرهاب والاقتصاد والإعاقة والمحافظة على البيئة بالإضافة إلى موضوعات تساعد الأطفال على التعبير عن أنفسهم وتزودهم بمهارات التأقلم والتغلب على مشاكلهم النفسية والذاتية والاجتماعية. وفي الفصل الثالث قمت بدراسة التأثيرات الغربية على أدب الأطفال العربي من ناحية الشكل والمضمون كما تحدثت عن قفزة نوعية يقطعها أدب الأطفال العربي ضمن الاستفادة من الآداب الغربية والمحاولات الجادة تجاه أدب الأطفال على مستوى الحكومة والشعب في السنوات الأخيرة.

والباب الرابع والأخير، يقوم بدراسة مفصلة حول الموضوعات المعاصرة في أدب الأطفال العربي من النثر والشعر وتحليل بعض الموضوعات المعاصرة الهامة مع الإشارة إلى جانبها الإيجابي والسلبي. تناول الفصل الأول بعض الموضوعات المعاصرة التي عالجه الكتاب المنتخبون من الدول العربية المختلفة في قصصهم الموجهة للأطفال. ومن بينها موضوع ديني وتاريخي وسياسي ووطني وعلمي واجتماعي واقعي وما إلى ذلك. بعد التسعينات من القرن العشرين شهد أدب الأطفال العربي اتجاها جديدا فيما يتعلق بمحتوياته ومضامينه فتتوعدت موضوعاته ووجدت الموضوعات الحساسة والجديدة مثل التحرش الجنسي والطلاق والموت والإعاقة والحرب طريقها إلى أدب الأطفال. وفي الفصل الثاني كذلك تحدثت عن الموضوعات المعاصرة التي تناولها الشعراء المنتخبون من الدول العربية المختلفة في أعمالها الشعرية الموجهة للأطفال مثل الموضوعات المتعلقة بالدين والوطن والاجتماع والعروبة والوحدة العربية والتعليم والترفيه وما إلى ذلك. شهد شعر الأطفال أيضا في السنوات الأخيرة بعض التجديدات في مضامينه وأساليبه حيث دخلت الموضوعات الجديدة مثل المحافظة على البيئة ومعاونة الحرب وما إلى ذلك في شعر الأطفال كما نشعر بعواطف الأطفال وأحاسيسهم الصادقة في الأشعار الموجهة لهم. وفي الفصل الثالث قمت بتحليل بعض الموضوعات المعاصرة من النثر والشعر وأشرت إلى جانبها الإيجابي والسلبي.

وفي نهاية المطاف خاتمة البحث التي تهتم بتقديم ما توصل إليه البحث من خلال سفره الطويل وتشير إلى بعض النقاط الهامة. وقد استندت في كتابة هذه الأطروحة من المؤلفات

والكتب المكتوبة أساسيا حول الموضوع باللغتين العربية والإنجليزية، وكذلك استقدت من البحوث والمقالات المطبوعة والإلكترونية التي كتبها المثقفون والباحثون في مختلف أقطار العالم ولو قد تحملت في سبيلها صعوبات وتحشمت مشكلات كثيرة.

وبهذه المناسبة، أقدم أصدق عبارات الشكر وأعرق معاني التقدير وأطيب آيات الدعاء إلى مشرفي وأستاذي الأستاذ محمد قطب الدين المحترم الذي أمدني بملاحظاته السديدة وتوجيهاته القيمة أثناء كتابة هذه الأطروحة، وأدعو له بالخير والصحة، فكان موجها ومشرفا مرغوبا فيه. وكذلك أقدم الشكر إلى جميع الأساتذة الكرام في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي. وأشكر كذلك لمؤظفي المكتبات بجامعة جواهرلال نهرو والجامعة المليية الإسلامية وجامعة دلهي وجامعة علي كره الإسلامية.

غلام نبي

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

12 يوليو 2019

الباب الأول

أدب الأطفال العربي: النشأة والتطور، الأهمية، الغاية والخاصية، ومراحل نمو الطفل المختلفة
وخصائصها

الفصل الأول: نشأة أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي

الفصل الثاني: أدب الأطفال العربي: أهميته، أهدافه، غاياته، وخصائصه

الفصل الثالث: مراحل نمو الطفل المختلفة وخصائصها

الفصل الأول

نشأة أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي

يعتبر أدب الأطفال من أبرز المداخل التي من خلالها يطل الطفل على العالم الحقيقي ويكشفه لأول مرة. يعترف العديد من المتقنين والتربويين بتأثير أدب الأطفال على نمو الطفل الشامل وتشكيل الأيدولوجيات. تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان ولها تأثير كبير في حياته القادمة. في غضون هذه المرحلة، يتم تشكيل ملامح شخصية الطفل وينمو الكثير من قدراته الكامنة وأوصافه الشخصية وعاداته الاجتماعية. الأطفال هم اللبنة الأولى من اللبنة الأساسية التي يبنى عليها المجتمع الإنساني، فإن تربيتهم وتنقيفهم على الخطوات السليمة تجعلهم قادرين على تحمل المسؤولية تجاه الأسرة والأمة والوطن والإنسانية في حياتهم المقبلة، بالإضافة إلى التصدي لتحديات أو مشاكل متعلقة بذاتهم والمجتمع بكل جرأة وبسالة في المستقبل.

في كل فترة من مراحل التاريخ الإنساني، مازال الأطفال يعتبرون أعلى تراث الأمم والمجتمعات، ولهم أهمية كبيرة في حياة كل المجتمعات، وكلما تقدم المجتمع في مضمار الحياة زاد اهتمامه بأطفاله، وزادت أوجه الرعاية التي يقدمها للأطفال لأنهم أمل الحياة ورجال الغد وقادة المستقبل وقلادات الأكياد. يشعر الإنسان بالسعادة والطمأنينة والراحة عندما يراهم سعداء، فسعادة الأطفال جزء لا يتجزأ من سعادة الإنسان، كما ورد في القرآن الكريم "المال والبنون زينة الحياة الدنيا"¹. ولذلك، فإن الاهتمام بتنشئتهم وحمايتهم وتعليمهم وتربيتهم على خطوات سليمة كانت دائماً على رأس جدول أعمال والديهم وأولياء أمورهم كما نراه في عصرنا هذا.

ومازال يزداد الاهتمام بالأطفال وحياتهم مع مرور الأيام حتى سبق الأوروبيون في تقديم المواد المكتوبة لأطفالهم بهدف التعليم والتربية، حيث ظهر أول ما كتب من أدب خاص بالأطفال في العصر الحديث بفرنسا في أواخر القرن السابع عشر.² وعقب الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا أولاً خلال القرن الثامن عشر، حدثت تغيرات كبيرة في كافة مجالات الحياة من السياسة والاقتصاد والتعليم وغيرها. ومع ظهور فكرة الطفولة الخاصة في أواخر القرن السابع عشر،

¹ - سورة الكهف، الآية: 46.

² - الحديدي، الدكتور علي: في أدب الأطفال، ص 44.

والدراسات الحديثة في مجال علم النفس وخاصة النظريات الجديدة المتعلقة بعلم نفس الطفل ومراحل نموه المختلفة، أصبح أدب الأطفال وسيلة هامة لتنمية قدرات الأطفال الابتكارية، وذريعة مؤثرة لتربيتهم وتنقيتهم وتسليةهم حتى صار ضرورة قومية ووطنية في عصرنا الراهن.

ظل الطفل العربي محروما من الأدب الخاص المكتوب له لقرون طويلة³، ورغم وجود إرهاصات أدب الأطفال في التراث العربي، ظهر الأدب المكتوب الموجه إلى الأطفال في العالم العربي بعد سنوات كثيرة من ظهوره في البلدان الأوروبية. وقبل أن نتحدث عن نشأة وتطور أدب الأطفال في العالم العربي، من الضروري أن نشير إلى بعض الأمور التي يجب أن نعرفها أولا قبل الخوض في غمار بحث تاريخ أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي كما يندرج في الآتي:

- من هم الأطفال؟.
- مفهوم وتعريف أدب الأطفال.
- الفرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار.
- ما هو أدب الناشئين؟ أهو جزء من أدب الأطفال أم لا؟.

الطفل في اللغة:

لم تختلف كتب اللغة القديمة والحديثة في تعريفها لمادة "طفل"، فجاءت بمجملها متقاربة في المعنى شكلا ومضمونا مع اختلاف باستخدام الألفاظ. فلفظ "أطفال" جمع "طفل" و"طفلة"، و"الطفل" في لسان العرب "الصغير من كل شيء"⁴، وشبيه ذلك في القاموس المحيط⁵، وفي المختار هو المولود، وولد كل وحشية أيضا "طفل"⁶، وحدد الوسيط أن الطفل هو المولود ما دام نعما رخصا.⁷ وفي معجم اللغة العربية: "جنته والليل طفل" أي في أوله، إنه يسعى في أطفال الحوائج (والطفل) سقط النار، أي الشرارة، تطايرت أطفال النار، عشب طفل أي لم يطل، والجمع أطفال.⁸ وذكر معجم عين الفعل أن النبات إن لم يطل فهو طفل.⁹ أما الطفولة والطفولية فهي

³ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 6.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 401.

⁵ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 4، ص 7.

⁶ - الرازي، مختار الصحاح، ص 165.

⁷ - ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 40.

⁸ - مجموعة المؤلفين، معجم اللغة العربية، ط 1، ج 6، ص 860.

"المرحلة من الميلاد حتى البلوغ".¹⁰ وهكذا ورد في المعجم الوسيط.¹¹ وجاء في لسان العرب أن الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم".¹²

وعلى هذا النمط أو مايمثله يسرد أصحاب المعاجم إيضاحات وتعريفات لغوية لمادة طفل، وهي بمجملها تفيد معنى متشابهها لا يخرج عن كونه دلالة على الصغر إذا نعتت به الأشياء أو للدلالة على مرحلة زمنية من عمر الإنسان، تلي المرحلة الجنينية أي منذ أن يخرج الإنسان من رحم أمه وليداً إلى مرحلة البلوغ التي تدخل الإنسان تحت مظلة التكليف الشرعي، لأن خطاب التكليف لا يتناول غير مكلف، ولا خلاف في ذلك في الواجبات الشرعية¹³، إذا كان خالياً من العيوب العقلية. أما الطفل في مصطلح الفقهاء فهو الإنسان غير البالغ المكلف، وقد حدد الله تعالى مرحلة التكليف مع بداية البلوغ بقوله: "وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم".¹⁴ ومن هنا يظهر أن الطفل غير البالغ شرعاً هو الإنسان غير المكلف ويعامل في الإسلام معاملة خاصة ومميزة إلى وقت بلوغه فينطبق عليه بعد ذلك جميع التكاليف الشرعية.

الطفل في المصطلح

الطفل في أبسط تعريفاته هو "كل إنسان لا يزيد عمره على أربعة عشر عاماً".¹⁵ فإن الطفل المقصود هو الإنسان، ويخرج بهذا التعريف كل المخلوقات الأخرى. وبسبب كونه ابن أربعة عشرة من عمره، فلا يحيط بالذين هم تجاوزوا هذا العمر. وهو أمر لم يتفق عليه جميع المراجع، حيث ضم بعضها مرحلة المراهقة التي تمتد إلى أواخر العقد الثاني من عمر الإنسان. فالطفل كما عرفه بعضهم: "هو ذلك الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد بعد، وفي ضوء هذا التعريف فإن الطفولة تمتد من الميلاد حتى ما بعد سن العشرين وهي السن التي يبلغ معظم البشر نضجهم البدني الكامل".¹⁶

⁹ - إلباس، جوزيف وناصيف، جرجس، معجم عين الفعل، ط 1، ص 279.

¹⁰ - مجموعة مؤلفين، معجم اللغة العربية، ص 820.

¹¹ - معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 560.

¹² - ابن منظور، لسان العرب، ص 402.

¹³ - الشوكاني، محمد بن علي، الدراري المضية، شرح الدرر البهية في المسائل الفقهية، ص 7.

¹⁴ - سورة النور، الآية: 59.

¹⁵ - مجموعة مؤلفين، المؤتمر الدولي حول الطفولة في الإسلام، جامعة الأزهر، القاهرة، ص 237.

¹⁶ - مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف العالمية (وورد بوك)، ج 15، ص 592.

وهذا التعريف يرفع مرحلة الطفولة إلى ما بعد العشرين من عمر الإنسان ويقيدها بالنضج البدني دون اعتبار للنضج العقلي والنفسي والوجداني. وطبقا لاتفاقية حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة، يعني الطفل كل إنسان يقل عمره عن ثمانية عشر عامًا، ما لم يتم الحصول على الأغلبية بموجب القانون الساري على الطفل.¹⁷ ويرى بعض المتخصصين أن "الطفولة معنى جامع يضم الأعمار ما بين المرحلة الجنينية ومرحلة الاعتماد على النفس، والطفولة تعبر بالفرد من حالة العجز التام والاعتماد على الآخرين عند الميلاد إلى تلك المرحلة الفارقة التي يتاح عندها قسط بين اعتماد الفرد على نفسه واضلاعه بنشاط إنتاجي وابتكاري فعال لاستعداداته وقدراته الشخصية، وما يتوافر في مجتمعه من متطلبات التطبيع الاجتماعي والتربية والرعاية الصحية وغيرها، وهذا يعني أن طول مرحلة الطفولة يتفاوت من جيل إلى جيل آخر، ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى، ومن مجتمع إلى مجتمع، طبقا لمتطلبات الحياة وطبيعتها (بدائية - ريفية - صناعية إلخ...) في بيئة الفرد وما يحيط به من ظروف خاصة".¹⁸ وي طرح النص السابق الذي يقدم صورة واقعية للطفولة - كما يبدو لنا - عددا من النقاط المهمة التي من المفيد التوقف عندها قليلا.

على الرغم من ارتباط الطفولة بالجانب العضوي فإنها أشد التصاقا بالجانب النفسي الفردي لأن الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث تكوين كل منهم، وأنه لا يوجد فردان متشابهين تشابها تاما على الإطلاق، بل لكل شخص طابعه الفريد الذي يميزه عن غيره. وهذه الفروق بطبيعة الحال تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر، تأتي أولا من طبيعة الإنسان نفسه ومدى استعداده النفسي، ومن ثم من محيطه الذي يغرس في نفسه عادات وقيما، مع الاعتبار هنا أن هذا المحيط لم يعد في عصرنا ذلك المحيط التقليدي من بيت وأسرّة ومجتمع ضيق، فقد تجاوز الإنسان هذا الحد كثيرا، وأصبح العالم كله محيطا بالفرد كالأسرّة الصغيرة على ضوء التطورات التقنية الكبيرة التي لم يعرف الإنسان لها نظيرا في الأزمنة السابقة.

وبما أن مجتمعاتنا الحديثة بما حوته من تدفق كبير للمعلومات وبما أنتجته من وسائل تسهيل أساليب العمل وبالتالي إمكانية الاعتماد على النفس، بات فيها ممكنا على الشاب أو الشابة

¹⁷ - اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل، رقم مادة 1، 20 نوفمبر، عام 1989م.

¹⁸ - مجموعة مؤلفين، الطفل والمجتمع، ص 170.

الاعتماد على النفس في قضاء الأمور، بما يتلاءم مع السن والمسئولية دون وضع سقف محدد لهذه السن، لأن القضية مرتبطة بالوعي الفكري وليست مرتبطة بالشكل العضوي.¹⁹

ومن هنا يمكن أن نقدم تعريفا مختصرا للطفولة بأنها المرحلة التي تعقب الولادة مباشرة وتستمر حتى مرحلة الوعي الكامل والقدرة على اتخاذ القرار والقيام بالمسئوليات، وهي غالبا ما تكون بعد مرحلة البلوغ بسنوات قليلة.

ما هو أدب اليافعين والناشئين؟ أهو جزء من أدب الأطفال أم لا؟

لم تكن المكتبات العربية تضم بين جنباتها قسما خاصا بأدب اليافعين. لكن العقد الأخير شهد في العالم العربي زيادة كبيرة في الإنتاج العربي الذي يخاطب الناشئين العرب. وجاءت هذه الزيادة ببطء ولكن بخطى ثابتة كما ترى الناقدة الشهيرة مارسيا لينكس كويلي في مقالة لها نشرتها على موقع قنطرة الإلكتروني بعنوان "انعطافة كبرى في الروايات الموجهة للناشئ العربي".²⁰ بدأت الموجة الجيدة من الأعمال الأدبية الموجهة لليافعين والمراهقين قبل ثلاثة عشر عاما، ربما عام 2005 برواية "الملجأ" للأديب اللبناني الشهير سماح إدريس. ومنذ ذلك الحين، بدأ الكتاب العرب بمن فيهم الكاتبات العربيات فاطمة شرف الدين، سمر محفوظ براج، وتغريد عارف النجار، وأحلام بشارت وغيرهن كتابة القصص التي تستهدف شريحة الأطفال من اليافعين. وبالإضافة إلى هذا، في عام 2013م، عاد من جديد أدب اليافعين ليشهد دفعة جديدة، وذلك بإطلاق "جائزة أفضل كتاب لليافعين" في "جائزة اتصالات لكتاب الأطفال".

فهل أدب اليافعين جزء من أدب الأطفال أم أنه أدب مستقل؟ حاول الباحث بكل ما في وسعه ولكنه لم يتمكن من العثور على كتاب أو بحث يتناول الموضوع من هذه الناحية باللغة العربية. ففي كتاب "معايير قياس جودة كتب الأطفال" كتب الدكتور إسماعيل عبد الفتاح حول الموضوع بغاية من الإيجاز في صفحة واحدة وذكر التساهل الموجود عند الأدباء حول تعيين الحدود الزمنية بين الطفولة والمراهقة والرشد. وأخيرا وصل إلى النتيجة أن أدب الناشئين واليافعين

¹⁹- البكري، الدكتور طارق، مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، ص 27.

²⁰- كويلي، ماريا لينكس، انعطافة كبرى في الروايات الموجهة للناشئ العربي، موقع قنطرة الإلكتروني، عام 2017م.

هو جزء من أدب الأطفال.²¹ وفي الحقيقة، نظرا إلى المعاني التي وردت في المعاجم العربية لكلمة الناشئ واليافع مثل الناشئ هو "الغلام أو الجارية جاوز حد الصغر"²²، واليافع "من شارف الاحتلام، وهو دون المراهق"²³، وأخذا مراحل الطفولة الأخيرة بعين الاعتبار يمكننا القول إن أدب الناشئين أو اليافعين هو جزء من أدب الأطفال، ولكنه الجزء الأخير الذي قد يحتاج أفراده لأدب الكبار ليستطيعوا التكيف مع حياة الكبار بعد سنوات قليلة. وبالإضافة إلى الدكتور إسماعيل عبد الفتاح، أعربت الدكتورة إيمان البقاعي أيضا عن نفس الرأي بهذه الكلمات: "فيكون أدب الناشئة أو أدب الشباب أو أدب الفتيان هو الشامل لمراحل المراهقة وإن استخدم اصطلاح "أدب الأطفال" أحيانا ليدل على أدب الأطفال والناشئة معا باعتبار المراهقة مرحلة من مراحل الطفولة".²⁴

ما الفرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار؟

أدب الأطفال هو مصطلح جديد وحديث النشأة، لم يتبلور هذا المصطلح في أدبنا العربي الحديث إلا بعد الثلاثينات من القرن العشرين.²⁵ إن مسئولية الكتابة للأطفال تقع على عواتق الكبار، فهم يكتبون نتاجا أدبيا للصغار ويخلقون أدب الأطفال، ولكن الصغار، في الحقيقة، هم الذين يكتبون لذلك الإنتاج الأدبي الخلود والدوام، فلهم أهمية كبيرة في هذا الصدد. وطبعاً، هناك بعض الأمور يشترك فيها أدب الأطفال مع أدب الكبار، ويختلف في بعضها. يهدف كلا الأدبين أساساً إلى توفير المتعة والسرور لقارئهما. وأدب الأطفال من حيث الأدب فهو لا يختلف من أدب الكبار، وينطبق عليه كل ما ينطبق على أدب الكبار من العناصر والمقومات الأساسية للفن. فيتخذ أدب الأطفال أشكالاً عديدة من القصة والشعر والمسرحية مثل أدب الكبار، ويتناول موضوعات متنوعة. يقول الدكتور الحديدي: "ومن الخطأ أن يتخيل أحد أن "مادة أدب الأطفال" منفصلة عن أدب الكبار، أو أنها نشأت منعزلة عن التيار الأدبي العام، أو يظن ظان أنها تقوم بمقاييس تختلف عن مقاييس أدب الكبار".²⁶

²¹ - عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل وحسن، رانية، معايير قياس جودة كتب الأطفال، ص 18.

²² - مجموعة المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 920.

²³ - نفس المصدر، ص 1065.

²⁴ - البقاعي، الدكتورة إيمان، قصة الأطفال والناشئة في لبنان، ص ص 19-20.

²⁵ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 12.

²⁶ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 69.

ورغم ذلك، هناك فرق واضح بين أدب الأطفال والكبار من بعض الوجوه الأخرى، لأن أدب الأطفال يوجه إلى فئة خاصة من الأطفال، تتميز بمستويات عقلية معينة، وبإمكانات وقدرات نفسية ولغوية ووجدانية تختلف عن الكبار فتجارب الطفولة وميزاتها محددة، وآفاقها التخيلية واسعة رحبة لا تحدها حدود، ولا تحاصرها قيود الكبار وضوابطهم. وتختلف وسائل الأطفال في البحث والتفكير والتحليل والاستيعاب عن وسائل الكبار الناضجة التي يكتسبونها بالمران والتجربة الطويلة والثقافات المتنوعة. فيختلف أدب الأطفال من أدب الكبار من ناحية المستوى العقلي، والهدف التربوي، والموضوع، واللغة، والأسلوب، ويجب على كاتب الأطفال أن يراعي هذه الخصائص الطفولية والشروط السابقة عند الكتابة للأطفال. يقول الدكتور اسماعيل الفتاح: "إن أدب الكبار تبذعه القرائح، وفي ظل مطالب الحياة تتم عملية الإبداع، دون شروط سابقة، أما أدب الأطفال فإنه يصاغ في ظل شروط سابقة، وينطوي على التوجيه وبت التوجهات في المتلقين، كما أن مبدع أدب الأطفال لا يعيش تجربة بشرية كاملة، وإنما يعيش موقفاً تربوياً".²⁷ وسيوضح الفرق مزيداً بين أدب الأطفال والكبار في الصفحات التالية عندما نذكر أهداف وخصائص أدب الأطفال.

مفهوم وتعريف أدب الأطفال:

يعد الأدب بصفة عامة من أهم الفنون الرائعة الجميلة التي تدفع إلى المتعة، وتعمل على توحيد المشاعر الإنسانية وتغذي العواطف بأفضل النزاعات، وتعبّر عما ندفنه في أعماقنا وقد نخجل من البوح بها وتصور في صدق أصالة الحياة وتثري تجاربنا بها وترسخ خبراتنا عنها.

يجمع معظم الباحثين والدارسين على أن أدب الأطفال القائم اليوم وفق الأطر الفنية والشكلية ومراعاة الحالة الاجتماعية والنفسية وغيرها هو أدب مستحدث وفرع جديد من فروع الأدب الرفيعة يمتلك خصائص تميزه عن أدب الكبار، رغم أن كلا منهما يمثل آثاراً فنية يتحد فيها الشكل والمضمون، وإذا أريد بأدب الأطفال كل ما يقال إليهم بقصد توجيههم فإنه قديم قدم التاريخ البشري، حيث وجدت الطفولة²⁸. أما إذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط

²⁷ - عبد الفتاح، الدكتور اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 26.

²⁸ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 79.

نفسية واجتماعية وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال، فإنه- في هذه الحالة- لا يزال من أحدث الفنون الأدبية.²⁹

ونقدم هنا تعريفات متعددة لأدب الأطفال لكي نصل إلى مفهوم أدب الأطفال الشامل والسائد بين الأوساط العلمية والأدبية. قسم أحمد نجيب أدب الأطفال إلى نوعين نظرا إلى ماهية الأدب: المعنى العام لأدب الأطفال، والمعنى الخاص لأدب الأطفال، فيقول: " المعنى العام لأدب الأطفال وهو ما يدل على الإنتاج العقلي المدون في الكتب في شتى فروع المعرفة. والمعنى الخاص لأدب الأطفال وهو يعني الكلام الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء كان شعرا أم نثرا وسواء كان شفويا بالكلام أو تحريريا بالكتابة. وعلى هذا فإننا نجد أن أدب الأطفال الذي يضم قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم وأغانيتهم وما إلى ذلك، إنما هو أدب الأطفال بمعناه الخاص، كما نجد أن كتب الأطفال العلمية المبسطة، والمصورة، وكتبهم الإعلامية، ودوائر المعارف الموجهة إلى الأطفال إنما هي أدب الأطفال بمعناه العام".³⁰

وذكر الدكتور اسماعيل عبد الفتاح نفس المعنى تقريبا فيقول: "أدب الأطفال هو أدب واسع المجال، متعدد الجوانب، ومتغير الأبعاد طبقا لاعتبارات كثيرة، مثل نوع الأدب نفسه، والسن الموجه إليها هذا الأدب، وغير ذلك من الاعتبارات. فأدب الأطفال لا يعني مجرد القصة أو الحكاية النثرية أو الشعرية، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها. إن كل ما يكتب للأطفال، سواء أكان قصصا، أم مادة علمية، أم تمثيلات أم معارف علمية، أم أسئلة أم استفسارات، في كتب أم مجلات أم في برامج إذاعية أم تليفزيونية أم كاسيت أم غيره، كلها مواد تشكل أدب الأطفال".³¹

يعرف هادي نعمان الهيتي هذا النوع الجديد من الأدب بهذه الكلمات "أدب الأطفال هو مجموعة الإنتاجات الأدبية المقدمة للأطفال التي تراعي خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم.³² وهكذا يعرف محمد حسن بريغش أدب الأطفال بهذه الكلمات "أدب الأطفال هو النتاج الأدبي الذي يتلائم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم وقدرتهم على الفهم والتذوق، وفق

²⁹ - ضياء الدين، الدكتور محمد، أدب الأطفال في العالم العربي، ص 127، كتاب المؤتمر الدولي، الجزء الثاني، عام 2016.

³⁰ - نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، ص 279.

³¹ - عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 18.

³² - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، ثقافة الأطفال، مجلة عالم المعرفة، آذار، العدد 123، ص 155، عام 1988م.

طبيعة العصر، وبما يتلائم مع المجتمع الذي يعيشون فيه".³³ وقد حاولت الموسوعة العربية العالمية أن تضبط تعريفاً جامعاً لمصطلح أدب الأطفال فقالت: "أدب الأطفال هو الأدب الذي يخصص للصغار في سن ما قبل المدرسة إلى سن المراهقة والبلوغ، فيفيدهم بما يتيح لهم من عالم ساحر يقدم المعلومة في قالب من الامتاع".³⁴

وفي ضوء هذه التعريفات يمكننا أن نقول إن أدب الأطفال هو الإنتاج الأدبي الموجه خاصة للأطفال حسب مستواهم العمري والعقلي والنفسي بهدف التسلية والمتعة والتربية. إن المتعة تتخذ مكاناً أولاً وهدفاً أساسياً في أدب الأطفال حسب ما قاله الناقد المصري يعقوب الشاروني³⁵، ولكنه من الصعب تحديد خط فاصل بين التعليم والترفيه في أدب الأطفال.³⁶

إرهاصات أدب الأطفال في العالم العربي

أدب الأطفال بمفهومه العام عرفته البشرية منذ وجودها وظل ينتقل من جيل إلى الآخر عن طريق التراث الشفوي وحكايات الجدات وهددات الأمهات. يقول الدكتور علي الحديدي "حيثما توجد أمومة وطفولة آدمية يوجد بالضرورة "أدب الأطفال" بقصصه وحكاياته وترانيمه وأغنياته وأساطيره وفكاهاته، لا يخرج على هذا القانون الطبيعي لغة ولا يشذ عنه جنس".³⁷ أما أدب الأطفال بمعناه الفني ومفهومه الجديد المعترف به عالمياً في عصرنا هذا فهو نوع أدبي جديد ظهر أولاً في أوروبا خلال القرن السابع عشر على يد الشاعر الفرنسي الكبير تشارلز بيرو (1628م-1703م) الذي أصدر أول كتاب خصيصاً للأطفال باسم "حكايات الأم الإوزة" عام 1697م.³⁸ وهذا العام يعد التاريخ الفعلي لميلاد أدب الأطفال المكتوب حيث يتضمن هذا الكتاب أول مجموعة من الحكايات الخيالية الموجهة إلى الأطفال ومنها "سندريلا" و"ذات القبة الحمراء" و"الجميلة النائمة في الغابة" و"عقلة الإصبع". وبعد فرنسا، انتشر وتطور أدب الأطفال في

³³- بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص 46.

³⁴- مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، م 1، ص 382.

³⁵- الشاروني يعقوب، أدب الأطفال: فن وعلم، ص 18.

³⁶- بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 8.

³⁷- الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 39.

³⁸- Hallowell, Lillian, A book of Children's Literature, P: 36.

بريطانيا على يد جون نيوبري (1713م-1767م)، والبلاد الأوروبية الأخرى من ألمانيا، والدانمارك والولايات المتحدة وغيرها.

ورغم أن هناك من يعتبر بأن أول القصة المكتوبة التي عرفت البشرية فهي القصص المكتوبة على الورق البردي في مصر القديمة³⁹ كما يقول الدكتور محمود حسن اسماعيل: "عثر المنقبون عن آثار مصر القديمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أول تسجيل في تاريخ البشرية لأدب الحياة وحياة الطفولة ومراحل نموها، ويرجع تاريخه إلى ثلاثة آلاف سنة تقريبا قبل الميلاد مكتوبا على أوراق البردي ومصورا على جدران المعابد والقصور والقبور، ومن هذه الكتابات والنقوش والصور أمكن للإنسان المعاصر أن يعرف ما كان يقوم به الأطفال في العصور القديمة من أنواع اللهو والتسلية واللعب وأنواع العرائس واللعب الجميلة التي كانوا يلعبون بها، ويستطيع أن يقرأ القصص التي كانت ترويها الأمهات والمربيات للأطفال في قديم الزمان".⁴⁰ فقد خلا الأدب العربي من أدب الأطفال، باستثناء الأغاني التي عرفت بأغاني ترقيص الأطفال، وتم نقل معظمهما باللغة العامية.

كان الجو الذي يركز عليه أدب الأطفال العربي في العصر الجاهلي هو الأساطير التي بنيت عليها القصص التي كانت تروى شفويا، وبعد ذلك تقدمت القصص ليصبح لها تأثيرها على الجماعة مثل الولاء للقبيلة والحفاظ على التقاليد، وكان الهدف هو غرس السلوك القبلي في نفوس الأطفال. وكان الأطفال العرب يقبلون على الأساطير القديمة والقصص التي لم تكتب خصيصا لهم، ولكنهم استساغوها وقرأوها كقصص "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" بالإضافة إلى الأساطير العربية مثل "عنترة بن شداد" و"أبو زيد هلال" و"حي بن يقظان" و"سيف بن ذي يزن".⁴¹

وبقيت القصص عبارة عن حكايات وأساطير إلى أن جاء الإسلام حيث ظهرت القصص الدينية المتمثلة في أخبار الرسول ﷺ وأعماله وأخبار المسلمين والغزوات والانتصارات وقصص الأنبياء وقصص الأمم والشعوب التي وردت في القرآن الكريم، كما أدت الفتوحات الإسلامية إلى

³⁹ - إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 35.

⁴⁰ - نفس المصدر، 35.

⁴¹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، في أدب الأطفال العرب، ص 13.

دخول قصص كثيرة من الشعوب والأمم غير العربية مثل الفارسية والرومانية واليونانية والهندية والإسبانية. وكان معظمها أساطير وخرافات وقصص حيوانات، ثم بدأت الترجمة بكتاب ألف ليلة وليلة، وكتاب كليلة ودمنة مع إضافات جديدة نابعة من الخيال العربي مثل قصة حي بن يقظان وقصة سيف بن ذي يزن وقصة عنتر بن شداد. وعندما بدأ العرب يكتبون قصصهم وأخبارهم في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي دونوا وكتبوا كل شيء مما جعلها من أغنى مصادر الأطفال العربي.

ظهور أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي الحديث

عندما بدأت النهضة الأدبية في مصر بعد غزو نابليون عام 1798م، شهدت مصر نوعاً جديداً من الأدب الذي يستهدف غرس القيم الأخلاقية والتعليمية في الأطفال. بدأت الكتابة الموجهة إلى الأطفال في زمن محمد علي باشا (1769م-1849م) الذي أرسل البعثات العلمية إلى أوروبا للدراسة والاطلاع، من خلال الترجمة في أعقاب اتصال العرب بالأوروبيين والوقوف على آدابهم. قام رفاة الطهطاوي (1801م-1873م) بدور هام في ترجمة القصص الكلاسيكية الأوروبية وإدخالها في المناهج الدراسية لقراءة الأطفال في مصر. كان الطهطاوي مسئولاً عن التعليم في مصر، فترجم قصة "عقلة الإصبع"، وقام بإشراف على أول مجلة عربية للطفل باسم "روضة المدارس"⁴² عام 1870م. كان رفاة الطهطاوي يكتب رسالة إلى وكيل الحكومة المصرية المقيم بمدينة لندن، ويطلب منه أن يرسل كتباً مطبوعة ومؤلفة للصغار والتلاميذ بحيث تملأ أذهانهم إليها.⁴³ أصدر الطهطاوي كتاب "المرشد الأمين في تربية البنات والبنين" في عام 1875م.

بعد الطهطاوي، جاء محمد عثمان جلال (1828م-1889م)، وأصدر ديواناً باسم "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ"، وكان هذا الديوان يشتمل على حوالي مئتي حكاية خرافية⁴⁴ على السنة الحيوانات والطيور. ترجم عثمان معظمها بتصرف عن حكايات لافونتين إلى اللغة العربية، وقد ورد بعضها بين حكايات إيسوب.

⁴² - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 15.

⁴³ - بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، ص 80.

⁴⁴ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 24.

وبعد الطهطاوي وعثمان جلال، لم يعط أحد فكريا جديا لأدب الأطفال حتى جاء أمير الشعراء أحمد شوقي (1868م-1932م). وأثناء دراسته في فرنسا، تعرف أمير الشعراء على أدب الأطفال وتأثر بحكايات لافونتين وكتب القصص على السنة الحيوانات والطيور كما قرض الأناشيد والأغنيات. وأتى أحمد شوقي بأكثر من ثلاثين قصة على شكل شعر وعشر مقطوعات من الأغاني والأناشيد، ونشرها في الجزء الرابع من ديوانه الشهير "الشوقيات" عام 1898م. ويقول شوقي عن الحكايات والأغنيات التي قدمها للأطفال في الوطن العربي كتجربة شعرية رائدة: "وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهيرة، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث، اجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئا منها، فيفهمونه لأول وهلة، ويأمنون إليه ويضحكون من أكثره".⁴⁵

في مقدمة الشوقيات، دعا شوقي الشعراء إلى الكتابة للأطفال، ولكن دعوته لم تلق ترحيبا كبيرا. في الواقع، لم يكن الكتاب العرب مستعدين عقليا في ذلك الوقت لهذا النوع الجديد من الأدب بسبب الانتقادات التي واجهوها بعد الكتابة للأطفال، لأن الكتابة للأطفال كانت تعتبر ضعفا فنيا للكتاب في تلك الأيام⁴⁶، ولذلك كان كتاب أدب الأطفال يحاولون إخفاء أسمائهم وهوياتهم من زملائهم. لم يكشف الكاتب الشهير كامل كيلاني سر كتابة القصص للأطفال لصديقه نجيب محفوظ لفترة طويلة⁴⁷.

ثم قام علي فكري (1879م-1953م) في عام 1903م بإصدار "مسامرات البنات"، وهو عبارة عن أشات مجتمعات في أدب التسلية وعظات دينية وأخلاقية وذكر خصال النساء، ولا نعه من كتب أدب الأطفال لتتنوع مادته الأدبية والدينية والتاريخية، ولكن كتابه "النصح المبين في محفوظات البنين" و"رصيصة" في تربية البنين ونظيره "في تربية البنات" أصدرهما عام 1916م من الكتب الأولى التي ساهمت في تعبيد طرق أدب الأطفال في إطارها التعليمي والأخلاقي.⁴⁸

⁴⁵ - شوقي، أحمد، مقدمة الشوقيات، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، مصر، 1898م.

⁴⁶ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 256.

⁴⁷ - شبلول، أحمد فضل، أدب الأطفال في الوطن العربي، ص 39.

⁴⁸ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 259.

وفي عام 1911م ظهر كتاب "آداب العرب" وهو منظومات شعرية متنوعة للأطفال، سار فيها مؤلفها ابراهيم العرب (المتوفى 1927م) على طريقة لافونتتين وقد قررته نظارة المعارف بمصر في ذلك الوقت على تلاميذ المدارس الأولية. وتضمن كتاب آداب العرب بمنظومة الختام مائة منظومة شعرية، دارت جميعها على أسنة الحيوانات والطيور، غايتها إيراد العظة في أسلوب شعري قصصي.

ولكن الخطوة الكبيرة في مسيرة أدب الأطفال بدأت في العقد الثالث من القرن العشرين عندما ظهر اثنان من الرواد الأوائل لهذا النوع الجديد من الأدب، وهما محمد الهراوي (1885م-1939م) وكامل الكيلاني (1897م-1959م). ففي عام 1922م، أوقد الشاعر محمد الهراوي أشعة عربية ناضجة في ميدان أدب الأطفال ليمهد الطريق للمبدعين للتوفر على التأليف الإبداعي المستقل والمناسب للطفولة. حيث أصدر ديوانه الأول "سمير الأطفال للبنين" عام 1922م، و"سمير الأطفال للبنات" في عام 1923م، وتلاههما "أغاني الأطفال" عام 1924م. وبالإضافة إلى الشعر، أصدر الهراوي مسرحيات عديدة للأطفال. واستمر إنتاج هذا الشاعر الرائد في مجال التأليف الشعري المتنوع للطفل حتى توفي عام 1939م.⁴⁹

وفي عام 1927م نهض الأديب كامل الكيلاني (1897م-1959م) كأكبر رواد أدب الأطفال العربي، وبدأ ينشر القصص للصغار في القاهرة التي كانت مترجمة عن الكتب الأوروبية، ولكنه سرعان ما أخذ يؤلف القصص للأطفال من إبداعه، فأصدر قصته "السند باد البحري" كأول محاولة قصصية حديثة يقوم بها أديب عربي بالتأليف للطفل خارج المقررات الدراسية مستمدا من التراث العربي. وأتبعها بمكتبة قصصية كاملة للطفولة، واستمر الكيلاني في تأليف القصص للأطفال حتى بلغ عدد قصته إلى حوالي مئتي قصة، يركز معظمها على القيم الأخلاقية والدين والقواعد والخرافات والأساطير والفكاهة والحيوانات.⁵⁰ وطبعت قصصه في حياته غير مرة وبعد

⁴⁹ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، ص 45.

⁵⁰ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 16.

وفاته عام 1959م. ورغم أن الكيلاني نظم شعرا إلا أن محاولته كانت تركز على القصص التربوية والأخلاقية.⁵¹

وطوال عقد الثلاثينات من القرن العشرين كان النتاج الأدبي لمرحلة الطفولة في أطوارها المختلفة ينمو ويتنوع، بفعل جهود التأليف للأطفال التي رادها كامل الكيلاني في النثر ومحمد الهراوي في الشعر. واتسمت إنتاجاتهما الأدبية للأطفال بالأصالة والغرارة والتنوع ومراعاة خصائص أطوار مراحل الطفولة. يقول الدكتور أحمد زلط حول مكتبة الكيلاني القصصية: "ولا نبالغ إذا قلنا إن مكتبة كامل الكيلاني تعادل في قيمتها الفنية ودرجة الإقبال عليها من جمهور الأطفال والآباء والأمهات، ما حققته هانز كريستيان أندرسون في الأدب الغربي".⁵² ويؤكد شاعر القطرين خليل مطران على ريادة الكيلاني في إنشاء مكتبة الأطفال القصصية فيذكر "لو لم يكن للأستاذ الكيلاني إلا أنه المبتكر في وضع مكتبة الأطفال بلسان الناطقين بالضاد فكفاه فخرا بها ما قدمه لرفع ذكره وما أحسن به إلى قومه وعصره".⁵³

وفي عام 1930م، بدأ يظهر مصطلح أدبيات الطفل في الدوريات العربية في عناوين المقالات⁵⁴ وفي ثناياها ظهرت إلى الوجود ملامح تأصيل وجود جنس أدبي للطفل. وقبل هذا التاريخ كانت كتب الأطفال تقتصر اقتصارا يكاد يكون تاما على الأغراض التعليمية مادة للقراءة المدرسية تهتم بالمحصول اللغوي وتدعو إلى القيم والآداب الحميدة. ومن أشهر ما كتبه حول نهضته التأليفية الدكتور زكي مبارك، فيقول: "أشهر المؤلفين في هذا الباب رجلا: محمد الهراوي وكامل كيلاني، وهما بعيدان عن التدريس".⁵⁵

وفي الحقيقة، بدأ أدب الأطفال كنوع أدبي معترف به ينتشر في العالم العربي منذ ستينيات القرن العشرين فصاعدا. وأدخل أدب الأطفال كموضوع مستقل في بعض الجامعات والكليات. وافتتحت عدة مكتبات للأطفال في أنحاء العالم العربي. وأنشئت دار النشر العديدة في الدول المختلفة مثل دار الفتى العربي في بيروت ودائرة ثقافة الطفل في العراق، وتداول الكثير من

⁵¹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 16.

⁵² - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، ص 27.

⁵³ - مجموعة من الكتاب، كامل الكيلاني في مرآة التاريخ، ص 393.

⁵⁴ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 12.

⁵⁵ - نفس المصدر، ص 12.

مجالات الأطفال إلى حيز الوجود في العالم العربي. وظهر جيل جديد من الكتاب في مختلف البلدان العربية، وعرضوا إبداعاتهم المتنوعة من القصص والدراما والأغاني والأناشيد للأطفال. تم تبسيط العديد من الأعمال الكلاسيكية العربية مثل "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" وقدمت للأطفال في شكل قصص قصيرة. بدأ العلماء والباحثون يقومون بأعمال البحث والدراس في مجال أدب الأطفال. وكل هذا، مهد الطريق إلى إرساء قواعد أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي.⁵⁶ ويعتبر كامل كيلاني من أبرز الكتاب في مجال أدب الأطفال العربي ويرجع إليه فضل زيادة أدب الأطفال باللغة العربية.

فبعد الكيلاني، ظهر العديد من الكتاب لأدب الأطفال في مصر مثل يعقوب الشاروني وأحمد نجيب وعبد التواب يوسف وغيرهم. وكلهم اشتهروا في مجال أدب الأطفال بقصصهم ودراساتهم فيه وقدموا إبداعاتهم المتنوعة من القصص والدراما للأطفال مستمدين من التراث العالمي والعربي وحكايات الحيوانات وغيرها، وحصلوا على الجوائز العالمية، وقد ترجم بعض كتبهم إلى اللغات الأوروبية.

وفي فلسطين، قبل النكبة عام 1947م كانت الكتابة للأطفال على نحو ما في بقية الدول العربية الأخرى، وتدور في فلك المدرسة. برز خليل السكاكيني في مجال النثر، ومحمد إسعاف النشاشيبي في مجال الشعر. فكان أول من كتب شعرا للأطفال، كما نقل بعض الأشعار للأطفال في كتاب باسم "أشعار عربية". وكان يهدف الكاتبان أساسا إلى "خلق جيل عربي أصيل مؤمن بأمته وقضاياها معتمدا ملكة اللغة العربية والشعر وسيلة لذلك".⁵⁷ وفي الخمسينات، صدرت مسرحية للأطفال للكاتبين ميشيل حداد وجمال قعوار، وكانت موسومة بـ "ظلام ونور".⁵⁸ كما أصبحت القضية الفلسطينية الفلسطينية مادة أدبية غزيرة عند الأدباء العرب منذ الخمسينات من القرن العشرين.

⁵⁶ - موفق رياض مقدادي، أدب الأطفال العربي: واقع وتحديات، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 129.

⁵⁷ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، في أدب الأطفال العرب، ص 17.

⁵⁸ - الخطيب، د. جهينة، أدب الأطفال في فلسطين، ص 48، كتاب المؤتمر الدولي، الجزء الأول، جامعة كيرالا، 2016م.

وفي لبنان ظهرت الكتابة الموجهة إلى الأطفال في النصف الأول من القرن العشرين. وساهم كل من عمر فروخ، وحبوبة حداد، وروز غريب في تطوير أدب الأطفال في لبنان. وكتبت روز غريب بغزارة حتى الثمانينات من القرن العشرين. وأنشئت دار الفتى العربي في بيروت عام 1975م، فأصدرت الكثير من الكتب الموجهة إلى الأطفال، التي تميزت في طباعتها ورسومها وألوانها، ونالت جوائز عالمية كما ترجمت كتبها إلى لغات مختلفة. وتعددت مجلات الأطفال اللبنانية ومنها: سوبرمان، طرزان، طارق، ولولو الصغيرة. وقد نشطت الترجمة عن الفرنسية وعن اللغات الأخرى، بالإضافة إلى وجود العديد من الكتاب اللبنانيين المحليين.⁵⁹

وظهر أدب الأطفال في سوريا منذ السبعينيات، وبرز الشاعر سليمان العيسى على مستوى البلاد العربية. وأصدر إنتاجات شعرية غزيرة للأطفال، بالإضافة إلى المسرحيات الغنائية. تناول موضوعات وطنية وقومية. وفي مجال النثر ظهر القاص "زكريا تامر"، وكتب العديد من القصص الوطنية. وأصدرت وزارة الثقافة والإرشاد القومي مجلة للأطفال باسم "أسامة" عام 1969م.⁶⁰ أما في العراق، فبدأ الاهتمام بأدب الأطفال بتأسيس دور الحضانة والنوادي ومدارس الفنون ومراكز الشباب. وأنشئت فرق مسرحية للأطفال كما تم تأسيس دار خاصة باسم "دائرة ثقافة الأطفال". وهي تهتم بكتب الأطفال المترجمة والعربية والمحلية العراقية. ومن رواد أدب الأطفال الذين أصدرت لهم الدائرة دواوين من القصائد والأناشيد التربوية، كان أحمد حقي الحلي (1914م-1996م).⁶¹ وصدرت حاليا في العراق مجلة باسم "مجلتي" للأطفال.

نهض يعقوب إسحاق في المملكة العربية السعودية في فترة السبعينيات. ولعب دورا هاما في تطوير أدب الأطفال في المملكة العربية السعودية. يتقاسم يعقوب إسحاق مع طاهر زمخشري قيادة أدب الأطفال السعودي. وكتب بغزارة للأطفال ورأس إدارة تحرير مجلة "حسن" التي أصدرتها مؤسسة عكاظ للطباعة والنشر.⁶² وهكذا أخذ أدب الأطفال يتطور في غضون السبعينيات من

⁵⁹ - أبو معال، الدكتور عبد الفتاح، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ص 32.

⁶⁰ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 102.

⁶¹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، في أدب الأطفال العرب، ص 21.

⁶² - العنزي، د. سعد بن ماشي، جهود أدباء المملكة العربية السعودية في أدب الأطفال، كتاب المؤتمر الدولي، الجزء الثاني، ص 158.

القرن العشرين في البلدان العربية الأخرى من تونس والجزائر وبعض دول الخليج العربي واليمن والكويت.

أدب الأطفال العربي بعد التسعينيات من القرن العشرين

منذ عام 1990م، اتخذ أدب الأطفال العربي منعطفًا جديدًا. وتعتبر فترة التسعينيات مرحلة الانطلاق⁶³ لأدب الأطفال في العالم العربي. تزامن انطلاق أدب الأطفال مع تنامي حركة تشجيع حقوق الطفل وبرامج الإصلاح التربوي التي تماشت مع طموحات برنامج "التعليم للجميع" الذي تم الاتفاق عليه في مؤتمر القمة العالمي في جو متين عام 1990م. وشهد النظام التعليمي تقدمات هائلة في مجال طرائق التعليم والتربية فأصبح الطفل محور العملية التعليمية. ودخلت التقنيات الحديثة عالم الأطفال بحيث أضحت وسيلتهم المفضلة للتعلم والتواصل الاجتماعي. وفي الوقت نفسه، سادت هذه الفترة تحديات على المستوى الوطني والقومي تمثلت بالاحتلال الأجنبي والصراعات الداخلية لغير بلد عربي.

أدت هذه التغيرات إلى نشوء نوع جديد من أدب الأطفال. وبالإضافة إلى هذا، شهد العالم العربي تطورًا هائلًا في إنتاجات أدب الأطفال، والاهتمام به من قبل هيئات حكومية وأهلية خاصة. فتأسست دور نشر متخصصة في إنتاج كتب للأطفال فقط في العديد من الدول العربية خاصة في مصر ولبنان وسورية والأردن والكويت وفلسطين. وظهرت مؤخرًا دور نشر متخصصة للأطفال في الإمارات العربية المتحدة، كما انتشرت مكاتب الأطفال الخاصة في العديد من الدول العربية.

وجاءت الجوائز العديدة الخاصة بأدب الأطفال إلى معرض الوجود على المستوى الوطني والدولي لتشجيع الأدباء والكتاب على خلق الإنتاجات الأدبية ذات النوعية العالية للأطفال. ومن أبرز الجوائز جائزة سوزان مبارك في مصر عام 1988م وجائزة الشارقة عام 1996م وجائزة اتصالات عام 2009م في الإمارات العربية المتحدة وجائزة عبد الحميد شومان لأدب الأطفال في الأردن عام 2006م وجائزة الدولة لأدب الطفل في قطر وجائزة مؤسسة الفكر العربي المسماة بـ

⁶³ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، في أدب الأطفال العرب، ص 23.

"جائزة كتابي" عام 2014م. وفي عام 2010م، أسست مؤسسة أنا ليند اليورو متوسطة للحوار بين الثقافات جائزة "اقرأ هنا وهناك" لأدب الأطفال العربي. وبالإضافة إلى الجوائز، زاد الاهتمام الخاص بالمعارض والمهرجانات التي تنظمها وزارة الثقافة بالتعاون مع هيئات غير حكومية معنية بالمطالعة والقراءة، ومكتبات عامة ومكتبات خاصة لتشجيع الأطفال على قراءة الكتب في الدول العربية وخارجها.

ومن المهم الملاحظة هنا أن هذه الحركة الناشطة في أدب الأطفال لم تكن بالقوة نفسها بين كافة الدول العربية بل تفاوت الاهتمام والانطلاق من دولة إلى أخرى. وجدير بالذكر أن دولة فلسطين رغم الاحتلال والعذابات ظهرت كأول بلد عربي وضع خطة وسياسة وطنية بهدف تطوير أدب الأطفال. وتم تأسيس مؤسسات هامة مثل "مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي" في رام الله عام 1989م، وكذلك المركز العربي لثقافة الأطفال في القدس. فازت مؤسسة تامر بالعديد من الجوائز على إنجازاتها في تشجيع القراءة والتعبير والإبداع عند الأطفال واليافعين، ومن أبرزها "جائزة استريد ليندجرين السويدية عام 2009م، وهي أكبر جائزة عالمية لأدب الأطفال.⁶⁴

ويمكننا أخيرا أن نقول إن أدب الأطفال في العالم العربي شهد عددا من التغيرات والاتجاهات في أشكاله الداخلية والخارجية خاصة بعد التسعينات من القرن العشرين. وقد أدى كل من المناخ الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، واهتمام الحكومات بشكل خاص تجاه الأطفال وأدبهم بالإضافة إلى دعم وتشجيع الكتاب والمؤلفين في مجال أدب الأطفال⁶⁵، وظهور المنظمات غير الحكومية، وبزوغ الجوائز الخاصة بأدب الأطفال على المستوى المحلي والدولي، والازدهار الهائل في قطاع النشر، والاهتمام بالمعارض والمهرجانات الخاصة بأدب الأطفال، ومفهوم جديد لرعاية الأطفال وعوامل أخرى مختلفة، إلى هذه التغيرات في أدب الأطفال. في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ظهر جيل جديد من الكتاب العرب الذين تخصصوا في مجال أدب الأطفال، واختاروه كمهنتهم الخاصة وأنتجوا بعض الأدبيات ذات النوعية العالية التي تتماشى إلى حد كبير مع المعايير النفسية للأطفال، وتقوم بترويج التنمية الشاملة لهم.

⁶⁴ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، في أدب الأطفال العرب، ص 23.

⁶⁵ - عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 38.

إن الكتب المصورة الجذابة وتصنيف الكتب حسب المراحل العمرية المختلفة للأطفال واستخدام الألوان الجذابة والرسوم التوضيحية الجيدة هي بعض اللمحات من التغيرات الخارجية في أدب الأطفال العربي خلال السنوات الماضية. وفي الآونة الأخيرة، ظهرت بعض الاتجاهات الجديدة المتعلقة بموضوعات ومحتويات أدب الأطفال في العالم العربي. ونلاحظ من خلال الموضوعات أن الكتاب ينظرون إلى الطفل بنظرة جديدة، فأصبح طفلاً ذكياً ويستطيع مواجهة التحديات والمشاكل. فالطفل هو الشخصية الفاعلة في القصة، يعبر عن مشاعره، واهتماماته، وتطلعاته وقلقه وتمرده. وبالإضافة إلى ذلك، تطرقت تلك الموضوعات والمضامين التي كانت تعتبر في بداية الأمر من القضايا المحرمة والحساسة إلى أدب الأطفال. ومن أجل التعامل مع التوترات النفسية والقلق العاطفية للأطفال، بدأ الكتاب يعالجون موضوعات جديدة مثل الموت والتنافس بين الأشقاء والمرض وغيرها من المواضيع لجعلهم أكثر وعياً لدورة الحياة والتعامل مع الضغوطات الأسرية. وهناك عدد من القصص المعاصرة التي تتحدث عن الاختلافات الفردية والأطفال المعاقين ونضالهم وكيف لا يمكننا أن نجعل مجتمعاً شاملاً بدونهم. ولا يزال يكتب الكتاب المعاصرون بعض القصص العربية الجديدة ذات الصلة بالقضايا البيئية لغرس روح حماية أرضنا ومخلوقاتنا في الأطفال والناشئين.

في السنوات القليلة الماضية، بدأ بعض الكتاب كتابة القصص التي تستهدف شريحة الأطفال من الياfeين والناشئين. والروايات مثل "قاتن" لفاطمة شرف الدين، و"غدي وروان" للكاتبين المشتركين من فاطمة شرف الدين وسمر محفوظ براج، و"اسمي الحركي فراشة" لأحلام بشارت. هي البعض من الروايات الشهيرة التي تخاطب جمهور الشباب البالغين. ونورة أحمد النومان هي أول كاتبة إماراتية قدمت مفهوماً جديداً لرواية الخيال العلمي في أدب الأطفال العربي. وفازت روايتها "أجوان" من فئة الخيال العلمي بجائزة اتصالات المرموقة لأدب الأطفال في عام 2013م. وأخيراً، يمكن القول إن أدب الأطفال باللغة العربية تطور تطوراً ملحوظاً بعد التسعينيات من القرن العشرين على كافة المستويات ويتقدم بصورة تدريجية وثابتة تجاه النوعية والجودة والمستوى العالمي، على الرغم من وجود هوامش أخرى للتحسين خاصة فيما يتعلق بالاختيار من المواضيع الأكثر شمولاً وتنوعاً.

الفصل الثاني

أدب الأطفال العربي: أهميته، أهدافه، غاياته، وخصائصه

الفصل الثاني

أدب الأطفال العربي: أهميته، أهدافه، غاياته، وخصائصه

أهمية أدب الأطفال:

يحتل أدب الأطفال أهمية كبيرة حيث يعتبر كثير من علماء النفس والتربية مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان ولها تأثير كبير في حياته القادمة. في غضون هذه المرحلة، يتم تشكيل ملامح شخصية الطفل وينمو الكثير من قدراته الكامنة وأوصافه الشخصية وعاداته الاجتماعية. الأطفال هم اللبنة الأولى من اللبنة الأساسية التي يبنى عليها المجتمع الإنساني، فإن تربيتهم وتنقيتهم على الخطوات السليمة التي تجعلهم قادرين على تحمل المسؤولية تجاه الأسرة والأمة والوطن والإنسانية في حياتهم المقبلة أمر ضروري. فالطفل هو الثروة الحقيقية للمجتمع الإنساني وآمال الأمة وترقيتها تعتمد على تربيته السليمة حيث تكون مرحلة الطفولة كالورقة البيضاء التي يكتب فيها أي شيء من خير أو شر. والطفولة لها تأثير عميق في بناء شخصية المستقبل ولا يزدهر قوم بدون أن يهتم بتربية أطفاله واحتفاظهم من المساوي الاجتماعية والانهيارات الخلقية.

ونظرا إلى أهمية الطفولة البالغة توجهت الأمم المتطورة إلى تنقيف الأطفال وتربيتهم حسب مصالحها الاجتماعية والاحتياجات القومية بعد ثورتها الصناعية التي كانت هي نقطة انطلاق لتطورها العلمي والاقتصادي والثقافي. فالطفل كما هو من الثروة القيمة للمجتمع الإنساني، وهو يعيش في عالمه الخاص، ويعرف بسلوكياته الممتازة ونفسياته الخاصة تختلف عما يمتلكه الكبار. هو يحتاج إلى الجو المناسب تتوفر فيه الوسائل اللازمة والمعدات الضرورية تساعده في نمو شخصيته الشاملة جسديا وعقليا ودينيا وثقافيا. فالأساليب التربوية والتعليمية المختلفة لها إسهامات هامة في تنشئة أفكار الطفل الموهوبة، وتفجير قدراته الكامنة في صورة إيجابية. وبعد ذلك نرجو من الطفل لأداء مسؤوليته تجاه إصلاح المجتمع وازدهار الأمة وتطوير البلاد. وهذه الأساليب التربوية لا تحصر في وسائل التعليم الرسمية وحدود التربية الدينية فحسب، بل تمتد إلى الوسائل

الأخرى من الفنون والأدب التي تؤثر على تنمية أفكار الطفل وسلوكياته وصياغة فكره للحياة. ومن هذه الوسائل المؤثرة هو أدب الأطفال الذي يعد اليوم الدعامة الأساسية في بناء شخصية الطفل الشاملة، وأصبح وسيلة هامة لتنمية قدرات الطفل الابتكارية وذريعة مؤثرة لتربيته وتنقيفه حتى صار ضرورة قومية ودينية في عالمنا الراهن. يقول الدكتور عبد الفتاح أبو معال: "أثبتت التجارب والدراسات العلمية والتربوية إن الأدب أصبح ضرورة لا بد منها لأطفال اليوم".⁶⁶

يلعب أدب الأطفال دورا هاما في تكوين شخصية الأطفال عن طريق نموهم النفسي والعاطفي واللغوي والاجتماعي والديني وفي تطوير مداركهم العقلية وإرهاف خيالاتهم الإبداعية. يتعرف الطفل من خلال أدب الأطفال على مقتضيات الحياة، وبه يتعرف على أبعاد الحياة الماضية والحاضرة، وبه يقدر على التأمل والتفكير في قضايا الحياة الاجتماعية والدينية بالإضافة إلى إشباع غرائزهم الترفيهية وتسلية النفس. وبه يتعلم العادات الحسنة والأخلاق الفاضلة ويتحول من الذات إلى كائن حي اجتماعي يتفكر للآخرين.

لأدب الأطفال أهمية كبيرة في حياة الأطفال، فالأدب متعة وتسلية ومعرفة وثقافة وتخيل. والأدب بعامة يساعد على تنمية الطفل في جوانب عديدة ويؤدي به إلى الصحة النفسية والتعامل السوي مع الآخرين نتيجة لما يكتسبه الطفل من خبرات ومعارف. وأدب الأطفال "كالفيتامينات للفكر"⁶⁷. يحتاج عقل الطفل وخياله منها إلى أنواع مختلفة، كل نوع يغذي جانبا من تفكيره وشعوره، ويقوي نواحي الخيال فيه، ومن ثم يجب ألا يقصر الذين يكتبون للأطفال كتاباتهم على مجال واحد منه أو نوع بذاته ولا على أدب أمة واحدة.⁶⁸

ومن هذا المنطلق، حرص المهتمون والباحثون في أدب الأطفال على إبراز أهميته في الجوانب المختلفة لحياة الأطفال. يكتب الدكتور علي الحديدي أن أدب الأطفال يسهم في خلق الطفل المثابر المخلص والمتعاون مع مجتمعه ويلعب دورا هاما في إطلاق العنان لأحلام الطفل وخياله وطاقاته الإبداعية وتزويده بالمعلومات العلمية والتقاليد الاجتماعية والعواطف الدينية

⁶⁶ - أبو معال، الدكتور عبد الفتاح، دراسات في أدب الأطفال وأغانيهم، ص 8.

⁶⁷ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 63.

⁶⁸ - إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 57.

والوطنية كما يوسع قاموس الطفل اللغوي ويربط علاقة الطفل بثقافة وحضارة من حوله ويعوده على عادة التفكير المنظم بالإضافة إلى تنمية سر الجمال والحقيقة في نفس الطفل.⁶⁹

وحول أهمية أدب الأطفال، يضيف العناني قائلاً "إن أدب الأطفال تكمن أهميته في كونه تسلياً للطفل وشغلاً لوقت فراغه وتنمية لهوايته والتعرف على البيئة المحيطة به وعن طريقة يتعلم بها الطفل التركيز والانتباه وقوة الملاحظة ويساعد على تنمية الذوق الفني بالإضافة إلى التعرف على الشخصيات البارزة دينياً وتاريخياً وعلمياً وسياسياً".⁷⁰ ويؤكد أبو الرضا على إبراز أهمية أدب الأطفال "من خلال غرس القيم والمبادئ الدينية وتعزيز الولاء للأمة والحفاظ عليها ودعم قوة الانتماء إليها وتحقيق الاستقرار النفسي لدى الطفل".⁷¹ وينكر رشدي أحمد طعيمة عدداً من النقاط السابقة ويضيف إليها "مشاركة الآخرين بتعاطف شديد في المشكلات وصعوبات الحياة التي يواجهونها وتوسيع آفاق الطفل في التسامح وقبول غيره ومساعدة الطفل في حل المشكلات التي يواجهها وسبل مواجهتها مما يعزز الثقة بالنفس".⁷²

ويمكننا أن نلخص أهمية أدب الأطفال في النقاط التالية:⁷³

- تسلياً للطفل وامتاعه وملء فراغه وتنمية مواهبه.
- تعريف الطفل بالبيئة التي يعيش فيها من كافة الجوانب.
- المساهمة في تعريف الطفل بأفكار وآراء الكبار.
- تنمية القدرات اللغوية عند الطفل بزيادة المفردات اللغوية لديه وزيادة قدرته على الفهم والقراءة.
- تكوين ثقافة عامة لدى الطفل.
- الإسهام في النمو الاجتماعي والعقلي والعاطفي لدى الطفل.
- تنمية دقة الملاحظة والتركيز والانتباه لدى الطفل.

⁶⁹ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 63-64.

⁷⁰ - العناني، حنان عبد الحميد، أدب الأطفال، ص 21-22.

⁷¹ - أبو الرضا، سعد، النص الأدبي للأطفال: أهدافه ومصادره، ص 24-25.

⁷² - طعيمة، رشدي أحمد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، ص 26.

⁷³ - إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 49.

- مساعدة الطفل على التعرف بالشخصيات الأدبية والتاريخية والدينية والسياسية من خلال قصص البطولات والإعلام.
- تنمية ذكاء الطفل العقلي والعاطفي.
- إيجاد الاتجاهات الاجتماعية السليمة لدى الطفل.
- الاطلاع على مشاكل الحياة والتشجيع على مواجهتها.

أهداف أدب الأطفال وغايته:

الأطفال هم قرة العين وأمل الحياة، ورجال الغد وقادة المستقبل. يبذل من أجلهم كل غال ونفيس على مستوى الأسرة والحكومة لكي يتم إعدادهم للمستقبل على الخطوات السليمة بوجه أفضل. يعيش الأطفال في عالمهم الخاص والتميز، وتختلف متطلباتهم وحاجاتهم من غيرهم. ونتيجة لذلك، تتعدد أهداف أدب الأطفال من حيث أصولها التربوية ومن حيث اتجاهاتها، وكذلك من حيث الأهداف المعرفية والوجدانية. وجدير بالذكر أن أدب الأطفال في عصر التحديات والعولمة يهدف خاصة إلى تزويد الأطفال بالمعلومات عن الناس الآخرين والثقافات الأخرى، بالإضافة إلى ربطهم بالواقع المعيش. فتتجاوز أهداف أدب الأطفال "النطاق الضيق المحصور في البيئة العربية والمحلية إلى المحيط العالمي".⁷⁴ ونذكر في السطور التالية أهداف أدب الأطفال المختلفة من ناحية التربية والترفيه والمعرفة والوجدان والدين والمجتمع والأخلاق وغيرها من الأهداف التي هي محور أدب الأطفال ونصب عينيه.

أهداف المتعة والترفيه لأدب الأطفال:

يقول كبار الكتاب⁷⁵ لأدب الأطفال إن أهداف المتعة والترفيه من أكثر الأهداف أهمية ومكانة في أدب الأطفال. إنهم يعدونها في أول درجة لقائمة الأهداف من حيث تعتمد عليها سائر الأهداف الأخرى مثل أهداف التربية والوجدان والمعرفة والأخلاق والدين وغيرها. وانفتحت كلماتهم على أن الهدف الأساسي لأدب الأطفال هو الإمتاع والتسلية والترفيه. وبهذا الهدف يتم تكوين العواطف وتنشيط الأخيلة وإصلاح العادات وتحضير النفوس وتعويد الأطفال والناشئين على المعيشة السليمة للأحداث والأشخاص وتشجيعهم على الابتكار والاختراع والتجديد واكتشاف

⁷⁴ - إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 58.

⁷⁵ - الشاروني، يعقوب، أدب الأطفال: علم وفن، ص 18.

مواطن الصواب والخطأ بطريق غير مباشر. يقول الكاتب يعقوب الشاروني في هذا الصدد: "أما أدب الأطفال فإنه يهدف أساساً إلى الإمتاع، وتكوين العواطف وتنشيط الخيال وتعويد الصغار بطريق غير مباشر على المعاشة السليمة للأحداث والأشخاص والسلوك الإنساني المتحضر وحفزهم على الخلق والابتكار والتجديد وتحمل المسؤولية واكتشاف مواطن الصواب والخطأ في المجتمع. فإذا تعلم الطفل، بجانب هذا، لفظاً جديداً، فإنما يتعلمه عرضاً دون عمد أو قصد من الكاتب".⁷⁶

ومن أهداف المتعة والترفية لأدب الأطفال:

- مساعدة الأطفال على قضاء وقته في شيء ينفعه ويفيده. فمن مسؤوليات الأديب أن يعرف عن أحوال الأطفال النفسية، ويكتب الأدب حسب أعمارهم وأفكارهم.
- عادة يقلد الأطفال كبارهم في أدوارهم المختلفة، فتمثيل بعض الأدوار من خلال القصة أو المسرحية أو الأغنية بحيث تفيدهم.
- إشباع رغبة الأطفال في العثور على الغموض والمجهول، وإزالة الخوف والروع من المجهول لحد كبير.
- إمتاع الأطفال بترديد القصص القصيرة والمسرحيات والأمثال والحكم.
- تقديم الأضحكات والنكات التي تساعد في شحذ قرائحهم وتكوين طبائعهم.

الأهداف التربوية لأدب الأطفال:

لأدب الأطفال أهداف متعددة للتربية والتنشئة. وهي تنفجر من الأصول التربوية. ويمكن تحديدها في بعض النقاط التالية:

- تنمية الذاكرة وتنقيف العقول بالثقافات المختلفة، كي يتمكنوا من التعايش معها.
- تربيتهم لمواجهة المشكلات والصعوبات وإيضاح الطرق لتذليلها. وبهذا الطريق يستطيعون أن يطوروا في أنفسهم الثقة بالنفس.⁷⁷
- تنشيط المواهب الأخلاقية المختفية فيهم وشحذ العادات السامية.
- تمديدهم بالفرص الكافية للمشاركة مع وجهات النظر للآخرين بالتعاطف.

⁷⁶ - الشاروني، يعقوب، أدب الأطفال: فن وعلم، ص 18.

⁷⁷ - عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 34.

- مساعدة الأطفال على أن يستنبطوا من خبرات الكبار والآخرين وينفذوها في حياتهم الشخصية بأحسن طريقة.⁷⁸

الأهداف القيمية والاجتماعية لأدب الطفل:

ومما لا ريب فيه أن الأطفال يخضعون للمجتمع الذي يعيشون فيه ويذعنون لمبادئه وأصوله في الحياة. والمجتمع عبارة عن القيم والعلاقات الإيجابية والسلبية. ففيه امتزاج للعادات والأخلاق السامية والمنحطة. فنجد فيه مظاهر التعصب والإحساس بالعطف والمباهاة والمفاخرة، والأنانية والكراهية والمساعدة وغيرها. وللقيم الإخلاقية العالية غلبة ساحقة في كتب الأطفال. وفيما يلي من السطور سنسلط الضوء على هذا الجانب من أدب الأطفال.

- تشكيل ثقافة الأطفال التي تتوافق مع العصر، وتتلاءم مع الآمال الموضوعية للمستقبل.
- لا يعني الاتصال الثقافي نقل الثقافة فقط، بل الاستفادة من عناصرها الإيجابية وإثرائها والانعطاف للوصول إلى القيم الأخلاقية والمعايير السامية.⁷⁹
- تقوية روح التعايش السلمي، والمحافظة على البيئة، والتسامح وقبول الآخرين بين الأطفال. وحسب ما ذكره الأستاذ يعقوب الشاروني "الموضوعات حول التسامح وتقبل الآخرين، والحفاظ على البيئة، أهمية كبيرة في أدب الأطفال في عصرنا هذا."⁸⁰
- اختيار ما يناسب الطفل، وما يوافق آمال المجتمع.
- الوصول إلى بناء شخصية متكاملة ومتوازنة للطفل.
- إثراء أذهان الأطفال بالنصائح والمواعظ غير المباشرة والضمنية حسبما يقتضي المجتمع.
- الإقلاع عما يضر ذهنية الأطفال ويعطل أفكارهم وتمييزهم الاختراعية.
- صقل سلوك الأطفال وفق قيم المجتمع وقوانينه. وصياغة أخلاقهم وعاداتهم وفق التقاليد والأعراف.
- الاعتماد على عادات طيبة والنفور من العادات السيئة.
- تقديم المعلومات للأطفال حول الأحداث القومية والوطنية لكي يمكن ترسيخ معاني الهوية العربية والإسلامية القومية في نفوس الأطفال. وذكر الدكتور مصطفى رجب أن من هدف

⁷⁸ - عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 34.

⁷⁹ - إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 59.

⁸⁰ - الشاروني، يعقوب، أدب الأطفال: فن وعلم، ص 6.

أدب الأطفال هو "ربط الطفل بالأحداث القومية التي يعيشها الوطن العربي وتقديمها إليه في شكل سليم".⁸¹

الأهداف المعرفية والوجدانية لأدب الأطفال:

إن الأهداف المعرفية والوجدانية عديدة عند الماهرين والخبراء. وهي تستند إلى الاحتياجات المعرفية للأطفال. ومن أهمها:

- تنمية القوة اللغوية للأطفال من خلال تزويدهم بمجموعة متكاملة من الألفاظ والكلمات الجديدة والتعبيرات الرائعة.
- معالجة بعض العيوب اللفظية والأمراض النفسية عند الأطفال مثل التلعثم، والتأتأة، والخوف، والخجل من مواجهة الآخرين.
- اكتشاف المواهب الأدبية والمعرفية في مراحل مبكرة عند الأطفال.
- تعزيز مهارات الأطفال العاطفية والوجدانية من خلال تقديم القصص التي تعالج المشاكل العاطفية والتوترات النفسية التي يمر بها الأولاد عند وقوع الحوادث من هذا النوع في حياتهم.
- تحبيب العلم والمعرفة إلى أذهان الأطفال، وترغيبهم إلى الحصول عليها في ظلال الحنان والمودة.
- بذر حب المغامرة والاستكشاف والاستطلاع عند الأطفال.
- إعطاء الأطفال الخبرات المختلفة التي تساعد على الإنتاج، وعلى كسب الثقة بالنفس.
- تقوية روح التضامن والتعاون والتسامح بين الأطفال.
- تحفيز الأطفال إلى اتخاذ الحس الفني والجمالي.
- بناء الأطفال بناء جديدا سليما، صحيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا ولغويا عن طريق تنمية شخصيته.
- تجهيز الأطفال للمستقبل الزاهر للوطن والمجتمع.
- تزيينهم بمبادئ العلوم والتكنولوجيا حسبما تقتضي الأحوال وتتطلب الحاجات.

⁸¹ - رجب، الدكتور مصطفى، أدب الطفل: الواقع والمأمول، ص 28.

- تنمية الشعور بالاستقرار والأمان في نفوس الأطفال لأن "هذا الإحساس بالاستقرار والأمن هو الأساس في بناء صرح الحياة النفسية للطفولة"⁸².

وبالإضافة إلى هذه الأهداف التي ذكرتها آنفا، يمكن تناول بعض النقاط المزيدة ضمن الأهداف المعرفية والوجدانية.

خصائص أدب الأطفال:

في ضوء تعريف أدب الأطفال وأهدافه يمكن لكل شخص أن يصل إلى النتيجة أنه يتباين الأدب الموجه للأطفال عن ما هو موجه للكبار لاعتبارات المتلقين لكلا الأدبيين، فليس كل ما يوجه للكبار يفيد الصغار أو يوازي معارفهم وتجاربهم، وكذلك العكس. وأدب الأطفال ينبغي له أن يحمل رسالة سامية مقارنة لمستوى متلقيه وهم فئة الأطفال، لذا يحسن به أن يتسم بخصائص عديدة من ناحية اللغة والأسلوب ومستوى الأطفال العقلي والنفسي ووضوح الفكرة وبساطتها. ونذكر هنا بعض أهم الخصائص لأدب الأطفال في شكل النقاط كما يلي:

- أن يكون أدب الأطفال موافقا للمنهج العربي والثقافة الإسلامية، بعيدا عن الانحرافات العقديّة التي تشوش فكر المتلقي الصغير وتدخله في متاهات وصراعات داخل نفسه ووجدانه.
- أن يكون التعليم والمعرفة من أهدافه "فالتعليم هو الوسيلة الأساسية التي يتم من خلالها تزويد الطفل بالمعلومات التي تساعد الإحاطة بمعارف العصر"⁸³.
- أن يراعي البيئة الطفولية المقدم لها، فالبيئات تختلف عن بعضها من حيث الثقافات السائدة بها ومن حيث استجابتها للمتغيرات الثقافية المطروحة.
- أن يسهم في تنمية الطفل نفسيا واجتماعيا، ويتلمس حاجاته التربوية ويشبعها وتتسع رقعته الإيجابية لتغطي الجوانب المتكاملة لشخصية المتلقي الصغير.
- أن يتوشح أدب الطفل بوشاح الجاذبية والتشويق ليقبل عليه الطفل وينجذب له دون عناء أو تكليف.

⁸² - إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 60.

⁸³ - الخطيب، محمد شحات، الطفولة في التنظيمات الدولية والإقليمية والمحلية، ص 199.

- أن يكون متوائماً مع المراحل العمرية المقدم لها هذا الأدب حتى يتسلل إلى دواخلهم بسلاسة ومرونة، ولا يجدوا دونه حاجزاً أو عرقلة.
- أن يسهم في اكتساب الطفل لكريم السجايا ورفيع الأخلاق ويقنعه بثقافة أن الخير هو الذي يبقى وأنه ينتصر على الشر، وأن النفس التي تحمل تلك المعاني الخيرة أحرى بأن تقدم في المجتمع وتسود.
- أن يثري قاموس الطفل اللغوي، ويمده بالمصطلحات اللغوية الجيدة التي تؤدي إلى توافقه النفسي والاجتماعي مع محيطه، وتمنحه الثقة بنفسه وبمن حوله.
- أن تكون اللغة التي يقدم بها أدب الطفل لغة سهلة قريبة منه مترابطة الأفكار تبتعد عن التعقيد والفلسفة الثقافية واستعراض المهارات اللغوية المتعالية على عالم الطفل.
- إن الأسلوب السهل من أهم خصائص أدب الأطفال. وهو الأسلوب الذي يدل على المعاني دلالة محسوسة ومباشرة بدون اللف والدوران. ويبتعد ما وسعه ذلك عن المعاني المجردة والمجازية. فعلى الكاتب أن يتحذر من إطالة الجمل الحوارية واتصاف السرد بالحيوية والحركة. يقول الدكتور محمود حسن اسماعيل: "المضمون هو الطعام أو الغذاء بالنسبة للأطفال. والأسلوب هو الطبق الذي يقدم فيه هذا الطعام. فلا بد أن يجذب هذا الطبق الأطفال قبل أن يتعرفوا على نوع الطعام المقدم. لذا يقال إن أدب الأطفال يجب أن يقدم في أطباق من الذهب".⁸⁴
- ومن أبرز خصائص الأسلوب في أدب الأطفال هو: الوضوح والقوة والجمال. ويتمثل وضوح الأسلوب وبساطته في وضوح الكلمات ووضوح التراكيب اللغوية وترابطها ووضوح الأفكار. وكل نوع من أنواع الغموض في هذه الجوانب يشوه المادة الأدبية ويفسدها. والأمر يكون دائماً أكثر جمالا إذا بدت واضحة. ويكون التأثير الذي يحدثه عميقاً بقدر ما يكون التعبير عنه بسيطاً.
- أن يكون التركيب سهلاً خالياً من الجمل الطويلة التي يحتاج فهمها إلى زمن أكثر طولاً. كذلك ينفر الأطفال الجمل التي يكثر فيها التقديم والتأخير، لأنها تضم تعقيداً معنوياً يتعذر فهمها عند الأطفال.

⁸⁴ - إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 65.

- أن يتجنب الأدب الموجه للطفل الإطالة المملة، فالطفل سريع الملل ويميل بطبعه للمختصر المفيد شرط عدم الإخلال بالشكل والمضمون معا.
- أن يسعى أدب الأطفال بكافة أنواعه إلى الاهتمام بالشكل والمضمون على حد سواء، وألا يطغى أحد الجانبين على الآخر، ويجد فيه الطفل ما يشده للإقبال عليه بدافعية ذاتية.
- أن تحمل الأجناس الأدبية -والقصة النثرية خاصة- عناوين جاذبة تحث على التفكير والربط والتحليل، والمتعة والتسلية التي ينشدها الطفل بطبيعته مراعية المراحل المقدمة لها.
- أن يقترب من الواقع ويبتعد عن الإغراق في الخيال إلا بالقدر الذي يحتاجه الطفل في بعض مراحل كجرعات مناسبة وبلا إسراف، فمرحلة الطفولة المبكرة أو مرحلة الخيال الإيهامي تمتد من الثالثة وحتى الخامسة تقريبا يكون فيها خيال الطفل حادا فيعرف مقدار القصص الخيالي المقدم له، وفي مرحلة الطفولة المتوسطة أو مرحلة الخيال الحر تمتد من سن السادسة وحتى الثامنة تقريبا يعرف الطفل فيها أن هذا القصص الخيالي ليس واقعيًا. وأما مرحلة الطفولة المتأخرة التي تمتد ما بين التاسعة والثانية عشرة سنة تقريبا وما بعد ذلك فإن الأطفال قد أخذوا ينتقلون من مرحلة القصص الخيالية والحكايات الخرافية إلى مرحلة القصص التي هي أقرب إلى الواقع. وهذا يتفق مع تقدمهم في السن وزيادة إدراكهم للأمور الواقعية.⁸⁵
- أن يبتعد أدب الأطفال عن التخويف والترهيب حفاظا على الطفل من الكدمات العاطفية والصدمات الانفعالية المؤثرة على السلوك والوجدان للصغير والذي لم تتضح بعد تجاربه الحياتية.
- أن يتواكب التطور الهائل الذي وصلت إليه المطابع من حيث الصور المرفقة بالقصص والثوب القشيب الذي تتحلى به والألوان الجاذبة للطفل وبعض الطرق الحديثة في تحريك الأوراق ولفها، ولا سيما في الكتب التعليمية والمقدمة لأسر لب الطفل وتحبيبه وإصاقه بالكتاب.⁸⁶
- تعتبر القصص التي تحتوي على الحيوانات والطيور من أنسب القصص لطفل المرحلة البدائية. وتتضمن هذه المرحلة الخيال الإيهامي. يجد الطفل نموا سريعا في العقل وبطيئا

⁸⁵ - نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، ص 38.

⁸⁶ - ضياء الدين، الدكتور محمد، أدب الأطفال في العالم العربي، كتاب المؤتمر الدولي، الجزء الثاني، ص 131.

في الجسد بالمقارنة إلى المرحلة العمرية السابقة. وكذلك تشهد هذه المرحلة محدودية في البيئة المحيطة بالطفل. فعالم الطفل محاصر بالأم والأب وأفراد الأسرة والجيران والأقارب والدمى وغيرها. كذلك يشهد ميل الطفل إلى محاكاة الآخرين وتقليدهم وإعادة تمثيل ما يشاهدونه وترديد ما يسمعون.

• وفي المرحلة المستهلة لأدب الأطفال يمكن البعد عن القصص التي تعتمد على الخيال تمام الاعتماد. بل لازم أن يكون الخيال ممتزجا بالواقع. يقول الدكتور هادي نعمان الهيتي: "ولا يستجيب الأطفال في هذه الفترة للقصص الخيالية، ولكنهم يغرمون بالقصص الواقعية الممزوجة بشيء من الخيال والتي تكون شخصياتها من الحيوان أو الجماد ناطقة متحركة".⁸⁷

• أن تكون القصة قصيرة وسريعة. لأن الطفل لا يتحمل الإطالة والتعقيد. وأنه سرعان ما يصاب بالملل والسامة.

• إضفاء بعض الصفات الحية على شخصيات القصة. لأن أفكار الأطفال تتعلق بأشياء محسوسة وملموسة.

• كذلك استخدام الأسلوب الوصفي والعبارات المسجوعة والجمال المنغومة ذات الإيقاع السريع لأن "الأطفال يهتمون في هذه المرحلة بموسيقى الكلمات، ويستمتعون بالجمال المنغومة، وتهزم العبارات الموزونة أو المسجوعة"⁸⁸.

• ارتباط علاقة الأطفال بأسرهم في جميع مراحل عمرهم خاصة في المرحلة الأخيرة لأن الأطفال عندما يبلغون أعمار المراهقة فيعتبرون هذه العلاقة عبثا ويريدون أن يخلصوا منها وأن يبنوا شخصياتهم بعيدين عن أوامر أسرهم ونواهيهم. ولكنهم يجدون مشاكل لا يستطيعون التغلب عليها. لأن ليس في وسعهم التحلل من الارتباط الاقتصادي والاجتماعي والنفسي. وفي هذه المرحلة يثورون على ملاحظات والديهم حول سلوكهم وملابسهم وأحاديثهم. وهم يؤكدون على أنهم لم يبقوا أطفالا، وأنهم أحرار في أن يفعلوا ما يشاءون. ومن أجل خطورة هذه المرحلة، يحتاج أدب الأطفال إلى التركيز على القيم الاجتماعية التي تساعد الناشئ على الاستقلال النسبي بشخصيته عن أسرته. ولا بد من

⁸⁷ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائطه، ص 29.

⁸⁸ - نفس المصدر، ص 31.

قيم أدب الأطفال أن يدور حول الآداب العامة والخاصة والسلوك الإيجابي والعادات السليمة. والجوانب الاجتماعية والشخصية والأخلاقية والجسمانية والمعرفية من أهم الجوانب التي هي لازم إبرازها.

• إن الأطفال يعيشون مع أترابهم فيؤثرون فيهم ويتأثرون بهم. ومن خلال التأثير والتأثر والأخذ والعطاء تترسخ فيهم بعض القيم والأخلاق التي كانوا لا يعرفونها من قبل. لأجل ذلك، ينصحون المربيون بالاهتمام بجماعة الأتراب. فقد تنزل أقدام الناشئ بسبب الاختلاط بالأتراب. ويتعلم منهم العادات السيئة مثل السرقة والنهب والغش. وقد يتعلم منهم المبادئ العالية في الأخلاق إذا كانوا أولي عادات حسنة وصفات سامية. فالأدب في هذه المرحلة يستطيع أن يربي الأطفال على اختيار الأصدقاء الجيدين. فيغرس فيهم قيما إيجابية كالتعاون والحب والصدق والأمانة والأثرة والكرم والعطاء والتسامح. وهذه الصفات قد تعلمها الأطفال في الأسرة أيضا. فمن المناسب للكاتب أن يركز على التكامل بين قيم الأسرة وقيم الأتراب بغية الإسهام في المنظومة الشاملة للقيم في شخصية الناشئ.

• إن المجتمع يربي الأطفال من خلال مؤسساته على القيم الإيجابية ليتيح لهم الفرص لإقامة العلاقة الطبيعية بالمجتمع والوطن والأمة. ويستطيع أدب الأطفال في هذه المرحلة إقناعهم بأهداف مجتمعتهم وأمتهم ووطنهم من خلال إيقاظ شعورهم بأهمية التعاون مع الآخرين والعمل والمساعدة على تحقيق الأهداف الاجتماعية والوطنية والقومية وودفعهم إلى الابتعاد عن الاغتراب والاتجاه النفعي الأناني والقسوة والخداع والنفاق والإسراف والمقامرة والخيانة.⁸⁹

• إن اللغة نظام من الرموز المنطوقة والمكتوبة. يحتاج إتقانه إلى نضج جهاز النطق وقدر من التوافق العقلي الحركي الحسي. وعادة يفهم الأطفال هذا النظام قبل أن يتمكن من استخدامه في الاتصال بالآخرين. ثم يسيطر عليه بطريقة تدريجية. يقول الدكتور سمر روجي الفيصل في هذا الصدد: "والطفل، عادة يفهم هذا النظام قبل أن يتمكن من استعماله في الاتصال بالآخرين، ويسيطر عليه شيئا فشيئا، مستعملا الأسماء أول الأمر، فالأفعال والروابط. وكلما نمت ذخيرته اللغوية استقامت مهاراته اللغوية الكلامية والتعبيرية. ويعين على نمو هذه الذخيرة تعدد خبرة الأطفال، واتساع بيئته، ومخالطته الراشدين، كما تؤثر

⁸⁹ - الفيصل، الدكتور سمر روجي، أدب الرياض والأطفال والفتيان، ص 193.

البيئة الاجتماعية والاقتصادية ومستوى الذكاء وسلامة الحواس في هذه الذخيرة سلبا وإيجاباً⁹⁰. ومن ثم يحرص المربون على ربط الأطفال بالكتاب والمجلة. كما يحرص الأدباء على تقديم المواد الشائقة المفيدة بغية غرس عادة المطالعة في نفوس الأطفال. حتى إذا تمكنت منه راح يلبئها دون دعوة وإغراء مباشرين. فلا بد في أدب الأطفال من العناية باللغة إذا رغب الأدباء في مساعدة المربين غرس عادة المطالعة في قلوب الأطفال والناشئين. لأن اللغة هي البناء الأدبي المعبر عن معان ومعارف وقيم. فلغة الأديب لازم أن تكون واضحة بعيدة عن الغموض في الألفاظ والتداخل في التراكيب. كذلك من المناسب أن تكون بسيطة وساذجة خالية عن الألفاظ الغريبة والتراكيب المعقدة.

⁹⁰ - الفيصل، الدكتور سمر روعي، أدب الرياض والأطفال والفتيان، ص: 194.

الفصل الثالث

مراحل نمو الطفل المختلفة وخصائصها

الفصل الثالث

مراحل نمو الطفل المختلفة وخصائصها

يمر الأطفال في حياتهم بمراحل مختلفة تنمو بهم وتنمي قدراتهم وتسلمهم إلى عتبات الشباب. وتختلف خصائص وطبيعة كل مرحلة من هذه المراحل عن الأخرى. وعلم نفس الطفل هو فرع متخصص في علم النفس التقليدي الذي يركز على الأطفال، ولا سيما نموهم وسلوكهم. يعرف أحد علماء النفس علم نفس الطفل بهذه الكلمات: "علم نفس الطفل هو الدراسة العلمية للفرد من بداياته ما قبل الولادة إلى المراحل المبكرة من نموه للمراهقة"⁹¹. إنه من أكثر أنواع علم النفس دراسة ومطالعة اليوم. يغطي هذا النوع من علم النفس عادة كل طفل من الولادة إلى المراهقة. ونمو الطفل هو فترة النمو البدني والإدراكي والاجتماعي التي تبدأ عند الولادة وتستمر حتى سن البلوغ المبكر. تشير تنمية الطفل إلى العملية التي من خلالها ينمو الإنسان وينمو من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ.

توجد علاقة وثيقة وقوية بين أدب الأطفال وعلم نفس الطفل حيث يعتمد نجاح الإنتاجات الأدبية الموجهة إلى الأطفال على رعاية حاجات وميول الأطفال في مراحل نموهم المختلفة. تقول الكاتبة اللبنانية لأدب الأطفال فاطمة شرف الدين: "إن الكتابة للطفل عملية دقيقة تتطلب معرفة عالية لسيكولوجية الطفل وتطوره الذهني والعاطفي"⁹². يوفر علم نفس الطفل لكاتب الأطفال فرصة لاطلاع على حاجات الأطفال وميولهم في مراحل نموهم المختلفة. إن الأديب الذي يتصدى للكتابة للأطفال يحمل على عاتقه مهمة جليلة وصعبة ومعقدة، وتحتاج إلى قدرة ودراسة من نوع خاص، إذ ينبغي له أن يكون غزير المعلومات والتجارب ومتعمقا في سيكولوجية الطفل على مختلف مراحل العمرية، وغير ذلك من الأدوات والعناصر والمناهج التي تمكنه من عرض مضمونه الفكري في شكل أخذ وقالب درامي جذاب دون أن يفقد معناه الأساسي. فإذا كتب العمل القصصي أو المسرحي على مستوى الكبار، فلن يتأثر به الصغار، ولا يأخذوا منه شيئا، وإذا اتخذ شكلا تعليميا صريحا فإنه سيفقد القدرة على إقناعهم من خلال إعادة صياغة مشاعرهم وأفكارهم

⁹¹ - Sharma, Ram Nath and Sharma, Rachana, Child Psychology, P 2.

⁹² - شرف الدين، فاطمة، المداعبة بشغاف أفئدة الأطفال الندي، جريدة إيلاف السعودية، 21 نوفمبر، 2013م.

تجاهه. ولذلك يجب أن تصاغ الفكرة في شكل فني ممتع، يبرز القيم الحقيقية دون أن يحاول التعبير بعواطف الأطفال أو يستهين بقدرتهم على الاستيعاب والتحليل والنقد.⁹³

الكتابة للأطفال ليست أمرا سهلا، إنما هي بحاجة إلى نوع خاص من القدرة الكتابية. فلا بد لكاتب الأطفال أن يتقن نفسه أولا بالخبرات الطفولية من خلال ملاحظة ودراسة حاجات الأطفال وميولهم وخصائصهم في مراحل الطفولة المختلفة. وقد عبر الدكتور الحديدي عن رأيه حول مبادئ وأصول الكتابة للأطفال من ناحية سيكولوجية ونفسية بهذه الكلمات: "كاتب الأطفال كطبيب الأطفال الذي لا بد له من أن يدرس أصول الطب العام ثم يطبق معلوماته على المرضى من الأطفال، كذلك الذي يكتب أدبا للأطفال لا بد له من أن يعرف الأصول العامة للكتابة الأدبية ثم يطبق معلوماته عن ما يكتب للأطفال. وكما أن طبيب الأطفال يلقي من الاحترام والتقدير ما يلقيه طبيب الكبار، فكذلك من يكتب للأطفال يجب أن يلقي نفس التقدير الذي يلقيه الأديب الذي يكتب للكبار".⁹⁴

وأنقل هنا ما قاله أحمد نجيب حول أهمية الاطلاع على مراحل النمو المختلفة للأطفال في مجال الكتابة: "على أن هذه الملاحظات لا تقلل من أهمية التعرف على مراحل النمو عند الأطفال وخصائصها المختلفة كمؤشرات على قدر كبير من الفائدة في مجالات الكتابة للأطفال".⁹⁵

مراحل نمو الطفل المختلفة

قبل أن أذكر مراحل نمو الطفل المختلفة، لا بد من الإشارة إلى بعض الأمور الهامة التي ذكرها الباحثون والمهتمون بأدب الأطفال⁹⁶ عند التصدي لتقسيم مراحل نمو الطفل المختلفة.

1- لم يتفق علماء النفس والتربية على تقسيمات موحدة لمراحل النمو، كما لم يتفقوا على بدايات هذه المراحل ونهاياتها.

⁹³ - راغب، الدكتور نبيل، فنون الأدب العالمي، ص 60.

⁹⁴ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 252.

⁹⁵ - نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، ص 38.

⁹⁶ - نفس المصدر، ص 38.

2- تتداخل هذه المراحل تداخلا زمنيا، وتختلف ما بين الذكور والإناث، كما تختلف باختلاف المناطق الجغرافية والشعوب والمجتمعات والتطور الحضاري والتقدم العلمي والفروق الفردية وعوامل الوراثة وغيرها من المؤثرات.

3- يرى بعض الباحثين⁹⁷ أن تقسيم مراحل الطفولة يبدأ بالسنة الثالثة من عمر الأطفال لأنهم غير قادرين قبل هذا العمر على تلقي أدب الأطفال من خلال الوسائط الكتابية. وبالإضافة إلى هذا، يمر الطفل في السنة الثالثة من عمره بتحول مهم وهو ما يسمى بأزمة الشخصية الأولى حيث يدرك فيها الطفل أن له ذاتا مستقلة عن ذوات الآخرين.

تنقسم الطفولة إلى أربع مراحل أساسية وهي كما يلي:

- **مرحلة الواقعية والخيال المحدود:** تشمل هذه المرحلة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث إلى خمس سنوات.
- **مرحلة الخيال المنطلق:** هي تشمل الأطفال الذين تمتد أعمارهم من ست إلى ثماني سنوات.
- **مرحلة البطولة:** تشمل هذه المرحلة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثماني أو تسع سنوات إلى اثنتي عشرة سنة.
- **المرحلة المثالية:** تشمل هذه المرحلة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين اثنتي عشرة سنة إلى خمس عشرة سنة.

والآن نتحدث بقدر من التفصيل عن هذه المراحل المختلفة وخصائصها، وما هي الأمور التي يجب رعايتها عند الخوض في مجال الكتابة للأطفال في ضوء علم نفس الطفل الذي أصبح جزءا رئيسيا لعملية الكتابة للأطفال في العصر الجديد.

1- مرحلة الواقعية والخيال المحدود من سن (3-5) سنوات

هي مرحلة الطفولة المبكرة وتسمى بمرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة أو مرحلة الخيال الإيهامي. في هذه المرحلة يعيش الطفل وينمو عادة ضمن عالم ضيق محدود، وهو يحاول

⁹⁷ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال، ص 17-18.

استخدام حواسه للتعرف على بيئته المحدودة المحيطة به، فيتأثر بعناصر عالمه الخاص، مستجيباً لتأثيراتها المختلفة، وهو يحاول بصورة مستمرة اكتشاف موقعه من هذا العالم وتتمو بداخله غريزة حب الاستطلاع والتعرف على ما وراء النهر أو البيوت في أطراف القرية والمدينة. إن السنوات التي تسبق السادسة من عمر الطفل لها خطورة وأهمية كبيرة في تكوين شخصية الطفل، إذ تتكون في هذه المرحلة الاتجاهات الرئيسية لشخصية الطفل، فيتعلم العادات الخاصة بالتغذية والنظافة والعادات المرتبطة بالجنس، كما يتعلم المهارات والاتجاهات العقلية والاجتماعية. يقول التربوي السوفيتي أنتون مكارينكو: "إن السنوات الخمس الأولى في حياة الطفل هي الفترة التي تستقر فيها أسس التربية الأولى، فكل ما يفعله الوالدان في هذه الفترة يمثل تسعين بالمئة من عملية التربية، ولئن كانت عملية التربية وتكوين الشخصية تستمر بعد هذه الفترة فإن معظم ما يجنيه المربي فيما بعد هو ثمار لأزهار تفتحت في تلك السنوات".⁹⁸

وفي هذه المرحلة يكون خيال الطفل حاداً ولكنه محدود وضيق مما يكون إيهامياً حيث يتصور الطفل العصا حصاناً وغطاء القدر مقود سيارة والدمية صديقة ورفيقة. وهو لذلك يعجب بالقصص الخيالية ذات الشخصيات الحيوانية أو الجمادية الناطقة أو المتحركة على أن تكون مما يعرف عنها شيئاً حقيقياً في حياته الواقعية. ويشد ميل الطفل في هذه المرحلة إلى المحاكاة والتقليد والتمثيل، فـ "يميل الأولاد إلى تقليد ما يعمله الرجال وتميل البنات إلى تقليد ما يعملنه النساء"⁹⁹ وتسمى هذه المرحلة مرحلة اللعب.

ويحتاج طفل هذه المرحلة للوضوح بالتعبير أو بالإيحاء، ولو لا يفهمه الطفل من الألفاظ والجمل والعبارات أكثر مما لديه من الحصيلة اللغوية التي يستخدمها في التعبير، لذا يقال إن لكل طفل قاموساً فهمياً وآخر كلامياً. وإن خيال الأطفال التوهمي في هذه المرحلة، يجد الأشكال القصصية المتنوعة من البيئة المحيطة بهم مقبولاً، وأنسبها ما احتوى على شخصيات محببة من الحيوانات الأليفة والنباتات أو شخصيات من البشر كالأب والأم والإخوة والأقارب والجيران. أما

⁹⁸ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال، ص 20.
⁹⁹ - أبو جعفر، الدكتور محمد عبد الله، علم نفس النمو، ص 87.

بالنسبة لحاجاته النفسية فالطفل "يحتاج إلى الأمن والحب والحنان والتواصل الوجداني والانتماء والقبول الاجتماعي واحترام الذات وتقديرها بالإضافة إلى الانجاز والنجاح والمرح والتسلية".¹⁰⁰

ولا يستجيب الطفل في هذه المرحلة للقصص الخيالية ولكنه يغرم بالقصص الواقعية الممزوجة بشيء من الخيال والتي تكون شخصياتها من الحيوانات والجمادات ناطقة متحركة. وفي منتصف هذه المرحلة يبدأ الخيال بالنمو، وتناسب هذه المرحلة القصص القصيرة وسريعة الحوادث المليئة بالتشويق. ولا يناسب أطفال هذه المرحلة كل ما ينطوي على إثارة مخاوفهم، كقصص الجان والعمفاريات والسحرة وقصص العنف والإجرام لأن مثل هذه الخبرات بعيدة عن بيئتهم كما أنها بعيدة عن آفاق خيالاتهم.

أما الفترة الأخيرة من هذه المرحلة فتوجب العمل على تهيئة الطفل للمرحلة التالية عن طريق توسيع خيالاته ورقعة بيئته وتهيئته اجتماعا لها وتشجيع اتجاهاته الاستقلالية وإمداده بالخبرات التي يحتاج إليها في سنوات عمره المقبلة. ومن الممكن ربط القصص بالحياة من غير أن تقسد تلك القصص استمتاع الطفل بخيال الطفولة الجميل. وبإمكان الكتاب الذين يعدون المواد الأدبية لهذه الفئة من الأطفال أن يستفيدوا من رغبة الطفل في هذه المرحلة للتعرف على كل جديد لكي يوفر له المعلومات الصحيحة والمناسبة والمشوقة، بعيدين عن الإثارة.¹⁰¹

وفي هذه المرحلة ينبغي أن يقدم إلى الأطفال كتابا يشتمل على قصة بسيطة مصورة أو أكثر من قصة يشتمل على الصور الكبيرة فهي لغة الطفل، تمتاز بالحركة والنشاط والبهجة والألوان الزاهية والأساسية ويخلو من صور العنف ويمتليء بالسلوك المقبول والقيم المرغوبة وينفخ فيهم حب الاستطلاع والحوار ويجيب عن أسئلة الأطفال عما حولهم وينمي فيهم الخيال وسعة الاطلاع ويشكل الرسم والموضوع وحدة متكاملة كما تكون الكلمات فيه قليلة.

2- مرحلة الخيال المنطق من (6-8) سنوات

¹⁰⁰ - رشاد، الدكتور أحمد حسام، أثر أدب الأطفال وخصائصه في مراحل الطفولة المختلفة، كتاب المؤتمر الدولي، الجزء الأول، ص 100.

¹⁰¹ - البكري، الدكتور طارق، مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، ص 30.

وهي مرحلة الطفولة المتوسطة أو مرحلة الخيال المنطلق والحر، حيث يظهر الطفل في هذه المرحلة رغبة حقيقية في التحول إلى الواقعية، متجاوزا اللون الإيهامي إلى اللون الإبداعي أو التركيبي الموجه إلى غاية عملية، لأنه يكون قد ألم بكثير من الخبرات المتعلقة ببيئته المحدودة، فيتسع فضوله ويزيد حبه للاستطلاع والمعرفة ما وراء الظواهر الواقعية، وينشط خياله في وضع الخطط والحلول السحرية. والطفل دائما في هذه المرحلة يسئل عن الموضوعات المختلفة ويسعى دائما للحصول على الإجابات المقنعة، فيجب على الوالدين وأولياء الأمور أن يجيبوا على تساؤلاتهم إجابة واضحة وبسيطة دون حرج. وتتبلور عند الطفل كثير من القيم الأخلاقية والمبادئ الاجتماعية في تعامله مع الآخرين.¹⁰²

وتتمو مشاعر الطفل في هذه المرحلة نحو العدل والمساواة ويظل تفكيره مرتبطا بالأشياء المحسوسة. ويتميز الطفل في هذه المرحلة بنمو سريع للخيال، فيتبلور ولعه بالقصص الخيالية والخرافية. ويحذر الباحثون من خطورة الانسياق وراء ميول الأطفال بهذا الاتجاه، لكن من الأفضل رعاية خيالهم في هذه المرحلة بشكل سليم والاسترشاد بأسس التربية لمعرفة ما يناسبهم دون الوقوف في طريق هذه الخيالات أو تحطيمها. لأن ذلك يؤدي إلى منع الطفل من ارتياد الآفاق التي لا يستطيع الكبار ارتيادها، فيؤثر ذلك في مجالات الإبداع في مستقبل الطفل.

وتتسع في هذه المرحلة ذخيرة الطفل اللغوية، لكن الأطفال في هذه المرحلة يفضلون القصص القصيرة، وخاصة تلك التي تكون نهايتها غريبة أو مضحكة كما يفضلون القصص المسلسلة التي ينتهي كل فصل منها بعقدة ونهاية، كما يحبون الطرائف التي تستند إلى التلاعب بالألفاظ والكلمات، كذلك أنهم يلتحقون بالمدرسة في هذه المرحلة، وتبدأ في حياتهم جوانب كئيبة بسبب المسؤوليات الجديدة، فيقومون بلجوء إلى التسكع في الطرق والشوارع أو يمارسون الألعاب التي تنسيهم أحزان المدرسة ومسئولياتهم. وهنا لا بد من الاهتمام بتنمية شعور الأطفال بالمسؤولية وتهذيب سيطرتهم على حركاتهم.

3- مرحلة البطولة من (9-12) سنة

¹⁰² - البكري، الدكتور طارق، مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، ص 31.

وهي مرحلة البطولة أو المغامرة وتسمى بمرحلة الطفولة المتأخرة، حيث ينتقل الطفل في هذه المرحلة من الخيال المنطلق إلى مرحلة قريبة من الواقع، وهذا يتفق مع تقدمه في السن وزيادة إدراكه للأمور الواقعية، فيبتعد عن الخيال قليلا ويهتم بالحقائق. وتستهي قصص الشجاعة والبطولة أطفال هذه المرحلة، ويلاحظ أنهم يستمتعون بمشاهدة الأفلام السينمائية والتلفازية، والعروض المسرحية وقراءة الصحف والمجلات، وهكذا يقوم الأطفال في هذه المرحلة بـ "الاهتمامات القرائية المركزة حول البحث عن الهوية الوطنية والانتماء إلى التاريخ".¹⁰³ أما البنات في هذه المرحلة فتزداد ميولهن إلى القصص المنزلية وأمور الزينة. يقول هادي نعمان الهيتي: "أما البنات فإنهن يغرن بالقصص التي تتناول الحياة المنزلية والأمور العائلية، مثلما يغرن بالقصص التي تتحدث عن الجمال أو تلك التي تثير الانفعالات، حيث يزداد الاختلاف بين البنين والبنات في أواخر هذه المرحلة".¹⁰⁴

وفي قصص المغامرات والاكتشافات، وهي القصص المرغوبة في هذه المرحلة، يجب الحرص على توفير الدوافع الشريفة من أجل غرس الانطباعات الفاضلة في نفوسهم وتفسيرهم من الأعمال المتهورة والعدوان والاندفاعات الحمقاء. وتمتاز هذه المرحلة بامتلاك الطفل إمكانيات تتيح له القراءة في مجالات متعددة، ويتطور حب الأطفال للقصص التي تحكى على لسان الطيور والحيوانات بالإضافة إلى حب للكتب التي تزيد معلوماتهم عن هذه الطيور والحيوانات. ويمتاز أطفال هذه المرحلة أيضا بازدياد الرغبة في معرفة المزيد عن العالم والكون والحياة والشعوب الأخرى وتعلم الهوايات والمهارات اليدوية. ويرغب أطفال هذه المرحلة أيضا بمطالعة القصص التي تعتمد على التفكير والتوقع وقصص الأسفار والرحلات وقصص البطولة. ويمكن استغلال هذه الرغبة بتعريفهم بالبطولات التاريخية والمعاصرة والأمجاد والمعارك والفتوحات، فضلا عن تقبلهم لفهم قيم الجمال والأخلاق والإيثار والتفاعل مع المجتمع بشكل أكبر، مما يجعلهم عناصر فعالة ومؤثرة تقوم أفكارهم على القيم الصحيحة البناءة، بعيدا عن الأوهام والانحرافات التي قد تتخذ سبيلها إليهم لسهولة تقبلهم أي شيء في هذه المرحلة، مما يشكل تحديا شديدا للموجهين والمربين.

¹⁰³ - حجازي، مصطفى، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، ص 199.
¹⁰⁴ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائطه، ص 41.

ويجب على كتاب أدب الأطفال التعامل مع أطفال هذه المرحلة بدقة بالغة نظرا لخطورتها وأهميتها.

4- مرحلة المثالية من (12- 15) سنة

تسمى هذه المرحلة أيضا بمرحلة اليقظة الجنسية. ففي بداية هذه المرحلة، يأخذ الطفل بتجاوز حياة الطفولة إلى مرحلة شديدة الحساسية، حيث تحصل فيها تغيرات جسمية واضحة، يصحبها ظهور القوى الجنسية واشتداد الميل الاجتماعي وتبلور التفكير الاجتماعي والنظريات الفلسفية عن الحياة، وهي المرحلة المصاحبة لفترة المراهقة التي تبدأ عادة مبكرة عند البنات بما يقرب السنة أو أكثر. وطبقا لعلماء النفس والتربية، تعتبر المراهقة "فترة عواصف وتوتر وشدة، تكتنفها الأزمات النفسية وتسودها المعاناة والإحباط والصراع والقلق والمشكلات وصعوبات التوافق".¹⁰⁵ ويشغف الأطفال في هذه المرحلة بالقصص التي تمزج فيها المغامرة بالعاطفة، وتقل فيها الواقعية وتزيد فيها المثالية.

ومن المفيد في هذه المرحلة للوالدين وأولياء الأمور أن يتحدثوا مع الأطفال في ضوء التعاليم الإسلامية حسب متطلبات العصر عن بعض القضايا الجنسية كي يبعدوا عنهم الخوف والقلق والحرمان حتى لا ينظروا إلى الجنس نظرة مشوهة. ومن المناسب أن تتم مشاركة الأطفال في بعض المعلومات التي من المفيد أن يتعلموها بشكل صحيح وعلمي، حتى لا يتلقفها بشكل خاطئ وبطرق خاطئة. إن أدب الأطفال يمكن أن يؤدي دورا كبيرا في التربية العاطفية بما فيها التربية الجنسية مادام الأدب يتسلل إلى الذهن والعاطفة بشكل مؤدب.¹⁰⁶ أعرب الدكتور هادي نعمان الهيتي عن قلقه حول مواقف الأسر العربية غير الصحية تجاه التربية الجنسية أو تساؤلات الأطفال عن بعض القضايا الجنسية حيث تهملها وتترك "الأطفال كي يفهموا بعض حقائق الجنس من الشارع أو من خلال كتب وأفلام ومطبوعات المتاجرة بالجنس دون أن يتلقوا شيئا بهذا الصدد وفق أسس التربية الصحيحة"¹⁰⁷، ويؤيد بموقف التربية الجنسية بواسطة أدب الأطفال بشكل مؤدب

¹⁰⁵ - زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، 291.

¹⁰⁶ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته فنونه ووسائله، ص 49.

¹⁰⁷ - نفس المصدر، ص 49.

بهذه الكلمات: "ومما يزيد في أهمية عناية أدب الأطفال بالتربية الجنسية، هو أن البيت في مجتمعنا العربي والمدرسة أيضا، ماتزالان، حتى الآن، غير مؤهلتين للقيام بهذا الدور، لأن البيت والمدرسة، ماتزالان تربطان الجنس بالتحريم والغموض والعقاب والذنب، بحيث يشعر الطفل أن مجرد التساؤل عن أي قضية تخص الجنس أمر هو أقرب إلى الجرم".¹⁰⁸

وتتنوع قراءات الأطفال في هذه الفترة بين القصص والروايات والأخبار والمقالات السياسية كما أنهم يقضون أوقاتا غير قليلة في مشاهدة التلفزيون أو في الاستماع إلى الراديو، واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي على مواقع الانترنت، وتختلف اهتمامات الأولاد عن اهتمامات البنات في كثير من المجالات. كما يلاحظ أن أطفال هذه المرحلة يتابعون برامج الكبار في التلفزيون والإنترنت. ويميلون إلى قراءة كتب وصحف الكبار. وكثيرا ما تلاقي البرامج والكتب والصحف المقدمة إليهم على أساس أنهم أطفال عز و فهم لأنهم يلمسون فيها ما ينم على النظر إليهم كصغار، في الوقت الذي يعتبرون فيه أنفسهم أنهم قد شبوا.

ويميل الناشئ في هذه المرحلة إلى القصص الوجدانية والبطولية والجاسوسية والجنسية والواقعية التي تصور مشكلات الشباب في المجتمع، بالإضافة إلى القصص التي تتحقق فيها الرغبات الاجتماعية والمصالح كالنجاح في المشروعات الاقتصادية والوصول إلى درجة القيادة والزعامة.¹⁰⁹ وفي أواخر هذه المرحلة يبدأ الطفل بالدخول في مرحلة النضوج العقلي والاجتماعي. ويكون قد كون بعض المبادئ الاجتماعية والخلفية والسياسية، سواء أكانت خاطئة أم صحيحة. وتتضح في الغالب ميوله واتجاهاته في الحياة. لذا يجب إشباع حاجاته وتوجيهه نفسيا واجتماعيا وتعليميا ومهنيا من خلال تقديم ما يناسب عواطفه ومشاعره المرهفة وتفكيره الوثاب الذي يبحث عن صورة ترضي أناه.

من هنا، يجدر لكتاب أدب الأطفال أن يعرفوا خصائص هذه المرحلة لكي ينجحوا في الكتابة لفئة هذه المرحلة التي تعتبر أخطر مراحل الطفولة، حيث يصفها علماء علم النفس كفترة حاسمة وفترة عاصفة وتوتر في حياة الإنسان. ومن المناسب في هذه المرحلة أن يقدم للطفل لونا

¹⁰⁸ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته فنونه ووسائطه، ص 49.

¹⁰⁹ - نفس المصدر، ص 52.

خاصا من الأدب كما يقول محمد حسن بريغش: "ومن المناسب تقديم ألوان من الأدب تحوي شتى الأطعمة والأمزجة، منها ما يتعلق بأفكاره، ومنها ما يتعلق بخياله، ومنها ما يتعلق بعواطفه، ومنها ما يتعلق ببيئته، ومنها ما يتعلق بعلاقته مع أصدقائه وأسرته، ومنها ما يتعلق بمستقبله، ومنها ما يتعلق بطرق النجاح للشباب والطفل".¹¹⁰ ويجب على كاتب الأطفال أيضا أن يكتب للأطفال هذه المرحلة قصصا تنمي ذكائهم العاطفي ويمكن استخدامها لمعالجة مشاكل الأطفال النفسية والذهنية.

¹¹⁰ - بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، ص: 167.

الباب الثاني

أدب الأطفال العربي: أشكاله وأعلامه وموضوعاته في كتاباتهم

الفصل الأول: أدب الأطفال العربي وأشكاله المختلفة.

الفصل الثاني: الأعلام الكلاسيكيون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال.

الفصل الثالث: الأعلام المعاصرون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال.

الفصل الأول

أدب الأطفال العربي وأشكاله المختلفة

أدب الأطفال نوع من الأدب الذي برز وتطور على أيدي الكتاب والأدباء العرب في مختلف فترات الزمان. وقد عالجه أعلام العرب والغرب ثانيا كتاباتهم وإنتاجاتهم الأدبية. في أول الأمر، كان أدب الأطفال يتألف من القصص المنطوقة والحكايات الشفوية التي يحكيها الجدات والأجداد وأرباب الأسرة للأطفال لتعليمهم وتسليتهم أو الأغاني والهدايا التي يغنيها الأمهات عند نوم الأطفال. ولما ظهر أدب الأطفال كنوع أدبي جديد في زمن محمد علي بمصر على يد رفاعة الطهطاوي بعد النهضة الأدبية الحديثة، شهد أدب الأطفال لأول مرة المواد المكتوبة في شكل الشعر المترجم. وفي السنوات القادمة، قفز أدب الأطفال في العالم العربي قفزات طويلة وقدم إلى الأطفال المواد في أنواع أدبية مختلفة من القصة والشعر والمسرحية بكافة مظاهرها حديثة الظهور. في السطور الآتية، سنذكر بغاية من الإيجاز جميع أشكال أدب الأطفال المختلفة وأنواعها وأهميتها في أدب الأطفال وشروطها التي يجب توافرها عند تقديمها للأطفال.

القصة

تحتل القصة مكانة متميزة ومقاما لائقا بين سائر أنواع أدب الأطفال الأخرى كما يقول الدكتور الحديدي: "القصة فهي أكثر أجناس أدب الأطفال شيوعا"¹¹¹. والقصة هي فرع من فروع الأدب القديمة عرفته الأقوام عالميا كقدامة الثقافة الإنسانية، وتناقلته الأجيال بصورة شفوية لحقبة من الزمن. وكانت الرواة والقصاصون يسردون حكايات الأبطال والسحرة والعمالقة على الناس في أوقات فراغهم ومنها الأساطير والملاحم. ولا يخلو أي مجتمع من المجتمعات البشرية إلا وللقصة فيه مكان خاص كما ولها أثر عميق في نفوس القراء والناشئين. بينما تتمتع القصة بالركيزة الأولى في أدب الأطفال، ويميلون أنفسهم إليها ويقبلون عليها، ويجذبهم ما فيها من أفكار وأخيلة وأحداث حيث أن القصة لون من اللعب الإيهامي الذي يحتاج إليه الصغار على نحو كبير لأنها

¹¹¹ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 120.

تشبع الأطفال بعنصر الخيال¹¹²، فكأنها حلم يمر في خواطرهم ويعيد الاتزان إلى نفوسهم حيث يجدون في كل قصة يقرؤونها شخصية أو أكثر تشابها لتلك الشخصيات التي قد يتعاملون معها في حياتهم.¹¹³

وتعريفًا لقصة الأطفال تقول الدكتورة إيمان البقاعي: "قصة الأطفال فن ثري شائق، مروى أو مكتوب يقوم على سرد حادثة أو مجموعة من الحوادث مختلفة الموضوعات والأشكال، مستمدة من الخيال أو من الواقع أو من كليهما معاً، لها شروطها الفنية المتعلقة كذلك بهذا النمو. ويشترط فيها أن تكون واضحة، سهلة ومشوقة، وأن تحمل قيماً ضمنية تساهم في نشر الثقافة والمعرفة بين الأطفال، كذلك تساعد على تنمية لغتهم وتطوير أفكارهم وتغذية ذوقهم، فتجمع بين لغتي المعرفة والفن"¹¹⁴.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن القصة الموجهة للأطفال لا تختلف من قصة الكبار في البناء الفني والعناصر الأساسية للقصة إلا وفيها خصائص وشروط يجب مراعاتها عند كتابة القصة للأطفال من ناحية اللغة والأسلوب ومستوى الطفل العقلي والفكري وغيرها. يقول محمد مرتاض: "فلا فرق بين قصة الكبار وقصة للصغار إلا في التبسيط والتوضيح والتحليل والابتعاد عن الغموض المفرط أو التعقيد المموج، ولا بد بالإضافة إلى ذلك أن تشمل القصة على مغزى أخلاقي يدفع الطفل إلى التفكير والتركيز.¹¹⁵ فقصة الأطفال مثل غذاء الأطفال يجب أن يحتوي على جميع العناصر الأساسية المطلوبة لنمو الجسم والعقل ولكن بمقادير تستوعبها معدة الطفل وتكون قادرة على هضمها.¹¹⁶

أهمية القصة

القصة ذات أهمية قصوى وقصة الأطفال لها أهمية كبيرة في عالمنا اليوم، يمكن الاعتماد عليها، سواء في التلقين والتربية، أو المعرفة، أو الترفيه، أو التثقيف أو التوجيه، أو غرس القيم

¹¹² - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الطفل: فلسفته، فنونه ووسائطه، ص 133.

¹¹³ - المرجع نفسه، ص 133.

¹¹⁴ - البقاعي، الدكتورة إيمان، المتقن في أدب الأطفال والشباب لطلاب التربية ودور المعلمين، ص 117.

¹¹⁵ - المرتاض، محمد، من قضايا أدب الأطفال، ص 142.

¹¹⁶ - عبد الله، محمد حسن، قصص الأطفال: أصولها الفنية...روادها، ص7.

الوطنية أو الاجتماعية المرغوبة فيها والمأمولة.¹¹⁷ فالقصة تثري خبرات الأطفال وتنمي مهاراتهم وتكسبهم الاتجاهات الايجابية وهي تزيدهم بالمعارف والمعلومات والحقائق عن الطبيعة والحياة، وتطلعهم على البيئات الاجتماعية كما أنها تثري لغتهم وترقي بأساليبها وتنمي قدراتهم التعبيرية عن الأفكار والمشاعر للطفل من خلال ضبط انفعالاته وتخفيف التوتر عنه والكشف عن قدراته المكبوتة ومعالجة بعض المشاكل والأمراض النفسية وبعض العيوب اللفظية لديه. وهي أيضا وسيلة جيدة لتطوير علاقات وأنماط سلوك إيجابية في حياة الطفل وتعزيز الاتجاهات التي تنمي قدراته على مواجهة المشكلات.

اتفق علماء النفس والتربية والأدباء والكتاب على أن القصة هي أكثر ملائمة للأطفال لنموهم العقلي والثقافي كما يشترك إليها الأطفال في جميع مراحل أعمارهم المختلفة بشوق ورغبة، وهي تتفاعل مع نفسية الأطفال، وتنسجم بمداركهم العقلية كما تزود خزينتهم اللغوية. والأطفال يحاولون تقليد أبطالها في نطقهم وشؤونهم الاجتماعية. والقصة تشبع حبهم للاستطلاع وتنمي قدراتهم التعبيرية، وهي وسيلة مؤثرة لتنمية أنماط سلوكيات إيجابية في حياة الطفل كما توفر لهم قسطا وافرا من المتعة والسرور.

والدكتور هادي نعمان الهيتي يلقي الضوء على أهمية القصة في مجال أدب الأطفال بهذه الكلمات "يلاحظ أن الأطفال شديداً التعلق بالقصص وهم يستمعون إليها ويقرؤونها بشغف، ويحلّقون في أجوائها، ويتجاوبون مع أبطالها، ويتشبهون بما فيها من الأخيلة، ويتخبطون من خلالها أجوائهم الاعتيادية وأنها تقودهم بلطف ورقة وسحر إلى الاتجاه الذي تحمله، إضافة إلى أنها توفر لهم فرصا للترفيه في نشاط ترويحي، وتشبع ميولهم إلى اللعب".¹¹⁸

ويعترف الكاتب الكبير الدكتور حسن شحاتة بأهمية القصة وتفوقها على الأصناف الأدبية الأخرى في ميدان أدب الأطفال ويكتب "والقصة تأتي في المقام الأول من الأدب المقدم للأطفال، فالأطفال يحنون إليها ويستمتعون بها ويجذبهم ما فيها من أفكار وأخيلة وحوادث، فإذا أضيف إلى هذه كله سرد جميل وحوار ممتع كانت القصة قطعة من الرفيع محببة للأطفال، والقصة فوق ذلك

¹¹⁷ - عبد الفتاح، الدكتور اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 51.
¹¹⁸ - الهيتي، هادي نعمان، أدب الطفل: فلسفته، فنونه ووسائطه، ص 33.

تستثير اهتمامات الأطفال. وعن طريقها يعرف الطفل الخير والشر فينجذب إلى الخير ويتنأى عن الشر وهي تنمي حصيلته اللغوية، وتنمي معرفته بالماضي والحاضر وتشرب به إلى المستقبل فهو من أفضل الرسائل التي نقدم بها ما نريد أن نقدمه للأطفال".¹¹⁹

أنواع القصة

وباعتبار محتويات القصة ومضامينها، تنقسم قصة الأطفال إلى أنواع متعددة، ومن أهمها قصص الحيوان، وقصص البطولة والمغامرة، وقصص الأساطير والخوارق، والقصة التاريخية، والقصة الفكاهية، والقصة العلمية حسب ما ذكره هادي نعمان الهيتي.¹²⁰ وبالإضافة إلى هذه الأنواع، ذكر المؤلفون الآخرون في مجال أدب الأطفال أنواعا أخرى للقصة. فنجد القصة البوليسية، والقصة الوطنية والدينية، والقصة الاجتماعية والقصة الواقعية وغيرها.¹²¹ وفي هذه الأيام، نجد الأنواع الجديدة من القصة مثل القصة المصورة، ورواية من الخيال العلمي، والقصة التوجيهية والتوعوية والقصة عن البيئة وغيرها. وهنا نذكر بغاية من الإيجاز بعض أهم أنواع القصة.

قصة الحيوانات

يولع الأطفال بالقصص التي تجري على ألسنة الحيوانات، لأنهم ينتمون شخصياتها وترتبطهم بها علاقات وجدانية لأنها أقرب إلى نفوسهم، كما أن علاقات الأطفال الاجتماعية محدودة في نطاق الأسرة والجيران وتكمل الحيوانات في قصص الأطفال هذه الخبرات الناقصة عند الأطفال، فيربطون بين صفات وسلوك أبطال القصة وبين صفات وسلوك أصدقائهم. يقول الدكتور عبد الفتاح المعال: " قصة الحيوانات هي من أفضل القصص وأكثرها رواجاً وأشدّها حبا بين الصغار والناشئين، فهي القصص التي يكون فيها الحيوان الشخصية الرئيسية، وتحمل صفات الإنسان وتعمل مثله".¹²²

¹¹⁹ - شحاتة، الدكتور حسن، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، ص 36.

¹²⁰ - الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال فنونه، فلسفته، وسائطه، ص 131.

¹²¹ - أحمد، نجيب، أدب الأطفال: علم وفن، ص 84.

¹²² - أبو معال، الدكتور عبد الفتاح، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ص 51.

القصة الأسطورية والخرافية

أجمع علماء النفس والتربية على أن القصص الأسطورية هي محببة لدى الأطفال في جميع أنحاء العالم، بصرف النظر عن اختلافهم في الجنس والمكان والبيئة واللغة. تعتمد القصص الأسطورية على العجائب والغرائب والخوراق، وفيها أبطال من الجن والعملاق والسحرة والكهنة الذين يقدرون على إنجاز الأعمال الخارقة التي لا نتوقع صدورها في عالمنا الحقيقي بوجه عام. ويجري فيها على العموم الصراع بين الخير والشر. وتنتهي معظم هذه الحكايات الخرافية على انتصار الخير على الشر. وفي هذا الباب قصة "علاء الدين والمصباح السحري" والقصص الأخرى من ألف ليلة وليلة، شهيرة جدا.

قصص الخوراق

يقبل الأطفال على قصص الخوراق إقبالا شديدا، ويجذبون إليها أكثر من القصص الدينية والعلمية. وهي تعتمد على أبطال لهم قدرات خارقة للطبيعة البشرية، يأتون بأفعال معجزة، من أمثال سوبرمان وباتمان وغيرهما. وأبطال هذه القصة لا يقهرون بل ويمتلكون قوى غير عادية. يقول هادي نعمان الهيتي: "إن قصص الخوراق الحديثة تنمي خيال الأطفال لما فيها من مواقف مشبعة بالخيال لكنها من الجانب الآخر تمجد البطولة الفردية، ولا تصلح للأطفال الصغار حتى ما بعد الحادية عشرة أو الثانية عشرة، لأن الأطفال في هذه المرحلة يقتنون بالبطولة والأبطال".¹²³

القصة التاريخية

هي نوع من القصص الذي يعتمد على الأحداث والشخصيات التاريخية والمواقع الحربية والغزوات. وتأتي هذه القصص ممزوجة بقصة حب تقع بين أبطاله. وقد يتضمن هذا النوع قصص الرحالة بما فيه من معلومات عن البلدان والقارات والمحيطات والناس، وهو يضمن عادة طرائف من الشرق والغرب ترمي إلى تنمية الخيال والإلمام بثقافة الناس وطبائعهم وعاداتهم

¹²³ - الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، ص 165.

وحظائريهم. وبها قصص طريفة حوادثها أخاذة وأسلوبها مشوق تبهج القارئ وتطلعه على ألوان مشوقة من الحياة وتدفع عنه السأمة والملل وتعوده على حسن التفكير.¹²⁴

القصة الدينية

هذا النوع من القصص يشتمل على قصص القرآن وسير الأنبياء والرسل والصحابة والخلفاء والأبطال الخالدين الذين دافعوا عن قضية الدين حيث يجد الطفل الموعظة الحسنة والمثل الأعلى. وتُعرف القصة الدينية بأنها كل ما يستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين والفتوح الإسلامية وقيم الدولة الإسلامية. وكذلك ما يستمد من القرآن في شكل قصص الأنبياء والأمثال التي يضربها القرآن في شكل قصصي. أما السيرة والسنة، فتعطينا الغزوات ومواقف الصحابة المشاهير والتابعين البارزين، وقصص الفتوح تقدم البطولات والتضحيات المثالية.¹²⁵ وتشرح القصة الدينية للأطفال أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وتعزز في نفوسهم الإيمان بالله، وبرسله، وكتبه، وملانكته، واليوم الآخر، كما تحثهم على المعاني الفاضلة.¹²⁶

القصة الاجتماعية

نوع من القصص يتناول الأسرة والروابط الأسرية، والعلاقة بين الأب والأم والأبناء والأخوة والجيران، وعلاقة الطفل بالمدرسة وزملائه وأساتذته، والمناسبات المختلفة، ومظاهر الحياة المختلفة المحيطة بالطفل.¹²⁷ والآن بدأ كتاب أدب الأطفال يعالجون القضايا الاجتماعية في قصة الأطفال لخلق قدراتهم على مواجهة المشاكل في حياتهم القادمة. ويرجع فضل إدخال القصة الاجتماعية إلى الأستاذ يعقوب الشاروني الذي كتب كثيرا حول القضايا الاجتماعية المصرية في القصص الموجهة للأطفال.¹²⁸

¹²⁴ - شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص 22.

¹²⁵ - حلاوة، محمد السيد، الأدب القصصي للطفل، ص 85.

¹²⁶ - أبو معال، الدكتور عبد الفتاح، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ص 75.

¹²⁷ - شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص 62.

¹²⁸ - ألبانو، الدكتورة ماريان، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 13.

القصة البوليسية

القصة البوليسية تدور أحداثها أصلاً حول مشكلة معقدة أو جريمة غامضة كل الغموض، ولكن هذا الغموض لا بد أن يكشف في نهاية الأمر بفضل ذكاء السري وسرعة بديهته. وتؤمن أجاثا كريستي بأن القصة البوليسية فن راق يساعد على تنمية الذكاء وتطوير المقدرة على التفكير والتخمين والاستنتاج. والقصة البوليسية لا تهدف إلى التسلية فقط ولكنها ذات مغزى أخلاقي واضح يؤكد أن الجريمة لا تفيد، فمن النادر أن نجد قصة بوليسية تنتهي بانتصار المجرم أو العجز عن اكتشاف سر الجريمة، لأن المتعة كلها تكمن في اكتشاف هذا السر. قال مخرج فيلم الرعب الشهير ألفريد هيتشكوك: إن القصة البوليسية هي خير أداة لإظهار بشاعة الجريمة حتى لا يفكر أحد في ارتكابها إذا راودته نفسه.¹²⁹

القصة الفكاهية

يجذب الأطفال إلى القصص الفكاهية بشكل ملفت للنظر حيث يجدون فيها وفي الطرائف والنوادر ما يضحكهم. تستهدف القصص الفكاهية بكافة أنواعها من النكتة والنوادر والطرائف والدعابات والحكاية المرححة إلى جانب الضحك إثارة تفكير الطفل وتنمية ذوقه وإذكاء إحساسه وبعث الإشراق والتفاؤل إلى نفسه. ويعد جحا شخصية فكاهية جدا في أدب الأطفال العربي. يقول الدكتور الحديدي حول أهمية الضحك والفكاهة للأطفال: "والضحك والفكاهة يفكان حبال الضغط والتوتر للشعور والتفكير، فصدمة المفاجأة اللذيذة عند كل مضحكة نوع من العلاج الكهربائي، فكل جسم الصغير يتحرر من التحكم المدرسي الذي يفرض عليه، ويهرع إلى الهدوء والراحة، أو يستجيب بسرور للمرح والفكاهة"¹³⁰.

القصة العلمية

نوع من القصص يدور حول حدث علمي أو اكتشاف أو اختراع وقع في عصر من العصور، وغالبا ما يعرض للبيئة التي نشأ فيها المخترع، وصفاته الشخصية، وقدرته على قمع

¹²⁹ - راغب، الدكتور نبيل، فنون الأدب العالمي، ص 225.
¹³⁰ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 193.

العراقيل التي تقف في سبيله وكيف يتغلب عليها وصولاً إلى اختراعه أو كشفه العلمي.¹³¹ وهكذا تتضمن القصة العلمية تلك القصص التي تدور أحداثها حول مظاهر الطبيعية وقوانينها لمعرفة الأسباب العلمية وراء طلوع الفجر، وغياب الشمس، ولمعان الكواكب، وهطول المطر، وجريان الأنهار، ونبت الأشجار وغيرها.

قصة الخيال العلمي

في السنوات الأخيرة الماضية، شهد أدب الأطفال العربي نوعاً جديداً من القصة وهو قصص الخيال العلمي الذي يختلف من قصة الخيال التي تعتمد على القصص الخرافية والعجائبية بدون تقيدها بقاعدة أو ارتباطها بمعطيات العلوم الصحيحة¹³²، بينما تقع أحداث قصة الخيال العلمي في الفضاء أو على كوكب آخر بعيداً عن الأرض في زمن الحال أو المستقبل، وتدور حول فكرة علمية يمكن وقوعها إذا تطور العلم.¹³³

وأخيراً نذكر بعض الأمور التي يجب رعايتها عند كتابة القصة للأطفال، وهي:

- أن تكون العناصر الفنية للقصة واضحة، ومتناسبة مع مستوى الطفل من حيث وضوح الفكرة والزمان والمكان، ووحدة القصة، وبساطة اللغة، وأن تبتعد عن الغموض بحيث تكون مقنعة في أحداثها فلا تخرج من مستوى الطفل من ناحية، ولا تصل إلى حد الاستخفاف به ويتفكيره من ناحية أخرى.¹³⁴
- أن تتناسب القصة مع نفسية وعقلية المرحلة أو الفئة العمرية الموجهة إليها، وتراعي خصوصية مراحل الطفولة المختلفة كما تساهم في إثراء خيال الطفل وتنمية القدرات الإبداعية لديه.
- أن تحمل القصة عناوين جاذبة تحث على التفكير والربط والتحليل، وتقدم المتعة والتسلية للأطفال.

¹³¹ - شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص 59.

¹³² - العمري، عبد الحفيظ، أدب الخيال العلمي: تعريفه وسماته، موقع منظمة المجتمع العلمي العربي، 12 فبراير، 2015م.

¹³³ - نفس المصدر، (<http://arsco.org/article-detail-528-8-0>).

¹³⁴ - أبو الرضاء، سعد، النص الأدبي للأطفال أهدافه، ومصادره وسماته رؤية إسلامية، ص 90-91.

- لابد أن تراعي القصة قاموس الطفل اللغوي ويتفق أسلوبها مع مستوى الطفل ودرجة نموه من النواحي اللغوية والنفسية.¹³⁵
- الابتعاد عن أسلوب الوعظ والإرشاد والنصح المباشر، وتحقيق الأهداف الخلقية والاجتماعية بطريق غير مباشر.¹³⁶

الشعر

بدأ أدب الأطفال العربي المكتوب بالشعر، وله مكان هام في حياة الأطفال لأنهم ميالون إلى الإيقاع منذ أيامهم الأولى.¹³⁷ وشعر الأطفال هو تلك الكلمات العذبة التي يرددها الطفل فيطرب لسماعه، وهو يلبي جانبا من حاجاته الجسمية والعاطفية، ويسهم في نموه العقلي والأدبي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي، إنه فن من فنون أدب الأطفال. فكلما شعر في معناها جوهر هذا الفن الجميل، ففيها إحساس وفطنة، وفيها شعور ووجدان، وإذا كان النثر تفكيراً، فإن الشعر انفعال.¹³⁸

إن أدب الأطفال فن رفيع، والشعر بشكل خاص من أقرب الفنون إلى نفس الطفل وأكثرها تأثيراً فيه فهو غذاء للروح، سمير القلب والعين ويكشف عن معنى الأشياء التي يسكن إليها القلب والعين. إنه الحاسة السادسة الكامنة في أعماق الإنسان كما قال الشاعر مصطفى بهجت بدوي: " إن كل إنسان يولد عادة وله خمس حواس معروفة، أما الحاسة السادسة الكامنة فهي حاسة الشعر بصورة ما".¹³⁹ إنه الصوت الحسن الذي يسري في الجسم ويجري في العروق كما زعم أهل الطب، فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتهش له النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات. ولهذا فقد كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب.

في الشعر موسيقى وفيه تنغيم وإيقاع، والأطفال يميلون إلى التنغيم و الإيقاع والموسيقى والكلام المقفى منذ نعومة أظفارهم، فالشعر الجيد للأطفال، المليء بالتجارب الحسية والصور

¹³⁵ - نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، 59-61.

¹³⁶ - نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، ص 60.

¹³⁷ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائطه، ص 207.

¹³⁸ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، 107.

¹³⁹ - راشد، أنتيلة، الشعر في مجلات الأطفال، ص 1.

والأحلام الحقيقية يشكل جزءاً لا يتجزأ من حياة الأطفال. والشعر الجميل بموسيقاه وإيقاعاته وأوزانه وقوافيه يبهج النفس ويمتعها وبخاصة إذا حملت هذه الأدوات مضمونا يلتصق بالوجدان، ويساوي في ذلك الكبير والصغير على حد سواء، ولعل مرده إلى أن علاقة الطفل بالشعر تبدأ من مرحلة الطفولة المبكرة وربما من مرحلة المهد حيث يستجيب للإيقاعات المنظمة المتمثلة بدقات قلب الأم التي يستمع إليها عندما يكون محمولا إلى صدرها، فيشعر بالهدوء والسكينة، كما أنه يستجيب للإيقاعات المنظمة المتمثلة في ترانيم محببة ترددها الأم، إما طربا إذا كانت للترقيص وإما استسلاما لنوم مريح لذيق.¹⁴⁰

أهمية الشعر

وللشعر أهمية كبيرة في حياة الأطفال لأنه يعد وسيلة هامة لإبهاج النفس ومتعتها بما يحويه من إيقاعات ونفحات تطرب لها النفس حتى ولو كان هذا الشعر مجرد نشيد يؤدي دون مصاحبة الموسيقى. يلعب الشعر دورا كبيرا في تنمية الذوق والإحساس بالجمال والقدرة على التخيل وإدراك أبعاد جديدة رائعة للأشياء المحيطة به. وهو وسيلة من وسائل تنمية الثروة اللغوية بما يحوي من كلمات جديدة موحية وعبارات وتراكيب جميلة. فتزداد ثروة الطفل اللغوية ويتسع أفق قاموسه اللغوي وبالتالي، يصبح أكثر قدرة على إدراك مواطن الجمال في الكلمات والعبارات. وهو وسيلة رائعة لتهديب الطبع وتعديل السلوك والتبصير بالسلوك المرغوب والدعوة إليه والتغيير من السلوك غير المرغوب فيه لما يحتويه من قيم تربوية تؤثر في سلوكه، كما هو وسيلة لإيقاظ العواطف والأحاسيس النبيلة كحب الوالدين والأهل والعطف على الفقراء والمساكين، وإثارة الحاسة الوطنية. فالكلمة أصبحت سلاحا في معركة الحياة. إضافة إلى ذلك، يعد شعر الأطفال من أكبر الوسائل لتنمية المعلومات والمعارف المختلفة التي تثري خبرات الأطفال، فمن خلال معرفة معاني كلمات القصيدة يزداد خبرة تضاف إلى معلوماته السابقة.¹⁴¹

¹⁴⁰ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 107.
¹⁴¹ - نفس المصدر، ص 108.

أشكال الشعر

يتخذ الشعر طريقه إلى أطفالنا عبر أشكال شتى، فقد يكون على شكل أغنية أو نشيد أو عرض مسرحي غنائي، أو مسرحية شعرية، أو قصة غنائية وغير ذلك. وهذا يعود إلى طبيعة الشعر الذي ينقسم إلى أنواع، منها، الشعر الملحمي والغنائي والدرامي والتعليمي.¹⁴² يقول الدكتور نعمان هادي الهيتي إن أكثر ألوان شعر الأطفال شيوعاً هو الشعر القصصي.¹⁴³

يعتمد الشعر الملحمي على قصة شعرية قومية بطولية خارقة للمألوف يختلط فيها الخيال بالحقيقة والتاريخ بالأساطير. والشعر الغنائي يعتمد على الأغنية التي تتحول إلى قصائد متعددة الأغراض. والشعر الدرامي هو الشعر المسرحي، يعتمد على تصوير شخصيات مسرحية وتحديد أبعادها. ويصور الشعر التعليمي حقائق أو حكم في أبيات ويحولها إلى لوحات نابضة بالحياة. وقد يحتوي الشعر التعليمي كل أشكال الشعر عند الأطفال، ويهدف إلى إعطاء الأطفال بعض الحقائق أو لونا من ألوان المعرفة الجديدة بشرط أن لا يخرج الشعر عن مقوماته الأساسية كشعر، حيث يعتمد على التصوير في التعبير.

وهناك مجموعة من الأمور والمعايير التي يجب رعايتها عند نظم الشعر للأطفال:

- أن تكون موسيقا الشعر خفيفة سهلة تشوق الأطفال وتطرب مسامعهم، والقوافي لطيفة سلسلة تدفع إلى الحفظ وسهولة التذكر. قد اهتم الشاعر الروسي (تشايكوفسكي) بالقوافي أكثر مما يكون الاهتمام خاصة بالنسبة للشعر المقدم للأطفال، وعلل ذلك بأن الطفل عندما تبدأ علاقته بالكلمة المنطوقة فإنه يتلفظ الأشياء ذات المقاطع المتشابهة مثل: كلمة ماما، بابا، دادا وغيرها، فهذه المقاطع تكون الإيقاعات والقوافي الطبيعية.¹⁴⁴
- حسن اختيار الوعاء اللغوي الذي يحمل الشعر للأطفال بحيث يعتمد اللغة العربية الفصحى المبسطة والتي تقترب من حصيلة الأطفال اللغوية.

¹⁴² - نجيب، أحمد، فن الكتابة للأطفال، ص 81.

¹⁴³ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائله، ص 215.

¹⁴⁴ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 109.

- العناية بالفكرة التي يدور حولها الشعر، وحسن اختيار الموضوع بحيث يقابل حاجات الأطفال ورغباتهم وميولهم، فالشعر يجب أن يكون دقيق الصلة بحياة الأطفال وأحاسيسهم ومشاعرهم.
- التركيز على قضية واحدة دون إفاضة، واعتماد المباشرة في الطرح والدقة في المعالجة، وأن تكون الأشعار قصيرة وسهلة الفهم والاستيعاب.
- أن تكون القصيدة قادرة على إثارة خيال الطفل وتنمية قدرته على التصور.
- أي يكون الشعر المقدم للأطفال مرحا جذابا مليئا بالحيوية والإشراق، وقادرا على إثارة العواطف الرقيقة.
- أن تتضمن أشعار الأطفال بما يدفع للحركة والتقليد كالأشعار القصصية التي تصلح للتمثيل.
- الاعتماد على التكرار الذي يركز على بعض المعاني والألفاظ بحيث يسهل إدراكها ونطقها والتأثر بموسيقاها.
- الاعتماد على طرح المعاني الحسية القريبة من متناول الأطفال والبعد عن المجردات التي يصعب إدراكها وفهمها.¹⁴⁵
- استخدام البحور التي تتميز بالقصر مثل بحر الكامل والرجز.¹⁴⁶
- يجب أن يكون الشعر مناسباً للطفل من الناحية البيئية والعقلية، وخبرة الطفل واهتماماته.¹⁴⁷

المسرحية

مسرحية الطفل هي شكل آخر وأهم ألوان أدب الأطفال المحببة إلى نفوسهم، ولها أهمية كبيرة في تحقيق الشفاء النفسي من الخجل والانطواء وعيوب النطق، والأهداف التربوية الأخرى للطفل. ويقصد بمسرحية الطفل ذلك المسرح البشري الذي يقوم على الاحتراف من أجل الأطفال والناشئة فحسب، وحددت وظيفتها الاجتماعية بأنها مساهمة عن طريق العمل الفني في التربية

¹⁴⁵ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 109.

¹⁴⁶ - نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، 111.

¹⁴⁷ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 208.

وبناء الأجيال الصاعدة.¹⁴⁸ ينطبق على مسرح الأطفال كل ما ينطبق على مسرح الكبار من عناصر أدبية وفنية، فهو يحتاج إلى كاتب موهوب مبدع مثقف دارس لعناصر المسرحية ومقوماتها، ولخصائص الأطفال ومراحل نموهم، كما يحتاج إلى مخرج خلاق متميز.

أنواع مسرح الطفل

ينقسم مسرح الأطفال من حيث الشكل إلى أنواع متعددة ومنها: المسرحية النثرية، والمسرحية الشعرية، ومسرح العرائس والدمى. والمسرحية الشعرية أكثر جمالا وأبلغ دلالة على قدرة ناظمها من المسرحية النثرية التي تعد أكثر شيوعا من أخواتها. وهناك نوع آخر من المسرح وهو المسرح المدرسي، ولكن بعض النقاد يفرقون بين مسرح الطفل والمسرح المدرسي باعتبار أن المسرح المدرسي هو تحويل المناهج إلى نصوص درامية.¹⁴⁹

أما أنواع المسرحيات للأطفال من حيث المضمون والموضوع فهي عديدة ومن أهمها: المسرحية الاجتماعية التي تدور حول مشكلة من مشكلات المجتمع فتبرزها وتعرض أسبابها وتبصر الناس بخطورتها، والمسرحية التعليمية التي تدور حول المعالجة الدرامية لبعض الدروس التعليمية في فرع من فروع المعرفة المختلفة، والمسرحية الوطنية والقومية التي تدور غالبا في موضوع يغرس في نفوس الأطفال حب الوطن والولاء له والتفاني في سبيل إعلاء شأنه، والمسرحية التثقيفية التي تدور حول موضوع من موضوع الثقافة، والمسرحية التهذيبية التي تدور حول القيم والفضائل والعادات الحسنة وقد تحتوي المسرحية الواحدة على أكثر من نوع من أنواع المسرحية.¹⁵⁰

أهمية مسرح الطفل

يعد الفن المسرحي في مقدمة الفنون التأثيرية التي تحمل الأفكار المختلفة، وتستخدم للتربية والتوجيه والتغيير. ومسرح الأطفال خاصة يكتسب أهمية مضاعفة لما يضطلع به من مهمة خطيرة في تنشئة الأطفال وتكوينهم وتفجير طاقاتهم الإبداعية والسلوكية. ولذلك لم يكن مارك توين مبالغا

¹⁴⁸ - العناني، حنان عبد الحميد، الدراما والمسرح في تعليم الطفل، ص 24.

¹⁴⁹ - المطيري، حبيب بن معلا، مسرحية الطفل دراسة نقدية، ص 10.

¹⁵⁰ - عبد الفتاح، الدكتور اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 66.

حين ذهب إلى أن مسرح الأطفال هو أعظم الاختراعات في القرن العشرين، ووصفه بأنه " أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع إلى السلوك الطيب، اهتدت إليه عبقرية الإنسان لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة أو في المنزل بطريقة مملة، بل بالحركة المتطورة التي تبعث الحماسة. إن كتب الأطفال لا يتعدى تأثيرها العقل، وقلما تصل إليه بعد رحلتها الطويلة الباهتة، ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الأطفال فإنها لا تتوقف في منتصف الطريق بل تمضي إلى غايتها".¹⁵¹ فمسرح الطفل أحد الوسائط الفاعلة في تنمية الأطفال عقليا وعاطفيا وجماليا ولغويا. وتتمثل أهمية مسرح الطفل في تنشئة الطفل وتربيته في الأمور والنقاط التالية:

- هو وسيلة ناجحة لإكساب الطفل المتلقي قيما خلقية واجتماعية سوية، فالمسرحية تساهم في غرس كثير من القيم الأخلاقية في نفوسهم كالشجاعة والصدق والأمانة والحرص على أداء الواجب وغيرها، وبذلك تستطيع المسرحية أن تشكل وجدان الطفل تشكيلا سويا.
- يسهم في إذكاء روح الانتماء الجماعي، ونبذ الأنانية، ومحبة النفس، وهذا يتضح حين يلحظ تفاعل الطفل مع أبطال المسرحية وتقمصه لشخصياتهم، واندماجه الشعوري واللاشعوري في الأحداث، يفرح لفرح الأبطال، ويحزن لحزنهم، مما ينمي عنده روح الإيثار والتفاعل مع الآخرين.
- يلعب دورا فاعلا في إثراء الجانب اللغوي في نمو الطفل خلال مراحلها المختلفة، وتحبيب الاستخدام المناسب للتراكيب اللغوية الفصيحة، وتقوية قدرة الطفل على الربط بين اللفظة ومدلولاتها الحسية بل التجريدية في بعض الحالات.
- يوفر للطفل قدرا كبيرا من المتعة والسرور من خلال الحكمة الفنية الزاخرة بالتشويق والفكاهة والتسلية.
- يعمق مسرح الطفل إحساس الطفل المتلقي بالاستقرار والأمن، وهذا الإحساس من أهم الحاجات البشرية¹⁵²، وعن طريق المسرح يمكن تعميقه في وجدان الطفل، يقول أحد المهتمين بأدب الأطفال: " نطمح أن يحس الأطفال بالاستقرار والأمن لأن هذا الإحساس

¹⁵¹ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، ص 90.

¹⁵² - زيدان، محمد مصطفى، النمو النفسي للطفل والمراهق، ص 58.

هو الأساس في بناء صرح الحياة النفسية للطفولة، لذا نراهم يتساءلون برية عما يحيط بهم، ولا يقر لهم قرار ما لم يطمئنوا إلى محيطهم، وأدب الأطفال وسيلة الأطفال إلى الاطمئنان والسعادة والأمل".¹⁵³ ولا شك في أن مسرح الطفل من أكثر ألوان الأدب جذبا وتشويقا وتحقيقا للغايات التربوية.

- يخلق مسرح الطفل ثقة في نفس الطفل، وينمي في وجدانه القدرة على تفسير سلوكيات الآخرين وفهمها.
- يشبع مسرح الطفل شغف الأطفال المتلقين بالمغامرة، ذلك أنهم يندمجون كليا مع شخصيات المسرحية وأحداثها المليئة بالتدافع، ومغامرات بعض الشخصيات الرئيسية، "ومن العبث أن نتجاهل شغف الأطفال وحبهم للمغامرات في طفولتهم عامة، وطفولتهم المتأخرة والمتوسطة خاصة، فهذه الخاصية جزء لا يتجزأ من كيانهم النفسي".¹⁵⁴
- يغذي مسرح الطفل الخيال، وينمي التفكير الإبداعي عند الأطفال المتلقين، ويزيد من ذوقهم وإحساسهم بالجمال.
- يستخدم مسرح الطفل لتحقيق الشفاء النفسي، ومن الظواهر النفسية التي يمكن معالجتها عن طريق التمثيل الخجل والانطواء وعيوب النطق.¹⁵⁵

وجدير بالذكر، هناك بعض الأمور يجب رعايتها عند كتابة وتقديم المسرحية للأطفال من تطبيق العناصر الأدبية والفنية للمسرحية، واعتبارات الجانب النفسي والعقلي للطفل وخصائص مراحل الطفولة المختلفة، ورعاية مستوى الطفل اللغوي في الحوار، وإثارة الخيال وتنمية التفكير الابتكاري وتذوق الفن والجمال عند الطفل، وتنوع الموضوعات التي تسعى وراء تحقيق أهداف الأطفال حسب متطلبات العصر والمجتمع.

¹⁵³ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته، فنونه وسائطه، 89.

¹⁵⁴ - د. عواطف محمد، و د. هدى قناوي، الطفل العربي والمسرح، ص 21.

¹⁵⁵ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته، فنونه وسائطه، ص 301.

الفصل الثاني

الأعلام الكلاسيكيون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال

الفصل الثاني

الأعلام الكلاسيكيون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال

مر أدب الأطفال في العالم العربي بمراحل مختلفة بالنسبة لنشأته وتطوره والتغيرات في موضوعاته، فلم يتطور بنفس الزخم والطريقة في جميع البلدان العربية، بل بدأ وانتشر في المراحل المختلفة. يرجع تاريخ بداياته إلى مصر في عهد محمد علي باشا من خلال الترجمة على يد رفاعة الطهطاوي وعثمان جلال بهدف التنقيف وتربية البنات والبنين في البيئة المدرسية. ثم جاءت مرحلة الإبداع، فلعب كل من شوقي والكيلاني والهاوي وغيرهم دورا كبيرا في تأصيل أدب الأطفال العربي مع المضامين ذات القيم الأخلاقية والدينية والإنسانية، مستمدين من التراث العربي والعالمى وحكايات الحيوانات وغيرها. وبعد ذلك، ظهر العديد من الكتاب في مجال أدب الأطفال بعد الستينات، ومن بينهم يعقوب الشاروني وعبد التواب يوسف في مصر، وزكريا تامر وسليمان العيسى في سوريا، وروزغريب في لبنان وغيرهم في البلدان العربية الأخرى. كانت القضية الفلسطينية مادة أدبية غزيرة عند أدباء أدب الأطفال العرب منذ الخمسينات من القرن العشرين. وزاد اهتمام الكتاب بها في الفترات اللاحقة بحيث وجدت القصة والقصيدة الوطنية الفلسطينية طريقها إلى مدارس عدد من البلدان العربية. وبرز الكثير من الكتاب الذين عالجوا قضية فلسطين في كتاباتهم للأطفال، فعلى سبيل المثال لا الحصر، زكريا تامر في القصة وسليمان العيسى في مجال الشعر.¹⁵⁶

شهد أدب الأطفال العربي نقطة تحول في مساره بمناسبة السنة العالمية للطفل عام 1979م¹⁵⁷ حيث نما الاهتمام بأدب الأطفال بشكل واضح مترافقا مع الخطط لتطوير التربية في الدول المتقدمة، فصدرت كتب للأطفال في اتجاهات متنوعة بما فيها أخلاقية، ووطنية، وتعليمية، وثقافية، ودينية وتاريخية. كانت القصص الدينية أنتجت بغزارة وقد استمرت في الفترات القادمة.

¹⁵⁶ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 17.
¹⁵⁷ - إعلان هيئة يونيسكو، 1 يناير، عام 1979م، الموقع الرسمي ليونيسكو.

وتم تأسيس بعض دور النشر التي تقتصر إنتاجها على الأطفال مثل "دار الفتى العربي" في عام 1975م ببيروت، و"دائرة ثقافة الطفل" في العراق وغيرهما.¹⁵⁸

ومنذ عام 1990م، اتخذ أدب الأطفال منعطفا جديدا، ورافق مع تنامي حركة تشجيع حقوق الطفل، وبرامج الإصلاح التربوي التي تماشيت مع طموحات برنامج "التعليم للجميع" الذي أقر في مؤتمر القمة العالمي في جو متين عام 1990م.¹⁵⁹ وبعد التسعينيات، أخذ أدب الأطفال في العالم العربي يشهد تغيرا كبيرا في شكله الداخلي والخارجي جراء الدوافع المتعددة. ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن الدكتورة نجلاء نصير قسمت أدب الأطفال العربي إلى ثلاث مراحل ذكرتها آنفا. أما الأستاذ يعقوب الشاروني، فإنه يرى أن ماصدر من كتب للأطفال قبل 1970م نُطق عليها كتب الرواد، والكتب في الفترة ما بين 1970م وحتى 2000م نطق عليها الكتب الحديثة للأطفال، أما الكتب الصادرة منذ 2000م وخلال السنوات الأخيرة فسنطلق عليها الكتب المعاصرة.¹⁶⁰

وجدير بالملاحظة أنه هناك عدد من كتاب أدب الأطفال الذين قضوا معظم حياتهم في الكتابة للأطفال، ولذلك نراهم ينتجون ويبدعون في المراحل الثلاث المذكورة. وقد تنوعت مواضيع كتاباتهم، كما تنوعت الفئات العمرية التي توجهوا إليها. وفي هذا الفصل نختر بعض الأدباء الكلاسيكيين والرواد من تاريخ أدب الأطفال العربي قبل التسعينيات، ونسلط الضوء على حياتهم وإسهاماتهم في أدب الأطفال، ونركز خاصة على الموضوعات التي عالجوها لكي نفهم كيفية التغيرات والاتجاهات الحديثة في إنتاجات الكتاب المعاصرين من حيث الموضوع والمحتوى.

محمد عثمان جلال: (1828م - 1898م)

يعد محمد عثمان جلال من الطلائع الذين فتحوا باب أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث عن طريق الترجمة والتعريب والاقتباس. ويعتبر ديوانه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ"، والذي يشتمل على الحكايات المبنية على الدروس التعليمية والأخلاقية على السنة

¹⁵⁸ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 20.

¹⁵⁹ - نفس المصدر، ص 23.

¹⁶⁰ - تقرير جريدة التحرير الإخباري المصرية حول ندوة عقدت في مصر بعنوان "الكتابة للطفل بين ثلاثة أجيال"، 30 يناير، 2018م.

الحيوانات والطيور والحشرات والجمادات، كما هو أول محاولة عربية ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في مصر، ومهدت الطريق أمام الكتاب العرب لترسيخ جذور أدب الأطفال في العالم العربي من خلال انتخاب حكايات صالحة لأدب الأطفال في الديوان.¹⁶¹ كان محمد عثمان جلال من أبرز التلاميذ لرفاعة رافع الطهطاوي ويتقن اللغة الفرنسية¹⁶²، فقام بترجمة حكايات لافونتين الخرافية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية في أسلوب شعري وجمعها في ديوان. يقول محمد عثمان نفسه: " أخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير لافونتين. وهو من أعظم كتب الأدب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان على نسق كتب الصادح والباغم، وفاكهة الخلفاء، وسميتها " العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ ".¹⁶³

ولد محمد عثمان جلال في عام 1828م ببلدة "ونالقس" من أعمال محافظة بني سويف في مصر. وهو شاعر مصري ومترجم قدير. التحق بمدرسة القصر العيني عام 1839م بعد أن أكمل تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ الحساب وإجادة الخط. أعجب به رفاعة رافع الطهطاوي، فأخذه إلى مدرسة الألسن، وبفضل نبوغه وإتقانه اللغة الفرنسية التحق بالديوان الخديوي كمعلم ومترجم للفرنسية، وظل يتدرج بعد ذلك مناصب في أعمال الترجمة والكتابة في دواوين الحكومة، وأخيراً، تولى منصب "القاضي" بمحكمة الاستئناف بالقاهرة، وتوفي بها عام 1898م.¹⁶⁴ بالإضافة إلى ديوانه الشهير "العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ" الذي نقله من الفرنسية إلى العربية، ألف محمد عثمان جلال كتباً عديدة ومؤلفات ومترجمات متنوعة مثل: "أربع روايات من نخب التيارات" و "الروايات المفيدة في علم التراجم" و "الأمانى والمنة في حديث قبول ورد جنة" و "التحفة السنوية في لغتي العرب والفرنساوية" و "الإسكندر الأعظم" وغيرها من المترجمات. قام بإسهاماته الأولى في إقامة المسرح المصري الحديث ومثلت بعض رواياته المسرحية على خشبة المسرح.¹⁶⁵

ورغم أن كتب وترجم محمد عثمان جلال مؤلفات عديدة ولكن هذا البحث سيتناول فقط ديوانه "العيون اليواظ" للاستعراض والتحليل من ناحية المحتوى والموضوع. وتشير الدراسات التاريخية

¹⁶¹ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 96.

¹⁶² - نفس المصدر ص 19.

¹⁶³ - جلال، محمد عثمان، العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ، تحقيق: عامر بحيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.

¹⁶⁴ - الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج 7، ص 145.

¹⁶⁵ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 19.

في مجال أدب الأطفال العربي إلى أن ديوان "العيون اليواقظ" كان خطوة أولى خطاها الشاعر عثمان جلال في مجال أدب الأطفال العربي عن طريق الترجمة والتعريب. ويشتمل هذا الديوان على الحكايات الشعرية و المواد الخصبه التي كانت صالحه ومناسبة لأدب الأطفال والناشئين، فقد اهتم الشاعر بالأمثال اهتماما واضحا بحيث وضع في نهاية حكاياته عصاره المضمون الذي يشكل قيمة أخلاقية أو تعليمية أو جمالية أو لغوية. وهذه كلها من الغايات الأساسية التي يهدف أدب الأطفال إلى غرسها في الأطفال والناشئين، أما المؤلفات الأخرى لعثمان جلال، فكانت موجهة للكبار عامة. يقول الدكتور أحمد زلط: "وبرغم أن محمد عثمان جلال صاحب "العيون اليواقظ" لم يشر في ديوانه أنه قصد به الطفل دون سائر الأعمار إلا أن الديوان لقي إقبالا واستحسانا من جانب المربين ورجال التعليم وأهل الأدب يومئذ، بحيث تم إقراره على أطفال المدارس الأولية لسنوات طويلة".¹⁶⁶

وبصرف النظر عن الخوض في المقومات الشعرية والظواهر الفنية لديوان "العيون اليواقظ" في الأمثال والمواعظ، نذكر مباشرة محتويات الديوان، ثم نناقش الموضوعات العامة التي عالجها الشاعر في ديوانه. يقع الديوان في 223 صفحة، ويتضمن 205 حكاية شعرية، بلغ عدد الحكايات التي صاغها الشاعر على أسنة الحيوانات والطيور والحشرات والجمادات 88 حكاية شملت القيم الأخلاقية، والجمالية، وعظات، ونصائح، وإمتاع، وتسلية، وكذلك حاول الشاعر طرح القيم التعليمية والإرشادية في أربع وسبعين حكاية أخرى على أسنة الحيوانات. وبالإضافة إلى ذلك، نظم الشاعر 34 منظومة من الأدب الوعظي الحكيم على لسان البشر، كما قرض سبع منظومات في المدح وتقريظ المؤلف، والاستهلال وخطبة الختام.¹⁶⁷

تتنوع المصادر التي نهل منها الشاعر في نظم الحكايات، فليس كل حكايات الديوان منقولة برمتها أو من ناحية أفكارها عن لافونتين. نقل بعض الحكايات عن إيثوب والتراث الفرعوني والمشرقي، والمأثور الشعبي للأدب الإغريقي. ونظم محمد عثمان جلال بعض الحكايات والأقاصيص من فيض خياله، بالإضافة إلى الاستفادة من التراث العربي القديم. يقول الدكتور

¹⁶⁶ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 97.

¹⁶⁷ - نفس المصدر، ص 96.

أحمد زلط: فكتاب "العيون اليواقظ" - فيما أرى - ليس كله ترجمة لحكايات لافونتين وليس تأليفا خالصا للشاعر محمد عثمان جلال، إذ يلتزم بحرفية الترجمة عندما يلجأ إلى تعريب أفكار بعض حكايات لافونتين، كما أضاف، وعدل، وحذف في معظم تلك الحكايات والأقاصيص، مثل التي استردها من الموروث الشعبي والأدبي العربي، بل ألف من ذاته عدة مقطوعات".¹⁶⁸ اهتم الشاعر أيضا بتضمين بعض مفردات الآيات القرآنية وبعض أقوال الرسول ﷺ في ضوء الحديث النبوي في عدد غير قليل من منظومات الديوان. ففي حكاية "الديك الذي لقي لؤلؤة" رقم 196، يقول الشاعر:

"سبحانه، يخص من شاء بما شاء من أهل الأرض أو أهل السما

القرط مع غير ذوي الآذان والقول مع غير ذوي الأسنان!"¹⁶⁹

في هذه القصة، قام الشاعر بتضمين البيت الحادي عشر لقول الله عزوجل: "قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير".¹⁷⁰ بالإضافة إلى هذا، هناك العديد من الأشعار التي استلهم فيها الشاعر من الآيات القرآنية والحديث الشريف.

يهدف أدب الأطفال إلى تسلية وغرس القيم الخلقية والتعليمية والوجدانية واللغوية في الأطفال والناشئين، فتتنطبق وظيفة أدب الأطفال على معظم المضامين التي قصد إليها الشاعر في نظم حكاياته. نجد في الديوان "العيون اليواقظ" مضامين متعددة تكمن في طياتها مجموعة القيم التي يريد الشاعر غرسها في الأطفال عن طريق الحكايات على أسنة الحيوانات والطيور باعتبارها من الكائنات والموجودات المحببة عند الأطفال. في قصة "السلحفاة والأرنب". نجح الشاعر في تكثيف معنى قيمة العمل والمثابرة في المثل الحكيم القائل: من جد وجد. أشار الشاعر في قصة "الغراب والثعلب" إلى الصورة المعهودة من صور الاحتيال عند الثعلب، لكنها تركت العبرة عند الغراب بأن يحرص ويفكر ولا ينخدع بمعسول الكلام. وهكذا تخاطب معظم الحكايات

¹⁶⁸ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 59.

¹⁶⁹ - ديوان "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" لعثمان جلال، حكاية "الديك الذي لقي لؤلؤة"، رقم الحكاية 196.

¹⁷⁰ - سورة آل عمران، الآية 26.

عقل الأطفال وإدراكهم بواسطة النصيحة والإرشاد وتلقين المعارف بأسلوب تعليمي ووعظي، وتدعوا الأطفال إلى التحلي بمجموعة القيم من القناعة، والعدل، والتعليم، والعمل، والصبر، والصدق، والتعاون، والحب، والرحمة، والثقة بالنفس، والتفكير، والأمانة، ونبذ المكر والأنانية، والإيمان وغيرها من القيم الإنسانية والصفات النبيلة.¹⁷¹

فذلكة القول إن ديوان "العيون اليواظ" لمحمد عثمان جلال من أول الإسهامات المترجمة التي عادت الطريق لإنشاء أدب الطفل في الأدب العربي الحديث في مصر، عن طريق تعريب بعض حكايات الحيوانات من روائع الأدب العالمي عامة ومن حكايات لافونتين خاصة، إلى جانب الاقتباس والتأليف، إذ لم يلتزم الشاعر بنقل الحكايات كما هي في أصولها الأجنبية، بل حذف منها وعدل وأضاف ولم يقف عند حدود الترجمة الحرفية، كما اقترب الشاعر أيضا من الروح المصرية الصميمة. وتدور معظم الحكايات حول الموضوعات الأخلاقية والتعليمية والنصائح والمواعظ والأمثال والحكم التي كانت موادا خصبة لأدب الأطفال في ذلك الوقت.

أحمد شوقي: (1868م-1932م)

يعد الشاعر المصري الموهوب أحمد شوقي واحدا من أعظم شعراء اللغة العربية في مختلف العصور، بايعه الأدباء والشعراء أميرا لهم في حفل أقيم بالقاهرة عام 1927م، فلقب بأمير الشعراء في الأدب العربي. وهذه الإمارة الشعرية له لا تقتصر على إنتاجاته الأدبية للكبار فقط بل يرجع فضل التأصيل الفني لأدب الأطفال العربي أيضا إلى شوقي الذي كان تعويضا عادلا عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبّي.¹⁷² يقول الدكتور عبد المعطي شعراوي: "يعد أمير الشعراء أحمد شوقي المؤصل الأول لشعر الأطفال في الأدب العربي الحديث في مصر".¹⁷³ شهدت مصر محاولات عديدة في مجال أدب الأطفال قبل شوقي، قام بها رفاة الطهطاوي ومحمد عثمان جلال، ولكنها كانت مقتصرة على الترجمة والتعريب فقط. تبدأ مرحلة التأصيل الفني لأدب الأطفال بدعوة شوقي النظرية والتطبيقية بعد رجوعه من فرنسا إلى مصر. يقول الدكتور علي

¹⁷¹ - زلط، الدكتور أحمد زلط، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 179.

¹⁷² - الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، ص 370.

¹⁷³ - شعراوي، الدكتور عبد المعطي، المسرح المصري المعاصر، 88.

الحديدي: " وإذا كان رفاة الطهطاوي أول من قدم للأطفال العرب أدبا مدونا بالعربية وإن كان مترجما عن الإنجليزية، فإن أمير الشعراء أحمد شوقي أول من ألف أدبا للأطفال باللغة العربية".¹⁷⁴

خلال إقامته في فرنسا، اطلع أحمد شوقي على نوع جديد من الأدب للأطفال، فتأثر بالأفصيص والحكايات الخرافية التي كان يكتبها الكاتب الأوربيون للأطفال بهدف الأغراض التعليمية، الترفيهية والتربوية، وخاصة بحكايات "لافونتين" الخرافية. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف للأطفال العرب أيضا، نظم شوقي حكايات شعرية متعددة على أسنة الحيوانات والطيور على منوال لافونتين واختار أسلوبه في كتابة الحكايات. يقول شوقي في مقدمة لديوانه "الشوقيات": "وجريت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهير، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة أو المتمدنة منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم".¹⁷⁵

ومن هذه العبارة يتضح أن شوقي تأثر بما كتبه الأوربيون لأطفالهم، وكان يرغب في إنتاج المواد الأدبية للأطفال العرب على منوال الأدباء الفرنسيين لكي ينجح في نقل الحكمة والأدب والمتعة إلى الأطفال حسب مستوياتهم الإدراكية. وبالرغم من لم يذكر شوقي في هذه العبارة صراحة تأثره بمحمد عثمان جلال صاحب "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ"، ولكنه لا يرفض هذا الإهمال عن تأثره بعثمان جلال والمصادر الأخرى من التراث العربي عند نظم الحكايات. يقول الشاعر أحمد سويلم "أن شوقيا قد تأثر بالطبعة الأولى من "العيون اليواقظ" التي صدرت قبل ميلاده".¹⁷⁶ ويقول الدكتور الحديدي أيضا: "إن الحكايات عند شوقي تتنوع مصادرها بين الأدبين العربي والأجنبي، إذا استقى أفكاره الأخرى من أصول تراثية عربية ككليلة ودمنة وحياة الحيوان

¹⁷⁴ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 244.

¹⁷⁵ - السربوني، الدكتور محمد صبري، الشوقيات المجهولة، ص 22.

¹⁷⁶ - سويلم، أحمد، أطفالنا في عيون الشعراء، ص 158.

وغيرهما، أفاد أيضا من تمصير عثمان جلال لحكايات لافونتين، ومما نظمه في ديوانه نقلا عن أصول عربية ومصرية".¹⁷⁷

هناك أسباب متعددة دفعت أحمد شوقي إلى الاهتمام بشعر الأطفال، فأشير هنا إلى بعض منها كما ذكرها الدكتور أحمد عفيفي في مقاله بعنوان "استراتيجية الكتابة للأطفال عند الشاعر أحمد شوقي".¹⁷⁸ يرجع السبب الأول إلى الحب الجارف الذي يحمله شوقي في قلبه تجاه أبنائه، وفي مقدمتهم ابنته الأولى "أمينة" التي حظيت بالنصيب الأوفى ونالت حظا وافرا عن بقية أبنائه من الكتابة عنها مباشرة. قرض شوقي أبيات كثيرة عنها بمناسبات مختلفة، قام شوقي بتقديم التحيات والتهاني إلى ابنته الحبيبة بمناسبة عيد ميلادها الثاني في قصيدة "طفلة لاهية". والسبب الثاني وراء اهتمام شوقي بشعر الأطفال فهو تأثره الشديد بأعمال الكتاب الأوربيين أثناء وجوده في فرنسا حتى تطلع إلى تقديم المنظومات للأطفال العرب على منهج الشعراء الأوربيين. ويرجع السبب الثالث إلى دعوة شوقي النظرية والتطبيقية لأدب الأطفال، أراد شوقي أن يحث الشعراء على الاهتمام بأشعار الأطفال العرب، فبدأ بنفسه ليكون قدوة لغيره، إذ لو نادى بالاهتمام بأشعار الأطفال دون أن يكتب هو نفسه شيئا من ذلك لكان ذلك مثيرا للدهشة، ومن هنا بدأ بنفسه ليحث غيره على الكتابة للأطفال.

وبهذا الصدد، يقول شوقي بنفسه: "وإني كنت أتمنى، ولا أزال ألوى في الشعر على كل مطلب، وأذهب في فضائه الواسع في كل مذهب، وهنا لا يسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب، والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب. والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمانة".¹⁷⁹ فقد طلب شوقي من الأدباء والشعراء أن يدركوا جميعا هذه الأمانة عندما يكتبون للأطفال والنساء، ومن هنا أتى على صديقه خليل مطران الذي ألف بين الأسلوبين الغربي والعربي، وكان شوقي يقول له: علينا أن نفعل ذلك مع الطفل وننقل له المنهج الأوربي. وهذا حث له وللشعراء جميعا أن يهتموا بهذا الجانب.

¹⁷⁷ - الدكتور علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص 106.

¹⁷⁸ - عفيفي، الدكتور أحمد، استراتيجية الكتابة للأطفال عند الشاعر أحمد شوقي، كتاب المؤتمر الدولي، الجزء الأول، ص 27.

¹⁷⁹ - السربوني، الدكتور محمد صبري، الشوقيات المجهولة، ص 22.

لم تلق دعوة شوقي ترحيباً بين الأوساط الأدبية بسبب إعراض الشعراء الآخرين عن أدب الأطفال في ذلك الوقت، وأخيراً عزف شوقي أيضاً عن الكتابة للأطفال. ورغم ذلك، نظم شوقي أكثر من خمسين قصيدة للأطفال على أسنة الحيوانات والطيور، بالإضافة إلى عشر مقطوعات من الأغاني والأناشيد. نشر شوقي إحدى وخمسين حكاية في حياته في الجزء الرابع من الشوقيات عام 1889م، بينما أضاف محمد سعيد العريان بعض الحكايات الأخرى إلى ديوانه بعد وفاته عندما أعيد طبعه عام 1943م. يتميز شعر شوقي للأطفال بتنوع المصادر، وتعدد الموضوعات والمضامين، واستخدام البحور الشعرية القصيرة والخفيفة، ووحدة الإيقاع اللغوي والموسيقي. ومع ذلك، يرى بعض النقاد بمن فيهم الدكتور علي الحديدي، أن شوقي لم يوفق في أكثر أغانيه وأناشيد الأطفال توفيقه في قصصه وحكاياته لهم، وذلك لارتفاع المستوى اللغوي عن إدراك الطفل، فكثير من الأغاني لا تتناسب كلماتها مع محصولهم اللغوي، بالإضافة إلى خلوها من الصور المشوقة والخيال الجذاب.¹⁸⁰

الموضوعات العامة في كتابات شوقي الموجهة للأطفال

بصرف النظر عن الخوض في السمات الفنية لشعر شوقي للأطفال، نقوم باستعراض الموضوعات التي عالجها شوقي خلال كتابة الحكايات والأغاني والأناشيد للأطفال. تناول شوقي المضامين التي تتلائم القيم العربية الإسلامية وذوق المتلقي العربي، وكثيراً ما لجأ إلى التصرف في المضامين، فعدل وحذف وأضاف في نسيج الحكايات التي اقتبسها عن لافونتين بحيث طرح في نهايتها المغزى الملائم للطفل العربي. يقول الدكتور علي الحديدي: " وقد تبلور تعدد المضمون عند شوقي في حكاياته إلى الأطر التالية على الترتيب: المغزى السياسي، والمغزى الأخلاقي التربوي، والمغزى الوطني القومي، والمغزى الفكاهي الاجتماعي".¹⁸¹

في ضوء الحكايات والقصائد، تشتمل معظم القصص على الموضوعات الأخلاقية والتعليمية والتربوية في بيئة إسلامية وعربية، بالإضافة إلى علاقة الحب والعاطفة والتربية بين الطفل وجدته وأمه، بينما يتناول بعض الحكايات الموضوعات السياسية بصورة رمزية. حاول

¹⁸⁰ - مقدادي، الدكتور موفق رياض، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص 164.

¹⁸¹ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 168.

شوقي أيضا غرس القيم الوطنية والقومية في أطفال الأمة كما كتب بعض القصص ذات المغزى الفكاهي الاجتماعي. في حكاية "سليمان عليه السلام والهدد"، نجد أن القصة تدور حول هدهد أنه سرق حبة قمح من بيت نملة، فجاء يشكو إلى سليمان عليه السلام لصحوة ضميره، فالمغزى الأخلاقي هو تطهير النفس من داء الخيانة والظلم والسرقة. ويجسد شوقي هذا الغرض الأخلاقي في نهاية الحكاية بقوله:

"إن للظالم صدرا
يشتكي من غير علة"

وهكذا تعالج الحكايات مثل: الديك الهندي والديك البلدي، والأفعى النيلية والعقربة الهندية وغيرها نفس الموضوع من الأخلاق والحكمة.

عالج شوقي موضوعا سياسيا في بعض الحكايات بشكل رمزي، يصعب فهمه على الأطفال إلى حد كبير. في قصيدة "الثعلب والديك" يتقمص الثعلب شخصية الوعاظ، لكي يحتال بأسلوبه الخداعي على الطيور، فينال منها آكلا لها، ولهذا أرسل إلى طلب الديك ليؤذن للصلاة، ولكن الديك لم ينخدع، فهو يعرف صديقه الثعلب ورفض الذهاب كاشفا حيلة المحتال المخادع. يقول الدكتور سعد ظلام: "الثعلب مكر مراوغ شره يقتل إن جاع وإن شبع، في طبعه الكذب والدهاء، وفي رائحته القذارة والنتن، والمراد بالثعلب هنا السفير البريطاني أو الاستعمار البريطاني، أما الديك فهو أنيس أبله الطبيعة، يحفظ الدار ويحمي الدجاج، لطيف المعاشرة، يؤثر غيره على نفسه، فيه عجب بنفسه، والمراد بالديك هنا هو الشعب المصري الطيب المسالم الكريم".¹⁸² وكذلك في حكاية "الأفعى النيلية والعقربة الهندية" و "الديك الهندي والدجاج البلدي" تطرق شوقي إلى المغزى السياسي حيث رمز بالديك إلى الاستعمار وبالدجاج البلدي إلى المواطنين.¹⁸³

وبالإضافة إلى الموضوع السياسي، تطرق شوقي إلى الموضوع الوطني بهدف غرس القيم الوطنية والقومية في الأطفال، فكتب قصيدة باسم "الوطن" و نظم نشيدا قوي الديباجة، قريب الصورة، واضح المغزى، حيث ينطق بالحماسة والفخر، ويعمق الانتماء إلى الوطن والتضحية في

¹⁸² - عفيفي، الدكتور أحمد، استراتيجية الكتابة عند الشاعر أحمد شوقي، كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية، الجزء الأول، ص 27.

¹⁸³ - يوسف، عبد التواب، ديوان شوقي للأطفال، ص 26.

سبيله باسم "نشيد مصر" و "نشيد الكشافة". فاز "نشيد مصر" بالجائزة الأولى في المسابقة القومية للأناشيد عام 1921م. وإليك بعض الأبيات من النشيد فيما يلي:

"لنا وطن بأنفسنا نقيه وبالذنيا العريضة نفتديه

إذا ما سيلت الأرواح فيه بذلناها كأن لم نعط شيئاً

إليك نموت - مصر - كما حيننا ويبقى وجهك المفدي حياً¹⁸⁴ "

وهكذا نجد بعض النصائح والإرشادات والحكم في كتابته للأطفال، بالإضافة إلى علاقة الحب والعاطفة بين الطفل وجدته وأمه والموضوعات الفكاهية رغم ندرتها. كتب شوقي أغنية بعنوان "الجدة" يظهر فيها فضلها وعطفها على الحفيد وحبها له، كما أكد في أغنية "الأم" على دور الأم في تكوين شخصية الابن، كما نجد عنصر الفكاهة في قصيدة "الثعلب والديك" بصورة مباشرة.

وخلاصة القول إن شوقي أول من ألف أدبا للأطفال باللغة العربية، ووجه دعوة الكتابة للأطفال إلى الشعراء. ظهر اهتمامه بأدب الأطفال بعد دراسته في فرنسا، فكتب قصصاً شعرية على أسنة الطيور والحيوانات، زادت على خمسين قصة شعرية حاكى فيها لافونتين، وضمنها الطبعة الأولى من الشوقيات التي صدرت عام 1889م، ونظم لهم عشر مقطوعات ما بين أنشودة وأغنية وجميعها نشرت في الجزء الرابع من ديوانه "الشوقيات". تناول شوقي في كتاباته للأطفال موضوعات متنوعة من التعليم، والأخلاق، والنصيحة، والحكمة، والسياسة، والوطن، والفكاهة. ذهب بعض النقاد إلى انتقاد شوقي لأنه لم يلتفت إلى الأطفال في مراحلهم الابتدائية كما أنه لم يهتم برعاية القاموس الطفلي حيث استخدم رمزيات يصعب فهمها على الأطفال.

كامل كيلاني: (1897م_ 1959م)

يعد كامل كيلاني من أبرز الأدباء ومن أوائل الكتاب المعاصرين الذين اتخذوا أدب الأطفال دربا لهم، بل هو يفوق ويمتاز عن معاصريه بفضل خدماته الأدبية الجليلة وآثاره

¹⁸⁴ - شوقي، أحمد، الشوقيات، الجزء الرابع، ص 908.

القصصية الطفلية القيمة التي هي بمثابة دعائم أدب الأطفال، وأثرت مخزون الأدب العربي. ونظرا لمساهمته العملاقة في مجال أدب الأطفال، اتفق الأدباء والنقاد المعاصرون على ريادته وسيادته في هذا المجال، ولقبوه حقا بالأب الشرعي لأدب الأطفال في الأدب العربي الحديث. يكتب زكي مبارك: "أما كامل كيلاني فيعتبر بحق الأب الشرعي لأدب الأطفال وزعيم مدرسة الكاتبين للناشئة في البلاد العربية كلها. فهو أول من أزال من طريق هذا الفن الجديد في الأدب العربي أوشابه وصعوباته وأرساه على أرض صلبة من الموهبة والدراسة الأدبية الفنية، وفتح به آفاقا جديدة من المتعة والتسلية والمعرفة للطفل".¹⁸⁵ وأيد الكاتب الكبير لأدب الأطفال عبد التواب يوسف أيضا بهذا القول في حوار عندما خاطبه محاور بلقب رائد أدب الأطفال. يقول عبد التواب يوسف: "أنا لست رائدا ولا أحب هذه التسمية، فالرائد الحقيقي هو كامل الكيلاني".¹⁸⁶

ولد كامل الكيلاني في حي القلعة بالقاهرة عام 1898م، ونشأ في البيئة الدينية العريقة. التحق بالجامعة المصرية، وعكف على دراسة الآداب العربية والإنجليزية، حصل على شهادة "البكالوريوس" باللغة الإنجليزية من الجامعة المصرية. أثناء دراسته في الجامعة كان يختلف إلى دروس علماء الأزهر، فتلقى من محاضرتهم الدرك في العلوم الإسلامية والأدب العربي. عمل كمدرس اللغة الإنجليزية في الكلية الرسمية بالقاهرة. وفي نفس الوقت اشتغل بالصحافة والكتابة وتحقيق الكتب الأدبية والعربية، كما تعلم اللغات الفرنسية والفارسية. وفي عام 1922م، عاد إلى القاهرة ليلتحق بوظيفة دائمة بوزارة الأوقاف، واستمر طول حياته الوظيفية بها إلى خروجه بالمعاش عام 1954م. وفي سنة 1927م، أطلق كامل الكيلاني الشرارة الأولى في مجال التأليف القصصي للأطفال العرب عندما أصدر قصته الشهيرة "السند باد البحري"، انضم إلى رابطة الأدب الحديث وعمل كسكرتير عام لها من عام 1929م إلى عام 1932م. توفي الكيلاني في 9 أكتوبر عام 1959م بعد حياة أدبية حافلة بالإنتاجات المميزة للأطفال، بالإضافة إلى الكتابات الأدبية للكبار.

¹⁸⁵ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 263.

¹⁸⁶ - الأديب، محمود، حوار مع الأديب عبد التواب يوسف، شبكة الألوكة، 24 يونيو، 2012م.

هناك عوامل متعددة دفعت كامل الكيلاني إلى الخوض في مجال التأليف القصصي للأطفال. كان الكيلاني مولعا بالقصص منذ نعومة أظفاره، و تأثر بالقصص الخرافية والأسطورية في صغره سنة، خاصة القصص اليونانية والهندية القديمة من الملاحم والغرائب، بالإضافة إلى القصص الشعبية العربية. لعب كل من خاله وسائق عربة الخيل لأسرته ومربيته اليونانية دورا كبيرا في إضرام حبه وشغفه بالقصة في أيام طفولته. يقول الكيلاني نفسه: "كان لي خال اسمه سعد اسماعيل، وكان رجلا مكفوف البصر، وقد كلفه والدي -حيث لا عمل له - تربيتي، وكان خالي هذا بحرا فياضا زاخرا بالقصص فكان يقص علي مسامعي ما عنده من قصص أثناء الليل، مما جعلني أحب القصص ومطالعتها وحفظ الأشعار، وكان لي حوذي، نصف أمي ونصف فيلسوف، وكان حافظا للقرآن الكريم ولكثير من الأحاديث النبوية كما كان حافظا لكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات، وكان والدي ينصرف إلى عمله ويترك الحوذي يقص علي أو يطالع لي، وقد سمعت منه قصصه "سيف بن ذي يزن" فأثرت في نفسي كثيرا".¹⁸⁷ ويقول أيضا بهذا الصدد: "وتوليت المرأة اليونانية وكانت نياتها على ثقافة واسعة، وأول ماسمعتة هو أساطير " اليونان "... وامتلاء أدني منذ الصغر بكل هذا مما كان له تأثير في اتجاهي للقصة".¹⁸⁸ بالإضافة إلى هذا، ساعدت قراءة المجموعات القصصية للأطفال المتوفرة في اللغات الإنجليزية والفرنسية أثناء تدريسه في الكلية الرسمية بالقاهرة مزيدا في إيقاد شعلة شغفه بالقصص للأطفال.

وعندما احتاج كامل الكيلاني إلى المجموعات القصصية لأبنائه الصغار، ولم يتمكن من العثور على أي مجموعة قصصية ملائمة للأطفال في الأدب العربي سوى "كليلة ودمنة" و "ألف ليلة وليلة"، فاضطرم شوقه لكتابة القصة للأطفال العرب، واعتزم على سد هذا الفراغ بقلمه.¹⁸⁹ في البداية، اختار الكيلاني بعض القصص الفرنسية لأبنائه ولكن لم يطمئن قلبه إلى هذه الكتب الفرنسية لأنها تخالف القيم الإسلامية والأقدار الخلقية الفاضلة.¹⁹⁰ في عام 1927م، دخل الكيلاني مجال كتابة قصص الأطفال ابتداء من أول قصة عربية للأطفال¹⁹¹ باسم "السند باد

¹⁸⁷ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومجد الهراوي، ص 92.

¹⁸⁸ - نفس المصدر، ص 92.

¹⁸⁹ - الفلاح، الدكتور مجد سميع اختر، مساهمة كامل الكيلاني في تطوير الأدب القصصي للأطفال، ص 10.

¹⁹⁰ - نفس المصدر، ص 11.

¹⁹¹ - نفس المصدر، ص 11.

البحري" وكتب أكثر من مئتي قصة للأطفال بما فيها القصص الدينية، والعلمية، والتاريخية، والشعبية، والأسطورية، والخرافية. تمت ترجمة الكثير منها إلى اللغات الصينية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والعبرية وغيرها. واصل جهده في هذا المجال حتى استطاع أن ينشئ أول مكتبة شاملة للأطفال. ألف شوقي قصيدة "كامل الفضل" وأثنى فيه على مكتبة الأطفال التي أنشأها الكيلاني بقوله:

"يا كامل الفضل قد أنشأت مكتبة يسير في هديها شيب وأطفال

جمال طبعك حلاها وزينها فاصبحت بجمال الطبع - تختال¹⁹²"

يعبر شاعر القطرين أيضا عن انطباعاته حول ريادته في إنشاء مكتبة الأطفال القصصية فيقول: " لو لم يكن للأستاذ الكيلاني إلا أنه المبتكر في وضع مكتبة الأطفال بلسان الناطقين بالضاد فكفاه خيرا بها ما قدمه لرفع ذكره وما أحسن به إلى قومه وعصره".¹⁹³ بالإضافة إلى القصة، نظم الكيلاني منظومات كثيرة للأطفال، ولكن شهرته الحقيقية في العالم تعتمد على القصص التي قدمها للأطفال بهدف تربيتهم وتسليتهم بعيدا عن الأغراض التعليمية والوعظية. يقول الدكتور زكي مبارك: "أشهر المؤلفين في هذا الباب رجلا: محمد الهراوي وكامل الكيلاني، وهما بعيدان عن التدريس".¹⁹⁴

الموضوعات العامة في كتابات الكيلاني الموجهة للأطفال

تزيد القصص التي كتبها الكيلاني للأطفال ضمن سلسلات عديدة على أكثر من مئتي قصة، بما فيها القصص المؤلفة والمترجمة والمقتبسة. عالج الكيلاني فيها الموضوعات المتنوعة بما فيها الموضوعات الدينية، والوطنية، والأخلاقية، والعلمية، والمعرفية، والفكاهية، مستمدا بالمصادر المختلفة من القرآن والسنة والتاريخ والأسطورة والأدب الشعبي العربي والأجنبي. يقول الدكتور الحديدي: "ولم يقصر كامل كيلاني كتاباته للأطفال على لون أو فن معين من أدبهم، بل تنتقل بين ألوان الأدب وفنونه، فكتب القصص الديني في "مجموعة من حياة الرسول"، وخصص

¹⁹² - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، ص 94.

¹⁹³ - مجموعة من الكتاب، كامل الكيلاني في مرآة التاريخ، ص 392.

¹⁹⁴ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفولة بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 12.

الحيوان للصغار، واقتبس لهم الأساطير العالمية والإفريقية والخرافات المشهورة، وقدم لهم القصص الشعبي في مجموعة "قالت شهرزاد"، وقصص جحا، وترجم لهم بعض القصص الهندية وقصص شيكسبير".¹⁹⁵ ونحاول هنا تسليط الضوء على كتابات الكيلاني للأطفال من ناحية الموضوع والمضمون بغاية من الإيجاز.

النزعات الدينية هي سمة بارزة في معظم قصص الكيلاني، فكتب سلسلة من السيرة النبوية بعنوان "من حياة النبي ﷺ". وهي أول محاولة أدبية قصصية لكتابة السيرة النبوية للأطفال.¹⁹⁶ وعرض فيها حياة الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته بهدف غرس حب الرسول في قلوب الأطفال ونشأتهم على الخطوط الإسلامية. وهكذا قصة "حي بن يقظان" تغرز حقيقة وجود الله تعالى في نفوس الصغار حيث وصل حي بن يقظان إلى معرفة الله تعالى بالتأمل والتفكير في آيات الله. وعلاوة على القصص ذات الطابع الديني، تناول الكيلاني أيضا موضوعات وطنية وقومية. في قصة "أم سند وأم هند"، يحاول الكيلاني أن يغرس في نفوس الأطفال حب الوطن العزيز، ويشرح لهم آلام الهجرة، ومشاعر الراحة والطمأنينة في الوطن.¹⁹⁷ نظم الكيلاني مقطوعة شعرية باسم "نشيد مصر" ووضعه في خاتمة "قصص جغرافية وأساطير إفريقية"¹⁹⁸، قام الكيلاني بواسطة هذا النشيد بإثارة حماس الأطفال وتعميق شعورهم بالانتماء إلى الوطن. وحثهم كذلك على الالتفات إلى تاريخ الوطن وبطولات أبنائه وتضحيات أبنائه في سبيل عزته ورفعته. يقول الدكتور أحمد زلط: "أول ما يطالعنا عند استقراء نص النشيد هو ملاحظة الحاح الشاعر في بساطة نحو تعميق الانتماء للوطن والفخر برجاله والانتساب إليه والتضحية من أجله كما نجح الشاعر في ربط الأطفال بالوطن".¹⁹⁹

حرص كامل الكيلاني على معالجة الموضوعات ذات المعلومات العلمية والقيم الأخلاقية والإنسانية من الصدق والأمانة والجد والاجتهاد والمثابرة والتعاون والجرأة والشجاعة وغيرها بواسطة القصص سواء كانت علمية مثل: النحلة العاملة، أصدقاء الربيع، والعنكب الحزين وغيرها، أو

¹⁹⁵ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 265.

¹⁹⁶ - الفلاح، الدكتور محمد سمير اختر، مساهمة كامل الكيلاني في تطوير الأدب القصصي للأطفال، ص 13.

¹⁹⁷ - الكيلاني، كامل، قصة "أم سند وأم هند"، ص 18.

¹⁹⁸ - الكيلاني، كامل، قصص جغرافية وأساطير إفريقية، ط القاهرة، 1940م.

¹⁹⁹ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، ص 95.

جغرافية مثل: بلاد العجائب، الفيل الأبيض، وغابات إفريقيا وغيرها، أو أسطورية وخرافية مثل: علي بابا وأربعين لصا، علاء الدين والمصباح السحري، روبنسون كروز، ورحلات جليفر وغيرها. في معظم الحكايات الخرافية يقع الصراع بين الخير والشر وينتهي دائما على انتصار الخير على الشر، كما تنذر الأطفال بعاقبة الحسد ومغبة الخدعة وتمنع من ارتكاب الذنوب والمعاصي. وهكذا تساعد القصص العلمية الأطفال في معرفة القوانين الطبيعية بطرافة وسهولة، وبها تظهر قدرة الله العظيمة وحكمته البالغة. تناول الكيلاني موضوعات فكاوية أيضا في قصص "سلسلة الفكاية" و "سلسلة جحا"، ووفّر فرصة الضحك للأطفال.

وأخيرا يمكننا أن نقول إن كامل الكيلاني كان رائدا حقيقيا لأدب الأطفال في الأدب العربي الحديث، وأرسى دعائم الأدب القصصي للأطفال. قدم قصصا عديدة متنوعة تهدف إلى تنمية قدرات الأطفال العقلية واللغوية، وتنقيفهم بالحضارة الإسلامية والثقافة العربية، بالإضافة إلى تحلي الأطفال بالقيم الإنسانية والخلقية. ومع ذلك، نجد أن الكيلاني لم يهتم بالقضايا الواقعية والاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع المصري في ذلك الوقت، وركز عنايته على إغراق الأطفال في العالم الخيالي والخرافي. أبدى الدكتور موفق رياض مقدادي ملاحظاته حول قصص الكيلاني بهذه الألفاظ: "أن معظم قصص الكيلاني ليست من إبداعه بل بسطها من التراث العربي، أو نقلها من الثقافات الأخرى، وأنه ركز على عالم الخرافة وقلما تطرق إلى القضايا الاجتماعية".²⁰⁰

محمد الهراوي: (1885م-1939م)

ولد محمد الهراوي في قرية "هريه رزنة" بالشرقية، وتعلم بالقاهرة والإسكندرية. أصدر مجلة "الرسول" وهو مايزال طالبا، وعمل موظفا بوزارة المعارف، ثم محاسبا بدار الكتب والتي ظل بها حتى وافته المنية عام 1939م.²⁰¹ يعد الهراوي من رواد أدب الأطفال وأعلامه الحقيقيين، ومن أوائل الذين كتبوا مباشرة للأطفال، تتميز كتاباته للأطفال بسهولة العبارة وعذوبة الكلمات، يقول الدكتور علي الحديدي: "أما الهراوي، فيُعدّ من الرواد الأول الذين وضعوا علامات على الطريق

²⁰⁰ - مقدادي، الدكتور موفق رياض، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص 166.

²⁰¹ - الزركلي، خير الدين، الأعلام، ص 296.

لأدب الأطفال في اللغة العربية، ذلك أنه أخذ نفسه في جد وإخلاص بمعاونة الكتابة لناشئة الجيل ونابذة المستقبل، فأبدع منظومات سهلة العبارة، قريبة التناول، سائغة المعنى، في أوزان غنائية رقيقة، وألفاظ عذبة تدخل البهجة والسرور على الأطفال".²⁰² يتمتع الهراوي في مجال الشعر للأطفال بنفس المرتبة الأدبية التي يحتلها كامل الكيلاني في مجال النثر للأطفال. في عام 1922م، أصدر الهراوي أول ديوانه للأطفال باسم "سمير الأطفال" للبنين في ثلاثة أجزاء، ثم كتب "سمير الأطفال" للبنات في ثلاثة أجزاء عام 1923م، بالإضافة إلى ديوان "الطفل الجديد" في نفس العام. ومن عام 1924م وحتى عام 1928م كتب "أغاني الأطفال" في أربعة أجزاء، وكانت الأجزاء الأربعة مقررة على تلاميذ الصفوف الأربعة الأولى من المرحلة الابتدائية.²⁰³ ومن الأناشيد الشهيرة للهراوي، ذلك النشيد الذي يغني به الأطفال من ديوانه "سمير الأطفال للبنين":

"أنا في الصباح تلميذ وبعد الظهر نجار

فلي قلم وقرطاس و إزميل ومنشار

وعلمي إن يكن شرفا فما في صنعتي عار

فللعلماء مرتبة وللصناع مقدار"

بالإضافة إلى الشعر، كتب الهراوي قصصا نثرية للأطفال منها: "بائع الفطير" و "جحا والأطفال" وغيرها. أبداع في مجال التأليف المسرحي للأطفال، فأخرج خمس مسرحيات، بعضها نثرية مثل "عواطف البنين" و "حلم الطفل ليلة العيد"، و بعضها شعرية مثل "المواساة" و "الذئب والغنم". لعب الهراوي دورا رائدا في تأصيل الفن المسرحي للأطفال في الأدب العربي. يقول الدكتور أحمد علي كنعان: "يعد الشاعر محمد الهراوي الرائد الحقيقي للتأليف الإبداعي لمسرح الطفل... وتميزت محاولاته بفضل الريادة والسبق، وكانت إرهاصا بمولد هذا الفن ونموه".²⁰⁴ قد تباينت الآراء حول القيمة الفنية لمسرحيات الهراوي، فيعبر الأستاذ عبد التواب يوسف، الذي جمع ديوان الهراوي باسم "ديوان الهراوي للأطفال"، وكتب كتابا باسم "الهراوي: رائد مسرح الطفل

²⁰² - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 260.

²⁰³ - اسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 41.

²⁰⁴ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، ص 101.

العربي²⁰⁵، عن رأيه أن التجربة المسرحية للهراوي لم تكن بسيطة، وإنما هي تحمل فهما عميقا لأثر المسرح وحرفيته فهي محاولات طيبة لبيئة بكر.²⁰⁶ بينما يرى بعض النقاد الآخرين أن مسرحيات الهراوي كانت عبارة عن محاولات أولية تفتقد إلى دراما المسرح وعناصره.²⁰⁷ وعلى كل حال، رغم تعرضه للنقد واللوم بعد الكتابة للأطفال، استمر الهراوي في إنتاج المحاولات الشعرية والنثرية بالإضافة إلى الأغاني التوقعية للأطفال بمن فيهم أطفال مرحلة الطفولة المبكرة بهدف تربيتهم وتثقيفهم بعيدا عن بيئة التدريس إلى حد ما، وعالج بها موضوعات تلائم روح الطفولة، وتساعد الأطفال على تنمية مداركهم وإرضاء عواطفهم، فلم تلبث منظومات الهراوي أن أنسابت في نفوس الأطفال انسيابا كأنها قطرات الماء على شفاه الضمآن، حسب ماقاله الدكتور علي الحديدي.²⁰⁸

وجد في كتابات الهراوي للأطفال موضوعات متنوعة بما فيها، دينية، وطنية، تعليمية، أخلاقية، معرفية وفكاهية وغيرها. قسم الأستاذ عبد التواب يوسف، الذي اهتم بجمع وإعداد ديوان الهراوي باسم "ديوان الهراوي للأطفال" شعر الهراوي إلى ثلاثة عشر بابا من حيث الموضوع والمضمون.²⁰⁹ وعبر أحمد سويلم، الذي كتب كتابا باسم "محمد الهراوي شاعر الأطفال" عن رأيه حول الموضوعات التي تناولها الهراوي في شعره، فيقول: "يتناول الهراوي علاقة الطفل بالطبيعة والرياضة والعمل الوطني، وعلاقة الطفل بما حوله في المدرسة والأسرة، ووسائل الترفيه للطفل، والمهن المختلفة، والتاريخ القديم والحديث، والأعياد، والعلم والتعليم، وحكايات الحيوان والشعر الديني".²¹⁰ وهنا نقدم إليكم بعض النماذج لكي يمكن التعرف على الموضوعات العامة التي عالجها الهراوي في كتاباته الموجهة للأطفال. من أجل غرس القيم الدينية والروحية في نفوس الأطفال، نظم "معرفة الله تعالى" و "خف الله" وكذلك قرص أبيات حول سير الأنبياء لإبراز صفاتهم ومناقبتهم مثل آدم، نوح، يوسف، عيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام كما كتب قصة أهل الكهف وقصة هابيل وقابيل. يقول الشاعر في نشيد ديني "خف الله":

²⁰⁵ - يوسف، عبد التواب يوسف، الهراوي: رائد مسرح الطفل العربي، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، مصر، 1985م.

²⁰⁶ - أبو الخير، محمد حامد، عبد التواب يوسف ومسرح الطفل العربي، ص 108.

²⁰⁷ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، ص 95.

²⁰⁸ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 260.

²⁰⁹ - داود، الدكتور أنس، أدب الأطفال في البداية كانت أنشودة، ص 58-59.

²¹⁰ - نفس المصدر، ص 62.

"الله جل شانہ له الصفات الباقية
رب السماء والأرا ضي والمياه الجارية
يسمع ماتقوله في السر والعلانية
ويبصر النملة في جنح الليالي الداجنة
فخف من الله الذي يعلم كل خافية"²¹¹

وضمن الموضوعات الوطنية، كتب بعض الأناشيد الشهيرة مثل نشيد النيل، تحية العلم ونشيد الفلاح بهدف تأصيل القيم الوطنية والقومية في نفوس الصغار. وهكذا نجد قصائد، الأمانة، الكتاب، تحية المدرسة والترتيب والنظام وغيرها في باب التعليم والأخلاق. ومن القصيدة التعليمية، التي لا يوجد لها نظير عند الشعراء الآخرين في ذلك الوقت، قصيدة "أحرف الهجاء" من الألف إلى الياء، يأتي فيها كل حرف في أول الكلمات.²¹² تناول الهراوي موضوعا فكاها في قصيدة "الكلب والحصان" وقصة "جحا والأطفال" لإفراج الأحزان والكروب عن الأطفال وتوفيرهم فرصة الضحك. حرص الشاعر على تزويد الأطفال بالعلم والمعرفة، فكتب القصائد حول المخترعات الجديدة مثل المنظار والساعة وغيرها لخلق حب المعرفة والاستطلاع في الأطفال. وكذلك، كتب حول المهن العديدة وأصحابها مثل الفلاح، الطبيب، المحامي، الخطيب والشاعر وغيرهم. حرص الشاعر على إبراز شخصية كل مهنة عن طريق ذكر سماتها الدالة عليها في الواقع، كي يتعرف عليها الطفل ويقف على طبيعة عملها بالحياة وربما أعجب الطفل بأحد الشخصيات التي يعرضها الشاعر فيتوق إليها وتقتديها بعد ذلك.²¹³ تتناول مسرحية "حلم الطفل ليلة العيد" المناسبات الخاصة التي لها أهمية كبيرة عند الأطفال وهم ينتظرونها بفارغ الصبر، وهكذا تناول الهراوي بعض النواحي التربوية من الحكمة والموعظة للأطفال بواسطة القصص على لسان الحيوانات والطيور مثل "الذئب والغنم".

²¹¹ - الهراوي، محمد، سمير الأطفال، ج1، ص 25.

²¹² - الهراوي، محمد و حلمي التوني، أشعار وصور الحروف، دار الشروق، بيروت، 1992.

²¹³ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومجد الهراوي، ص 73.

وأخيرا نقتصر بما قاله الأستاذ عبد التواب يوسف: "ملأ محمد الهراوي المكتبة العربية بقصائد ومسرحيات تتسم بنبرة الوعظ المباشر والإرشاد، وهذا اتجاه نراه لا يلائم العصر، لكنها تبدو مناسبة لذلك العصر الذي كان أدب الطفل لم يزل بعد في المهد.²¹⁴

²¹⁴ - يوسف، عبد التواب، ديوان الهراوي للأطفال، هيئة الكتاب المصرية، القاهرة، 1985م.

الفصل الثالث

الأعلام المعاصرون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال

الفصل الثالث

الأعلام المعاصرون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال

كما ذكرنا سابقاً أن أدب الأطفال في العالم العربي طرأ عليه عدداً من التغيرات ونحنا نحو الاتجاهات الجديدة في أشكاله الداخلية والخارجية بعد التسعينيات من القرن العشرين فصاعداً، التي تعد فترة الانطلاق²¹⁵، والعصر المعاصر لأدب الأطفال. فقد أدى كل من المناخ الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، واهتمام الحكومات بشكل خاص تجاه أدب الأطفال، وظهور المنظمات غير الحكومية، والازدهار الهائل في مجال النشر، ومفهوم جديد لرعاية الأطفال وعوامل أخرى مختلفة، إلى تطور أدب الأطفال وازدهاره في الدول العربية المختلفة من حيث الكمية والنوعية. في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ظهر جيل جديد من الكتاب العرب الذين تخصصوا في مجال أدب الأطفال واختاروه كمهنتهم وأنتجوا بعض الآداب ذات النوعية العالية التي تتماشى إلى حد كبير مع معايير أدب الأطفال المقدم للناشئين في الدول المتقدمة كما تراعي الجوانب النفسية للأطفال وتقوم بترويج تهميتهم الشاملة.

ظهر بعض الاتجاهات الجديدة المتعلقة بموضوعات ومحتويات أدب الأطفال في العالم العربي، فيتسع أدب الأطفال الآن لسائر الأنواع من الموضوع الذي يختاره الأدباء من ناحية وجهة نظر الطفل بعد نظرة جديدة تجاه الطفل من قبل الكتاب. وقد وجدت تلك الموضوعات والأفكار التي كانت تعتبر في بداية الأمر من القضايا المحرمة والحساسة للناشئين طريقها إلى أدب الأطفال، بالإضافة إلى الكثير من الموضوعات الجديدة التي لم يشهدها أدب الأطفال العربي قبل ذلك. وفي هذا الفصل نتناول بعض الأدباء المعاصرين من الدول العربية المختلفة ونقوم باستعراض الموضوعات التي عالجوها في كتاباتهم لكي نطلع على اتجاه جديد تجاه اختيار الموضوعات لدى الكتاب العرب، ودورها في الحصول على أهداف أدب الأطفال الرئيسية. وبوجه خاص، اخترنا بعض الكتاب الذين كتبوا في المراحل المختلفة ولكننا نتحدث فقط عن إنتاجاتهم التي ظهرت خاصة بعد التسعينيات من القرن العشرين.

²¹⁵ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 23.

يعقوب الشاروني: (1931م-...؟)

يعد الأستاذ يعقوب الشاروني من أبرز كتاب قصص الأطفال في العالم العربي حيث يعتبر عميدا لكتاب أدب الأطفال في مصر والعالم العربي²¹⁶، ومجددا في محتويات القصة وأسلوبها اللغوي.²¹⁷ فالأستاذ الشاروني له فضل كبير في إتيان الموضوعات الاجتماعية والواقعية في قصص أدب الأطفال بهدف إيقاظ الشعور في ضمائر الأفراد تجاه المشكلات الاجتماعية في دولة مثل مصر.²¹⁸ ولد يعقوب الشاروني في 10 فبراير عام 1931م بالقاهرة. درس القانون وحصل على شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1952م، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي من كلية الحقوق بجامعة القاهرة كما حصل أيضا على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد التطبيقي من كلية الحقوق من نفس الجامعة. تقلب الشاروني في الوظائف الحكومية المختلفة من عمله في الوظيفة القضائية إلى اختياره رئيسا ومديرا عاما للشئون القانونية لوزارة الثقافة، بالإضافة إلى عمله كمستشار لوزير الثقافة لشئون ثقافة الطفل عام 1980م. سافر الشاروني في عام 1969م إلى فرنسا على منحة الحكومة الفرنسية لعشرة أشهر لدراسة العمل الثقافي بين الجماهير خاصة في مجال ثقافة الطفل. وبعد إحالته إلى المعاش في عام 1991م، مازال يبذل الشاروني قصارى جهده لرفع مستوى أدب الأطفال العربي حتى الآن من خلال قصصه الممتعة للأطفال ومحاضراته القيمة حول فن أدب الأطفال في الجامعات المختلفة.

يتمتع الشاروني بخبرة طويلة في مجال الكتابة للأطفال، والتي تزيد على خمسين سنة تقريبا ابتداء من 1967م. وخلال هذه الفترة الطويلة، كتب الشاروني أكثر من أربع مائة مؤلف بين الرواية والقصة والمسرحية للأطفال، بالإضافة إلى إنتاجاته العلمية والنقدية حول أدب وثقافة الأطفال في عشرات المؤتمرات والحلقات الدراسية في العالم العربي وخارجه. ومن أهمها "تنمية عادة القراءة عند الأطفال" و"القراءة مع طفلك" و"قصص وروايات الأطفال فن وثقافة".²¹⁹ فاز يعقوب الشاروني بجملته من الجوائز على الصعيدين العربي والعالمي بفضل كتبه الموجهة

²¹⁶ - ألبانو، الدكتورة ماري، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 13.

²¹⁷ - نفس المصدر ص 13.

²¹⁸ - نفس المصدر ص 14.

²¹⁹ - الشاروني، هالة، السيرة الذاتية ليعقوب الشاروني، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 166-167.

للأطفال، ومن أبرزها جائزة أفضل كتاب في معرض بولونيا لكتب الأطفال عام 2002م عن كتابه "أجمل الحكايات الشعبية"، وجائزة أحسن كاتب أطفال من الجمعية المصرية لنشر الثقافة العالمية في عام 1981م عن روايته "سر اختفاء العجيب" بيد الأستاذة سهير القلماوي²²⁰، وجائزة الدولة في أدب الأطفال بدولة قطر عام 2015م وغيرها. في مشواره الطويل من حياته، مازال يتمتع الشاروني بعضوية في الهيئات والاستشارات المختلفة المتعلقة بالأدب وثقافة الطفل مثل عضوية في اتحاد كتاب مصر من عام 1965م إلى 2008م، وعضوية في المجلس المصري لكتب الأطفال من 1995م إلى 2008م، وعضوية في لجنة تحكيم المختلفة لجوائز أدب الأطفال في مصر والدول العربية المختلفة.

الموضوعات العامة في كتابات الشاروني الموجهة للأطفال

عالج الشاروني في إنتاجاته الموجهة للأطفال موضوعات متنوعة تتسم معظمها بالنزعة الواقعية. قال الشاروني نفسه: "إن تسعين بالمائة من أعمالي تتسم بالواقعية بينما هناك 8 قصص فقط خيالية"²²¹. استمد الشاروني فكرة معظم قصصه من واقع الحياة المصرية وتاريخها القديم، فكتب عن القضايا الاجتماعية، ومعاناة المرأة والفتاة، وحرمان الطفل من التعليم واللعب، والحفاظ على البيئة، وحقوق الطفل، والمعاقين وأطفال الشوارع، والتسامح وقبول الآخر. تقول الأستاذة الدكتورة ماريأ ألبانو: "والفضل الكبير للشاروني في إدخال الرواية الاجتماعية في أدب الأطفال في العالم العربي. وتدور الكثير من قصصه في المناطق العشوائية القاهرية، أو بين أولاد الشوارع، أو المضطرين إلى العمل منذ الصغر، فهم يمثلون نسبة عالية من سكان المدينة. وفي قصص أخرى، نجد الدعوة البيئية قوية، وكذلك النداء الموجه للشباب ليحافظوا على الطبيعة من التلوث الذي يسببه الإنسان، وهكذا يركز الكاتب خصيصا على الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة"²²².

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الموضوعات التي تناولها الشاروني كانت جديدة ولم يشهدها أدب الأطفال العربي قبله. يعتقد الشاروني بأن أدب الأطفال في هذه الأيام أصبح قادرا على تناول

²²⁰ - هبة محمد، عبد الفتاح، أدب الطفل عند يعقوب الشاروني، ص 14.

²²¹ - ابراهيم شعبان و هند أسامة، حوار مع يعقوب الشاروني، جريدة الراية العربية، قطر، 23 فبراير، عام 2009م.

²²² - ألبانو، الدكتورة ماريأ، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 14.

كل ما يخطر على البال من موضوعات مهما كانت حساسة أو شائكة، وتكمن موهبة الكاتب في طريقة وأسلوب هذا التناول بما يتناسب مع قدرة الطفل على الفهم والاستيعاب. يعترف الباحث هنا بأنه لم يتمكن من القراءة والعثور على جميع مؤلفات الشاروني فاعتمد في التعرف على مضامين مؤلفاته للأطفال على القصص المتوفرة وكتاب خاص باسم "سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي" يجمع مقالات لأكثر من عشرين كاتباً. ونذكر الآن بعض قصص الشاروني من ناحية المضمون والموضوع.

تناول الشاروني في قصة "تائه في القناة" قضية اجتماعية مصرية، فالقصة تدور في فترة مهمة من حياة تاريخ مصر، وهي فترة حفر قناة السويس، وإنها تدور في إطار قصصي اجتماعي شيق لتعكس كافة جوانب المعاناة والاستغلال والعدوان والظلم على الشعب المصري وخاصة الفلاحين بالاستعمار البريطاني عند حفر القناة وتكسير الصخور. تعكس الرواية الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تلك الآونة من خلال تنامي الأحداث الدرامية، كما تكشف عن روح التمرد والمقاومة عند الفلاحين، فإن روح المقاومة لم تهدأ ضد عسف السلطة وظلمها، فمنذ الصفحات الأولى من الرواية، تحاول أم الولد الصغير مسعود البالغ الثانية عشرة من عمره الذي اقتنصه ليشارك في حفر القناة أن تقاوم وأن تخفي ابنها بعيداً عن السلطة، لكنها اضطرت في النهاية إلى الاستسلام، لأنها أدركت مدى سطوة السلطة التي لا مهرب منها.²²³

وفي قصتي "معجزة في الصحراء"²²⁴ و "مغامرة زهرة مع الشجرة"²²⁵ يتناول الشاروني قضية المحافظة على البيئة، وتنمية الصحراء العربية، ومشكلة المياه، والتفكير العلمي، والتنمية المستدامة لغرس القيم البيئية في الأطفال والناشئين، وتحريضهم على الحفاظ على الطبيعة من التلوث الذي يسببه الإنسان. وفي قصة "حكاية طارق وعلاء"²²⁶ تحدث الشاروني عن الإعاقة والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة بهدف اكتشاف مواهبهم الخاصة. تدور قصة "أبناء في العاصفة"²²⁷ حول مشاجرة الوالدين، وكيفية تعامل الأبناء معها، والحفاظ على الأسرة وأخذها إلى

²²³ - جادو، الدكتورة أميمة، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 55.

²²⁴ - الشاروني، يعقوب، معجزة في الصحراء، دار نهضة مصر، القاهرة، 2013م.

²²⁵ - الشاروني، يعقوب، مغامرة زهرة مع الشجرة، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، 2012م.

²²⁶ - الشاروني، يعقوب، حكاية طارق وعلاء، سلسلة "مكتبتي"، دار المعارف، مصر، 2002م.

²²⁷ - الشاروني، يعقوب، أبناء في العاصفة، دار نهضة مصر، عام 2012م.

بر الأمان. وهكذا عالج الشاروني في قصة "أسرار بيت الطالبات"²²⁸ قضية نسوية حيث تمكنت رجاء بطله القصة والطالبة في كلية التربية بحسن تفكيرها، وشجاعتها، وإقدامها من الإفلات من قبضة ابن عمها الماكر الذي كان يرغب في الزواج معها، ومواصلة دراستها وانطلاق إلى تحقيق ذاتها.²²⁹ يعالج الشاروني مثل هذه الموضوعات في قصصه لكي يتمكن الأطفال من مواجهة المشاكل العصرية وتغييرها في حياتهم المستقبلية.

سليمان العيسى (1921م-2013م)

يتمتع الشاعر السوري سليمان العيسى بمكانة مرموقة بين الشعراء الذين كتبوا للأطفال وحاولوا تحقيق أحلام الصغار. ولد شاعر العروبة والطفولة سليمان العيسى في قرية "النعيرية" بمدينة أنطاكية من محافظة "لواء إسكندرون" بسوريا عام 1921م. تلقى ثقافته الأولى على يد أبيه المرحوم الشيخ أحمد العيسى في قريته، ثم دخل المدرسة الابتدائية في مدينة "أنطاكية"، أكمل دراسته العليا في دار المعلمين ببغداد بمساعدة من العراق الشقيق. اشتغل مدرسا للغة والأدب العربي في ثانويات حلب، وكان يحسن الفرنسية والإنجليزية والعربية بالإضافة إلى إلمامه باللغة التركية. بدأ كتابة الشعر وهو في التاسعة أو العاشرة من عمره، شارك بقصائده القومية في المظاهرات والنضال القومي ضد الاغتصاب والانتداب الفرنسي، ودخل السجن عدة مرات بسبب قصائده ومواقفه القومية. شارك في تأسيس "اتحاد الكتاب العرب" في سوريا عام 1969م، كما انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1990م، وتوفي سنة 1913م بدمشق عن عمر يناهز 92 سنة.²³⁰

اتجه إلى كتابة الشعر للأطفال بعد نكسة حزيران عام 1967م، وكان قبل ذلك يكتب للكبار فقط.²³¹ دفعت هزيمة الجيش العربي على يد الجيش الصهيوني سليمان العيسى إلى الشعور بخيبة أمله من جيل الكبار. فرأى نور الأمل والتفاؤل في جيل الصغار، وأهدى إنتاجاته الأدبية المتنوعة من النشيد والأغنية والمسرحية وغيرها إلى تربية الأطفال وتزويدهم بالثقافة التي

²²⁸ - الشاروني، يعقوب، أسرار بيت الطالبات، دار المعارف، مصر، عام 2010م.

²²⁹ - زراقة، الدكتور عبد المجيد، الوقعية الاجتماعية في قصص يعقوب الشاروني، مدونة حي بن يقطان الإلكترونية، 3 ديسمبر، عام 2017.

²³⁰ - أبيض، الدكتورة ملكة، سليمان العيسى في سطور، الموقع الرسمي لسليمان العيسى. (<http://www.sulaimanalissapoet.org/sira->

[part-1.html](#))

²³¹ - مقدادي، الدكتور موفق رياض، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص 167.

يحتاج إليها الأطفال العرب لمكافحة ومواجهة التحديات التي مرت بها الأمة العربية في عام 1967م. يقول الشاعر نفسه: "توجهت بعد نكسة حزيران لكتابة الشعر للأطفال لأنني شعرت بخيبة كبيرة من جيل الكبار، وأحسست بأن الخطأ كان في تربيتهم وهم صغار ولم يحصلوا على الثقافة التي يجب أن يتزودوا بها ليستطيعوا مكافحة ومواجهة الصعوبات التي مرت بهم، أردت أن أعوض عليهم وأعطيهما ما فات الكبار في وطننا، أوجدت لهم عالماً كاملاً من خلال ما كتبتهم لهم شعراً ونثراً ومسرحياً وغيرها".²³² كان يعتقد بأن الشجرة العظيمة بنت الغرسة العظيمة، وأن الصغير الذي يحمل في طفولته فكرة كبيرة هو الذي يخلق الوطن الكبير.²³³

اعترف سليمان العيسى بأن الأطفال العرب كانوا محرومين من بسمات الملائكة على شفاهم... أي من الأناشيد الجميلة والشعر الحقيقي، فلم يجد شاعرنا أي موضوع أجمل وأغنى وأهم من كتابة الشعر للأطفال.²³⁴ قدم سليمان العيسى للأطفال إنتاجات شعرية ضخمة من القصيدة والنشيد والمسرحية الشعرية، تتميز كلها باللفظة الرشيقة الموحية، والصورة الشعرية الجميلة، والفكرة النبيلة، والوزن الموسيقي الخفيف الرشيقي، وجمعها في ديوان باسم "ديوان الأطفال" الذي صدر عام 1999م. تم إدخال شعره في كثير من المناهج المدرسية لعدد من الدول العربية. ملأ الشاعر الفضاء بكلماته الحلوة الجميلة التي اعتبرها أثمن هدية للأطفال ودعا الكبار إلى التغني بها مع الصغار. يقول في مقدمة "غنوا يا أطفال"، دعوا الطفل يغني، بل غنوا معها أيها الكبار، إن الكلمة الحلوة الجميلة التي نضعها على شفثيه هي أثمن من هدية نقدمها له، لكي يحب الأطفال لغتهم، لكي يحبوا وطنهم، لكي يحبوا الناس، الزهر، والربيع والحياة".²³⁵ بالإضافة إلى الشعر. قدم سليمان العيسى بعض الأعمال النثرية للأطفال، ومن أبرزها: شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال، علي بابا والأربعون لصاً، وعلاء الدين والفانوس السحري، و وائل يبحث عن وطنه الكبير وغيرها. تمت ترجمة العديد من أعماله الأدبية للأطفال إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية، كما

²³² - وع، سمر، سليمان العيسى: شاعر أطفال سورية، الموقع الرسمي لسليمان العيسى.

²³³ - العيسى، سليمان، مقدمة غنوا يا أطفال، ص 17.

²³⁴ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، 262.

²³⁵ - بقاعي، إيمان يوسف، سليمان العيسى منشد العروبة والأطفال، ص 70.

شارك مع زوجته الدكتورة ملكة أبيض وعدد من زملائه في ترجمة قصص ومسرحيات من روائع الأدب العالمي.²³⁶

في السطور الآتية، سأستعرض أعمال سليمان العيسى للأطفال من ناحية الموضوع والمضمون بغاية من الإيجاز. تتنوع الموضوعات والمضامين في أعماله الموجهة للأطفال، ومن أهمها: الموضوعات الوطنية، والاجتماعية، والتعليمية، والتربوية والتثقيفية. كان يجري دم الوطنية والعروبة في شريان سليمان العيسى، ويهدف إلى إعداد الناشئين الممثلين بالحماسات العربية والوطنية من خلال بث الروح القومية في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم، لأنه يرى فيهم الحياة والمستقبل والامتداد. كتب قصائد وأناشيد تتناول حب الوطن والاعتزاز بالانتماء إليه والتغني بجماله ووفرة خيراتهِ وبذل أقصى جهد في سبيل تطويره ورخائه، سواء أكان هذا بالنسبة إلى الوطن الأم أو الوطن العربي بأسره. فالأناشيد مثل: فلسطين داري، افتح يا وطني، نشيد ابنة الشهيد، وطني، والعربي الصغير يقول وغيرها تحمل في طيها معنى الوطنية وروحها. يقول غسان كلاس: " تنعكس الروح القومية بصورة جلية في جل قصائده وإن لم تكن كلها وطنية، فلا يكاد يخلو أي نشيد من هذه الروح".²³⁷

نظم العيسى قصائد اجتماعية عديدة بما فيها نشيد بابا، نشيد ماما، الأسرة تعمل، عودة الأم. تتحدث كلها عن العلاقات الأسرية مثل علاقة الطفل بوالديه وبقية أفراد أسرته، وتصف الأفراد وأدوارهم داخل الأسرة ومكانتهم فيها. وكذلك تناول العيسى موضوعات متعلقة بالناحية التعليمية، والخلقية والتربوية للأطفال. ونلاحظ مثل هذه الموضوعات في قصائد: أحلى لغة، إلى معلمتي، التلاميذ، في المستشفى، التعاون وغيرها.²³⁸ عرض فيها الشاعر الصفات الحميدة والأخلاق والقيم النبيلة التي يريد غرسها في نفس الطفل، ومنها: حب الآخرين واحترامهم وتقديرهم، والتحية، وزيارة المريض، وتقديم المساعدة لمن يحتاجها، وعلاقة الطفل بأصدقائه ومحيطه

²³⁶ - أبيض، الدكتورة ملكة، سليمان العيسى في سطور، الموقع الرسمي لسليمان العيسى.

²³⁷ - غسان كلاس، قراءة في ديوان الأطفال للشاعر سليمان العيسى، ص 3.

²³⁸ - العيسى، سليمان، ديوان الأطفال، دار الفكر، دمشق، 1999م.

المدرسي، وهكذا علاقة الطفل بالحيوانات وحبها لها في قصائد "زفيقي الأرنب" و "بدور الصغيرة تحب الطيور" وغيرها.²³⁹

كتب بعض القصائد في المناسبات والأماكن المحببة للأطفال مثل: العيد، عيد الطفل وعيد الشجرة و في حديقة الحيوان²⁴⁰، بالإضافة إلى القصص والحكايات التي تحمل العبرة والحكمة. حاول سليمان العيسى لتعزيز أواصر العلاقة والانتماء بين الجيل الناشئ واللغة العربية من خلال كتابه الشهير "شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال". وفوق كل هذا، استطاع العيسى أن ينقل أدب الأطفال من المرحلة الرومانسية - في عهد شوقي والكيلاني- إلى المرحلة الواقعية، فوجدت القضايا الجوهرية مثل الوحدة العربية والعدالة الاجتماعية وكرهية الاستعمار طريقها إلى كتاباته للأطفال.²⁴¹ ونختتم قولنا بأن سليمان العيسى قد نقل تجربته القومية والفنية، وهمومه وأحلامه إلى الأطفال بكل معنى الكلمة، وقدم أعلى هدية إليهم بنتاجه الشعري والنثري، سيعرف الأطفال قيمتها عندما يكبرون.

يعقوب اسحاق: (1942م-...)

يعد يعقوب إسحاق من الكتاب البارزين المعاصرين لأدب الأطفال في المملكة العربية السعودية حيث تزيد مؤلفاته على أكثر من 200 عنوان في مجال أدب الأطفال العربي، ويعرف بلقب "بابا يعقوب" في الأوساط العلمية والأدبية بسبب اهتمامه الكبير بأدبيات الطفولة في مجالات الصحافة والإذاعة والتلفزيون ونشر الكتب للأطفال، بالإضافة إلى تقاسمه مع طاهر زمخشري قيادة أدب الأطفال السعودي زمنيا وفنيا.²⁴² ولد بابا يعقوب في مكة المكرمة عام 1942م. حصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة الملك سعود بالرياض عام 1969م، ثم أكمل الدبلوم العالي في التربية وعلم النفس من نفس الجامعة في عام 1970م. اشتغل بالتدريس بعد تخرجه في وزارة المعارف لمدة أربع سنوات في مدينة جدة، ثم عمل مراقبا إداريا بهيئة الرقابة والتحقيق، ولكل منهما علاقة وطيدة بالتربية وعلم النفس. وفي عام 1979م، قام

²³⁹ - غسان كلاس، قراءة في ديوان الأطفال للشاعر سليمان العيسى، ص 3.

²⁴⁰ - العيسى، سليمان، ديوان الأطفال، دار الفكر، دمشق، 1999م.

²⁴¹ - مقدادي، الدكتور موفق رياض، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص 168.

²⁴² - العنزي، الدكتور سعد بن ماشي، جهود أدباء المملكة العربية السعودية في أدب الأطفال، كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية بجامعة كيرالا، الجزء الثاني، ص 158.

بإعداد برنامج يومي للأطفال عبر الإذاعة السعودية باسم "يحكى أن" تقديمًا مساهمته في العام الدولي للطفولة. عمل كأول رئيس تحرير لمجلة "حسن" الأسبوعية للأطفال التي صدرت عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ابتداءً من 1977م إلى 1980م. أنشأ يعقوب إسحاق داراً للنشر والتوزيع في مدينة جدة باسم "دار أبي حسن" في عام 1403هـ، ونشر منها العديد من الكتب للأطفال، توقفت دار النشر في عام 1420هـ.²⁴³

ظهرت قدرة يعقوب إسحاق الكامنة على الكتابة للأطفال بعد تعيينه رئيساً لتحرير مجلة "حسن" للأطفال عام 1977م، والتي كانت تصدرها مؤسسة "عكاظ" السعودية. تعلم يعقوب إسحاق تقنية الكتابة للأطفال خلال عمله في المجلة بإعداد بعض القصص القصيرة للأطفال. وبعد توقف المجلة بسبب الأزمة المالية، قدم يعقوب إسحاق تعاونه إلى "تهامة للنشر" التي اهتمت بنشر عدد كبير من كتبه الموجهة للأطفال، وهكذا اكتسب الأديب الخبرات والثقافات اللازمة لتأليف كتب الأطفال.²⁴⁴ في عام 1403هـ، أسس يعقوب إسحاق داراً ذاتية للنشر والتوزيع، ونشر منها العديد من الكتب الموجهة للأطفال ضمن السلاسل المختلفة بما فيها "نحو مجتمع أفضل" و "التربية الإسلامية" و "ديننا يأمر بالرحمة وينهي عن الإرهاب" و "التوعية البيئية" و "التربية الوطنية" وغيرها، حتى بلغت مؤلفاته للأطفال أكثر من 200 عنوان. وبالإضافة إلى ذلك، قام يعقوب إسحاق بتسجيل بعض إنتاجاته الفنية للأطفال على أشرطة الفيديو وأشرطة كاسيت مثل شريط فيديو لتعليم الأطفال الألفباء باسم "مهرجان الحروف"، وشريط كاسيت لتعليم الأطفال الألفباء باسم "مهرجان الحروف"، كما قدم البرامج المتعددة للأطفال على الإذاعة والتلفزيون بالمناسبات المختلفة.²⁴⁵ يعكف يعقوب إسحاق حالياً على الكتابة للأطفال بعد تقاعده من الوظيفة الحكومية منذ وقت طويل. ومن الأسف الشديد أن هذا المبدع الكبير يعيش في حالة قاسية حيث لا يملك بيتاً خاصاً ولا يزيد دخله الشهري على 1300 درهم.²⁴⁶

²⁴³ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 44-45.

²⁴⁴ - الحرثي، مشعل، الحوار مع بابا يعقوب، مجلة اليمامة الأسبوعية، المملكة السعودية، 28 يناير، 2012م.

²⁴⁵ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 47-57.

²⁴⁶ - الحرثي، مشعل، الحوار مع بابا يعقوب، مجلة اليمامة الأسبوعية، المملكة السعودية، 28 يناير، 2012م.

قبل أن يتصدى الباحث لاستعراض الموضوعات العامة التي عالجها يعقوب إسحاق في كتاباته للأطفال، لا بد من الإشارة إلى أن هذا البحث لم يتناول تلك الأعمال التي قدمها يعقوب إسحاق للأطفال عبر الإذاعة، والتلفزيون، والفيديو، والكاسيت أو الوسائل الإلكترونية الأخرى، بل يركز على القصص المطبوعة سواء كانت منشورة في المجلات والصحف أو في شكل كتابي.

تدور إنتاجات يعقوب إسحاق الموجهة للأطفال حول موضوعات متنوعة، منها دينية ووطنية وتاريخية واجتماعية وأخرى تعني بالبيئة والحيوان وغير ذلك من الموضوعات. حصل يعقوب إسحاق على شهادة الدبلوم العالي في التربية وعلم النفس. فيؤمن بالدور الهام الذي يلعبه أدب الأطفال في تكوين عقائد الأطفال وشخصيتهم الدينية وثقافتهم الإسلامية. كتب ضمن سلسلة "التربية الإسلامية" قصصا دينية كثيرة بما فيها "الله أكبر" و"الشهادتان" و"الصلوة" و"الزكاة" و"الصوم" و"الوضوء" وغيرها²⁴⁷ بهدف غرس القيم الدينية في الأطفال. وضمن الموضوعات التاريخية والوطنية، نجد "عدالة الفاروق" و"أجمل الأوطان"²⁴⁸ على التوالي من أبرز القصص العديدة في هذين البابين. حاول الكاتب تعزيز علاقة الأطفال مع تاريخهم المشرق وبتث القيم الوطنية والانتمائية فيهم. ولكن يعقوب إسحاق كتب هذه القصص خلال الثمانينات من القرن العشرين، فنترك الحديث عنها.

رغم أن حظيت الموضوعات الدينية بنصيب وافر في قصص يعقوب إسحاق الابتدائية، فلم يصرف الكاتب نظره عن القضايا الاجتماعية والبيئية التي يجب أن يطلع الأطفال عليها في هذه الأيام الراهنة. لمست كتابات يعقوب إسحاق الموجهة للأطفال بعد التسعينيات من القرن العشرين وفي بداية القرن الواحد والعشرين بعض الاتجاه الواقعي في المحتوى والمضمون. في قصة "إيهاب والإرهاب" التي نشرت في عام 1430هـ²⁴⁹، عالج يعقوب إسحاق قضية الإرهاب التي هي قضية ساخنة وأكبر تهديدات لأمن العالم في عصرنا الراهن. خلال السنوات القليلة الماضية، تغيرت وجهات نظر الكتاب تجاه طفل الجيل الجديد فهو طفل ذكي يستطيع مواجهة سائر أنواع التحديات. تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور: "أصبح الطفل الشخصية الفاعلة في

²⁴⁷ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 50.

²⁴⁸ نفس المصدر، ص 51-52.

²⁴⁹ - إسحاق، يعقوب، إيهاب والإرهاب، دار أبي حسن، السعودية، 1430هـ.

القصة، يعبر عن مشاعره واهتماماته وتطلعاته وقلقه وتمرده".²⁵⁰ تبدأ القصة بالتقاء بطلها "إيهاب"، المراهق القوي والمتطلع إلى اكتساب المعرفة وتغيير كل ما يحدث في العالم من الظلم والفساد، بمجموعة من الشباب الذين هم أيضا يرغبون في تطهير الأرض من جميع أنواع الفساد والشر ولكن بالقوة، فيحثون "إيهاب" على تنفيذ خطة وينجحون في إقناعه. في نهاية القصة يرفض إيهاب عن القيام بالمهمة بدليل: "كيف يمكن له أن يستخدم السلاح الأبيض ضد الأشرار والمفسدين في الأرض وهو يتلفظ اسم الله بلسانه".

تناول يعقوب إسحاق قضية الإرهاب من حيث هي جريمة لا يقرها الإسلام الذي يحض على حفظ النفس والمال والعرض، ويدعو إلى الحفاظ على أمن واستقرار المجتمعات، ومجابهة الفكر الضال الذي يقوض بناء الكيان المسلم، لحماية الطفل من الوقوع في المخالفات العقدية.²⁵¹ هذه القصة موجهة للأطفال ما بين 13 و 19 من عمرهم وهو سن المراهقة²⁵² التي تعد من أخطر المراحل بالنسبة للأطفال حيث يميلون فيها إلى إثبات ذاتهم وبيان جوانب شخصياتهم بوضوح أمام الآخرين. يجب على كتاب أدب الأطفال أن يعالجوا موضوعات تساعد الأطفال على فهم ما يحيط بهم من الظروف والمشاكل وطرق التعامل معها بأسلوب يتناسب مستواهم الفكري والعقلي. وبالإضافة إلى هذا، كتب يعقوب إسحاق "الوهم"²⁵³ ضمن القصص الاجتماعية وعالج فيها بعض الاعتقادات الخاطئة السائدة على المجتمع وهو أن العلاج في المستشفيات الحكومية غير مفيد وأن الذهاب للمستشفيات الخاصة مما تستدعيه الواجهة الاجتماعية.

عالج يعقوب إسحاق قضية البيئة التي أصبحت مجالا خصبا للكتابة للأطفال في هذه الأيام نظرا لخطورة الموضوع وتهديداته لوجود الإنسان وبقائه، فحرص الكاتب على استخدام القصص ذات المضامين البيئية ضمن سلسلة "التوعية البيئية للأطفال" لبث الوعي البيئي بين الصغار والناشئين، وتحريضهم على الاهتمام بالمحافظة على البيئة. كتب قصصا عديدة حول الموضوع بما فيها قصة "أمننا الأرض مريضة"²⁵⁴ و "أضرار البيئة الملوثة"²⁵⁵ و "كلنا أطباء

²⁵⁰ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 24.

²⁵¹ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 82.

²⁵² - أبو معال، الدكتور عبد الفتاح، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ص 23.

²⁵³ - إسحاق، يعقوب، الوهم، دار أبي حسن، مكان النشر غير مذكور، 1425هـ.

²⁵⁴ - إسحاق، يعقوب، أمننا الأرض مريضة، دار أبي حسن، مكان النشر غير مذكور، 1428هـ.

للأرض المريضة²⁵⁶ وغيرها. وتناول فيها موضوعات بيئية كالتلوث المائي والهوائي وأضرارهما، وارتفاع درجة الحرارة في الغلاف الجوي، والتأثيرات السلبية لعدم نظافة المدخرات الشخصية.²⁵⁷

لا يخفى على أحد أن العالم في عصرنا الراهن يمر بمرحلة صعبة فيما يتعلق بالقضايا البيئية. وتسبب التقدم الصناعي و التكنولوجيا والإهمال الشديد على مستوى الحكومات والشعب في خلق الكثير من المشاكل البيئية مثل الاحتباس الحراري، وتلوث الهواء، واستنفاد طبقة الأوزون، وتلوث المياه، وتغير المناخ وغيرها، التي تؤثر على كل البشر والحيوانات والأمة على هذا الكوكب الأرضي، وتتفق مليارات دولار على المشاريع والسياسات لتخفيف التأثيرات البيئية التي يقف ورائها الإنسان مباشرة، وتطوير فكرة التنمية المستدامة من أجل الحفاظ على ثروات الأرض للأجيال القادمة. وبما أن الأطفال هم رجال الغد وقادة المستقبل، وأكبر وسيلة كامنة للتغيير بالمجتمع في الأيام القادمة، فمسئولية إثارة احساس الأطفال بالجمال والطبيعة وبث الوعي البيئي بينهم منذ نعومة أظفارهم تقع على كاهل الكتاب لأدب الأطفال. فيمكننا أن نقول إن يعقوب إسحاق قد نجح إلى حد كبير في تأدية هذه المسئولية.

فاطمة شرف الدين: (1966م - ...)

فاطمة شرف الدين من أبرز الكتاب المعاصرين في مجال أدب الأطفال العربي حيث فازت إنتاجاتها الأدبية الموجهة للأطفال بالعديد من الجوائز ولوحات الشرف، ومن أشهرها: جائزة اتصالات الدولية لكتاب الطفل في فئة اليافعين عام 2017م لكتابها "كابوتشينو"²⁵⁸، وجائزة أفضل كتاب في معرض بيروت الدولي عام 2010م لروايتها "فاتن" وجائزة معرض بولونيا لكتابها "لا تفتحي هذا الكتاب" عام 2014م وغيرها من الجوائز والأوسمة التي تزيد على الثلاثين من بين الترشيح والفوز. ولدت فاطمة شرف الدين في بيروت عام 1966م، وقضت السنوات الست الأولى من طفولتها في سيرا ليون، في غرب إفريقيا. بعد عودتها مع عائلتها إلى لبنان عام 1972م، بدأت الحرب الأهلية اللبنانية في عام 1975م، فقضت فاطمة خمسة عشر عاما من حياتها

²⁵⁵ - إسحاق، يعقوب، أضرار البيئة الملوثة، دار أبي حسن، مكان النشر غير مذكور، 1428هـ.

²⁵⁶ - إسحاق، يعقوب، كلنا أطباء للأرض المريضة، دار أبي حسن، مكتن النشر غير مذكور، 1428هـ.

²⁵⁷ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 121.

²⁵⁸ - قائمة الفائزين بجائزة اتصالات لعام 2017، الموقع الرسمي لجائزة اتصالات.

تتحرك مع عائلتها بين المدن اللبنانية المختلفة بحثاً عن الأمن والاستقرار، وكانت الإقامة الأساسية في بيروت. حصلت فاطمة على شهادة البكالوريوس في التربية لمرحلة الطفولة المبكرة من الجامعة اللبنانية الأمريكية في عام 1989م، وتابعت دراستها بعد زواجها، فالتحقت بجامعة ولاية أوهايو في أمريكا حيث تخرجت بشهادتي الماجستير: الأولى في النظريات التربوية وتطبيقاتها عام 1993م، والثانية في الأدب العربي الحديث عام 1996م. عملت لسنوات عديدة في مجال التربية، وقامت بمهمة تدريس اللغة العربية في جامعة رايس بمدينة هيوستن في ولاية تكساس الأمريكية.²⁵⁹

في عام 2001م، انتقلت فاطمة مع أسرتها إلى بلجيكا حيث قررت التفرغ للكتابة لأدب الأطفال ابتداءً من عام 2004م. وهكذا بدأت بتحقيق ذلك الحلم الذي رآته منذ سن المراهقة، وهو المساهمة قدر الإمكان في إغناء مكتبة الطفل العربية التي ما زالت حتى اليوم تفتقر إلى الكتب التي توازي بقيمتها الكتب الأجنبية التي تغزوها.²⁶⁰ تركز فاطمة الآن تماماً لأدب الأطفال في ضوء المقومات الفنية الحديثة لهذا المجال. وفي غضون السنوات الـ12 الماضية، كتبت ونشرت أكثر من 120 كتاباً للأطفال واليافعين منهم، مستمدة فكرة معظم قصتها من واقع الطفل والعصر الجديد وبعضها من التراث العربي. بالإضافة إلى الكتابة للأطفال، ترجمت فاطمة بعض كتب الأطفال من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية، كما ترجمت العديد من كتبها إلى اللغات الأوروبية والآسيوية من الألمانية والفرنسية والإنجليزية والكورية. تعمل فاطمة مع دور النشر المختلفة بما فيها "كلمات" (الإمارات) ودار الساقى (لبنان) ودار الشروق (مصر) وميجاد (بلجيكا) وغيرها. فاطمة عضوة نشيطة في الهيئة اللبنانية لكتب اليافعين، وتحضر العديد من معارض الكتب والمهرجانات الأدبية في أوروبا والعالم العربي خلال العام. وقد دعيت في السنوات القليلة الماضية إلى دبي، وأبو ظبي، والشارقة، والبحرين، وعمان، ودمشق، والدوحة وبيروت للحضور في ورشة عمل للكتابة الإبداعية للأطفال.²⁶¹

²⁵⁹ - السيرة الذاتية لفاطمة شرف الدين، الموقع الرسمي لفاطمة شرف الدين. (<http://www.fatimasharafeddine.com/ar/bio-ar>).

²⁶⁰ - تعريف موجز لفاطمة شرف الدين، الموقع الرسمي لمؤسسة أناليند (البرنامج الإقليمي لأدب الأطفال العربي) ضمن ربط "المؤلفين".

²⁶¹ - السيرة الذاتية لفاطمة شرف الدين، الموقع الرسمي لفاطمة شرف الدين. (<http://www.fatimasharafeddine.com/ar/bio-ar>).

ونقوم الآن باستعراض بعض الكتب الهامة التي ألفتها فاطمة شرف الدين من حيث الموضوع والمحتوى. قالت فاطمة مرة إن "الطريق إلى مواكبة أدب الأطفال العالمي طويل، ولكن بالعمل الجدي وبتتقيف نواتنا ككتاب ورسامين وناشرين سوف نتمكن من إيصال مستوى أدب الطفل في العالم العربي إلى مستوى أدب الطفل في العالم".²⁶² عندما نقلنا أفكارنا على إنتاجات فاطمة الأدبية للأطفال في ضوء هذا القول، نشعر بأن فاطمة، في الحقيقة، تحاول كل ما في وسعها لرفع مستوى أدب الأطفال العربي إلى مستوى أدب الأطفال العالمي. قدمت أعمالها لجميع مراحل الطفولة من وجهات نظر الأطفال ومستوياتهم العقلية والنفسية. وكسرت المحرمات في أدب الأطفال العربي من خلال تطرقها إلى تلك الموضوعات التي تعتبر مهمة في تربية وتسليّة الأطفال حسب النظريات النفسية الجديدة ومتطلبات العصر الجديد.

تناولت فاطمة في رواية "فاتن"²⁶³ الموجهة لليافعين، مشكلة اجتماعية أسرية يواجهها الكثير من اليافعين واليافعات في حياتهم، حيث تحاول الكاتبة من خلال الرواية رصد محاولات الشابة المجتهدة "فاتن" في الانسلاخ عن طفولتها الداخلية، والظهور بمظهر الفتاة الناضجة والتي تعمل بجدية لتحسين مكانتها في الحياة. تدور أحداثها حول "فاتن" الفتاة القروية الذكية الطمّاحة، تجبر على ترك المدرسة والانتقال إلى البيروت للعمل كخادمة بإرادتها القوية ترسم فاتن مخططاً للخروج من هذا المأزق الذي تجد نفسها فيه. وبمساعدة بعض الأصدقاء ومثابرتها على قرارها للتحرر والنهوض بنفسها إلى مستقبل أفضل، تتجح فاتن أخيراً في تحقيق طموحاتها وتصبح ممرضة في أحد المستشفيات. في قصة "جدتي والقمر"²⁶⁴، عالجت فاطمة موضوع الموت لإيضاح مفهوم الموت للأطفال والتعامل مع القلقات النفسية التي يمرون بها عند فقدان أحد من أهلهم أو قريبهم. في القصة، تتمشى البنت الصغيرة كل مساء مع أمها، وتسال القمر عن جدتها التي رحلت. هذه قصة رقيقة مكتوبة بطريقة سلسلة تساعد الطفل على تقبل فكرة الموت والفراق. يفهم الطفل من خلال هذا الكتاب أن الموت هو جزء من دورة الحياة. وهكذا يتناول كتاب "سम्म في

²⁶² - شرف الدين، فاطمة، لم أقرر الكتابة للأطفال عبثاً، جريدة النهار اليومية، لبنان، 3 يناير، 2009م.

²⁶³ - شرف الدين، فاطمة، فاتن، دار كلمات، الإمارات، 2010م.

²⁶⁴ - شرف الدين، فاطمة، جدتي والقمر، دار كلمات، الإمارات، 2008م.

بطن ماما" ²⁶⁵ للكاتبة موضوع الولادة ويجيب بشكل دقيق ومرح عن تساؤلات الأطفال الحرجة حول الموضوع. وتناولت الكاتبة موضوع التنمر الذي يواجهه الأطفال في المدرسة عامة في كتاب "هكذا أمور تحصل". ²⁶⁶

وتناولت فاطمة شرف الدين موضوعا سياسيا في قصة "هبت ريح قوية" ²⁶⁷ التي تتحدث عن الثورات في الدول العربية المختلفة من وجهة نظر الطفل الذي يشعر بالحرية لأول مرة، ويشاهد العالم من حوله يتطاير ويتبدل. ولعل أهدت فاطمة هذه القصة إلى أطفال مصر وكل أطفال الثورات العربية في محاولة منها لتأهيل الأطفال لعالم السياسة بشكل طريف قريب من عالمهم البسيط. وفي قصة "في مدينتي حرب" ²⁶⁸، عالجت الكاتبة قضية الحرب، فنرى الحرب في هذا الكتاب من خلال الطفل الذي يعيشها. فهو يصف لنا، بكل بساطة، حياته اليومية في مدينة محتلة. لكن هذا الطفل لديه أمل بمستقبل أفضل من الحاضر، ويقول أن عليه ألا يخاف من الحرب أبداً وأن يقول للمحتل أن يرحل عن مدينته.

وبالإضافة إلى هذه الموضوعات الجديدة، عالجت فاطمة شرف الدين أيضا موضوعات تاريخية وتراثية أيضا في حلة جديدة لربط علاقة طفل العصر الجديد بعظماء التاريخ في العالم العربي، فكتبت ضمن سلسلة "هل تعرف من أنا؟" كتبا عديدة مثل: ابن سينا، وابن بطوطة، وابن خلدون، وابن رشد وغيرها. ²⁶⁹ هذه الكتب تكشف عن أهم مراحل حياة الشخصيات التاريخية العربية وإبداعاتهم في المجالات المختلفة، كذلك تناولت الموضوعات الدينية، التي تعد جزءا لا يتجزأ من حياة وثقافة الأطفال العرب، لترسيخ القيم الدينية في الأطفال ومساعدتهم على فهم معاني العادات والتقاليد الدينية في العصر المادي هذا. فقدمت قصتين "رمضان في الإمارات" ²⁷⁰ و "حذاء العيد" ²⁷¹، كما كتبت حول سيرة الأنبياء عليهم السلام في كتب عديدة مثل: محمد، وعيسى،

²⁶⁵ - شرف الدين، فاطمة، سمس في بطن ماما، دار الساقى، لبنان، 2015م.

²⁶⁶ - شرف الدين، فاطمة، هكذا أمور تحصل، دار الساقى، لبنان، 2013م.

²⁶⁷ - شرف الدين، فاطمة، هبت ريح قوية، دار الشروق، مصر، 2013م.

²⁶⁸ - شرف الدين، فاطمة، في مدينتي حرب، دار أصالة، لبنان، 2008م.

²⁶⁹ - شرف الدين، فاطمة، سلسلة "هل تعرف من أنا"، دار كلمات، الإمارات، 2010م-2014م.

²⁷⁰ - شرف الدين، فاطمة، رمضان في الإمارات، دار كلمات، الإمارات، 2015م.

²⁷¹ - شرف الدين، فاطمة، حذاء العيد، دار كلمات، الإمارات، 2010م.

ونوح، وموسى، ويوسف وغيرها²⁷²، لكي يطلع الطفل على حياتهم وخدماتهم الجليلة تجاه الإنسانية ويحتذي بهم في حياته القادمة. وهناك موضوعات أخرى لا أستطيع ذكرها في هذه العجالة ولكنها تدور معظمها حول واقع الطفل ومشاكله العاطفية والسلوكية في أسلوب سهل يدفعه إلى التساؤل والتفكير والاستنتاج.

سمر محفوظ براج

تتمتع الكاتبة اللبنانية المعاصرة سمر محفوظ براج بمكانة مرموقة في مجال أدب الأطفال العربي حيث تزيد إنتاجاتها الأدبية على 45 مؤلفاً من بين القصة والرواية، فضلاً عن ترجمتها لسبعة وعشرين كتاباً للأطفال عن الفرنسية والإنكليزية والإيطالية. فازت قصصها العديدة بالجائزة الأولى والثانية لكتب الأطفال في معرض بيروت الدولي للكتاب في عام 2011م و2012م، كما سجلت أربعة منها في القائمة القصيرة للأعمال المرشحة للفوز بجائزة اتصالات لكتاب الطفل في معرض الشارقة الدولي للكتاب لعدة مرات. تمتاز كتاباته للأطفال بالاتجاهات الواقعية ومعالجة الموضوعات الجديدة والحساسة بأسلوب طريف يناسب مستوى الأطفال الفكري والعقلي. ولدت سمر براج في لبنان وحصلت على شهادة البكالوريوس في الإدارة العامة والدبلوم في تدريس اللغة العربية من الجامعة الأمريكية في بيروت. اشتغلت بتدريس اللغة العربية في مدرسة رياض الأطفال لسنوات عديدة، كما ظلت مسؤولة عن المكتبة بمدرسة خاصة في بيروت. سمر براج عضو نشط في الهيئة اللبنانية لكتب اليافعين منذ عام 2007م.²⁷³ وتفرغت للكتابة للأطفال منذ عام 2012م.²⁷⁴

اتجهت سمر براج إلى الكتابة للأطفال بدون تخطيط مسبق خلال قيامها بالتدريس في مدرسة رياض الأطفال عندما طلبت مديرة المدرسة منها أن تكتب مسرحية للأطفال بمناسبة العيد. تقول سمر براج نفسها: "في إحدى المرات طلبت منا مديرة القسم مسرحية للعيد للأولاد، فخضت التجربة وإذا بي أكتشف في داخلي موهبة مخاطبة الأطفال بلغتهم والكتابة لهم، وبعد ما لاقت

²⁷² - شرف الدين، فاطمة، جميع الكتب حول سيرة الأنبياء، دار كلمات، الإمارات، 2014م.
²⁷³ - رانا، عصفور، حوار مع سمر محفوظ براج، موقع بوك فابولاس، 3 يونيو، عام 2015م.
²⁷⁴ - كلود، أبو شقرا، مقابلة شخصية مع سمر محفوظ براج، جريدة الجريدة اليومية، الكويت، 19 أكتوبر، عام 2014م.

المسرحية صدى طيبا لدى الأطفال والكبار على السواء، تحمست وكتبت في العام التالي أغاني وأشعارا ومسرحية ثانية. وهكذا اقتحمت، صدفة، من دون تخطيط مسبق، هذا العالم الملون بألوان الحياة الجميلة".²⁷⁵ بدأت سمر براج إصدار الكتب للأطفال في عام 2007م ابتداء من كتابها الأول "لم أكن أقصد" الصادر عن دار نشر أصالة. ونشرت كتبا عديدة رائعة تمت ترجمة بعضها إلى اللغات الأجنبية. ومن أشهر قصصها "جدتي ستذكركني دائما" و"عندما مرضت صديقتي" وقصة "خط أحمر"، أول محاولة عربية تعالج موضوع التحرش الجنسي في كتب الأطفال، نالت استحسانا يليق بها بين الأوساط العلمية والأدبية في الدول العربية وخارجها. عثر الآباء والأمهات بواسطة القصة على الوسائل والتقنيات للتحدث مع أولادهم حول الموضوع الحساس. تواصل سمر براج محاولتها لإثراء أدب الأطفال العربي حتى الآن بفضل أسلوبها الغنائي وقدرتها الخاصة على نسج قصة تأسر قلوب الناشئين، بالإضافة إلى مشاركتها في العديد من الأنشطة في مختلف المناطق اللبنانية لتشجيع الأطفال على القراءة.

سأحاول في السطور الآتية استعراض المواضيع الهامة التي عالجها سمر براج في كتاباتها للأطفال. خلال السنوات الأخيرة، شهد أدب الأطفال في العالم العربي تغيرا كبيرا في شكله الخارجي والداخلي بأسباب عديدة من اهتمامات الحكومات والمؤسسات المتزايدة بأدب الأطفال، وتشجيع حقوق الطفل على مستوى العالم العربي والعالمي، وقرارات مكثفة في مجال علم نفس الطفل وبرامج الإصلاح التربوي وغيرها، مما جعل الكتاب يسعون إلى وضع كتب تنطلق من عالم الأطفال²⁷⁶ والبيئة المحيطة بهم آخذين جوانبهم النفسية بعين الاعتبار. كتبت سمر براج لجميع مراحل العمر²⁷⁷ وتناولت موضوعات تدور حول واقع الطفل وبيئته ومجتمعه، بالإضافة إلى المشاكل السلوكية والقلقات النفسية التي يمر بها الطفل في حياته، بهدف تطوير مهارات ذكائه العاطفي والعقلي وتربيته الشاملة في جو التسلية والمتعة. تقول سمر براج نفسها: "معظم المواضيع

²⁷⁵ - كلود، أبو شقرا، مقابلة شخصية مع سمر محفوظ براج، جريدة الجريدة اليومية، الكويت، 19 أكتوبر، عام 2014م.

²⁷⁶ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 24.

²⁷⁷ - كلود، أبو شقرا، مقابلة شخصية مع سمر محفوظ براج، جريدة الجريدة اليومية، الكويت، 19 أكتوبر، عام 2014م.

التي كتبت عنها هي إما مواضيع من واقع الطفل وقريبة منه، منها: المهن، والحيوانات الأليفة، والهوايات، والغيرة، وسرطان الأطفال، والصدقة، وغيرها".²⁷⁸

في قصة "خط أحمر"²⁷⁹، تعالج سمر براج موضوعا محرما وحساسا في العالم العربي حيث لم يتطرق إليه أحد من قبلها، وهو التحرش الجنسي بالأطفال بشكل طريف وذكي، تساعد هذه القصة على توعية الأطفال حول موضوع التحرش الجنسي، كما تعطيهم الجرأة على مواجهة هذا الموقف فيما لو حصل معهم والتحدث عنه بلا خجل وخوف. وتقدم القصة للأطفال مفهوم الوطن والعائلة والبيت وعدم فتح الباب للغرباء وغيرها. لقي هذا الكتاب استحسانا كبيرا في البلدان العربية بسبب أسلوب الكاتبة الفريد لتناول الموضوع. تناولت سمر براج أيضا موضوعات حول الأمراض مثل مرض الزهايمر في قصة "جدتي ستذكرني دائما"²⁸⁰، والتي فازت بجائزة معرض بيروت الدولي، تتحدث عن علاقة مميزة بين فتاة وجدتها التي بدأت تنسى. ومرض السرطان في الأطفال في قصة "عندما مرضت صديقتي"²⁸¹، إذ تصف القصة تجربة طفلة صغيرة مع مرض السرطان وتدعو إلى الأمل والنفاؤل ومقاومة المرض وحب الحياة.

كذلك كتبت سمر براج حول قضية التدخين في قصة "أمي والتدخين"²⁸²، وعالجت من خلال هذه القصة آفة التدخين. عندما تكتشف البنت الصغيرة أن والدتها تتعاطى التدخين الذي مضر بالصحة فتبذل كل ما في وسعها لمنع أمها من التدخين. وهكذا تناولت قضية علاقة المراهق بأسرته و قضية المخدرات والإدمان بين الأطفال والبلطجة في المدرسة في قصة "غدي وروان"²⁸³ التي كتبتها لليافعين وتتحدث عن صداقة بين غدي الذي يدرس في بلجيكا، وروان التي تواصل دراستها في المدرسة اللبنانية. يتواصل غدي وروان عبر البريد الإلكتروني ويشاطران مشاكلهما وأحلامهما. و في كتاب "البطاقة العجيبة"²⁸⁴ تطرقت سمر براج إلى تناول العديد من القضايا مثل تعامل الطفل مع المصروف الجيبي وتطبيقه الصحيح، واختيار الطعام الصحي

²⁷⁸ - نفس المصدر، جريدة الجريدة اليومية، الكويت، 19 أكتوبر، عام 2014م.

²⁷⁹ - براج، سمر محفوظ، خط أحمر، دار الساقى، لندن، 2014م.

²⁸⁰ - براج، سمر محفوظ، جدتي ستذكرني دائما، بوكي برس للنشر، لبنان، 2012م.

²⁸¹ - براج، سمر محفوظ، عندما مرضت صديقتي، بوكي برس للنشر، لبنان، 2011م.

²⁸² - براج، سمر محفوظ، أمي والتدخين، دار نشر أصالة، لبنان، 2011م.

²⁸³ - براج، سمر محفوظ، و شرف الدين، فاطمة، غدي وروان، دار الساقى، لندن، 2013م.

²⁸⁴ - براج، سمر محفوظ، البطاقة العجيبة، دار السلوى للدراسات والنشر، عمان، 2014م.

والابتعاد عن السكاكر، وعلاقة الطفل بزملائه في المدرسة، ومفهوم بطاقة الائتمان. وأخيرا يمكننا أن نقول إن إنتاجات سمر براج الموجهة للأطفال تدور حول واقع الطفل وتساعد على تنمية الطفل الشاملة خاصة مهارة ذكائه العاطفي والعقلي.

نورة أحمد النومان: (1965م-...)

نورة أحمد النومان هي الروائية الإماراتية الشهيرة لأدب الأطفال واليافعين في العصر المعاصر. لمع اسمها في سماء أدب الأطفال العربي حاليا بعد أن فازت روايتها الأولى "أجوان" بجائزة أفضل كتاب لليافعين لجائزة اتصالات لكتاب الطفل في عام 2013م. ولدت النومان²⁸⁵ في قلب الشارقة عام 1965م، درست اللغة الإنجليزية على مستوى البكالوريوس في جامعة الإمارات العربية المتحدة عام 1986م، وحصلت على شهادة الماجستير في الترجمة من الجامعة الأمريكية في الشارقة عام 2004م. عملت النومان كمعلمة للغة الإنجليزية في المدرسة الثانوية لمدة ست سنوات، ثم انضمت إلى قسم الرقابة لوزارة المعلومات. وأثناء هذه الفترة، أنشأت مكتب الترجمة القانونية. وترجمت كتابا في علم الأديان المقارن وغيره من لوجستيات النقل. ولكنها اضطرت إلى إغلاق المكتب جراء المشاكل العائلية، وتطوعت في نادي سيدات الشارقة. وأخيرا عينتها الشيخة جواهر القاسمي مديرة لمكتبة النادي. مثلت النومان الإمارات العربية المتحدة في معرض أبوظبي الدولي للكتاب، كما أنشئت أول دار النشر الإماراتية المتخصصة في الخيال العلمي والفانتازيا لليافعين في عام 2016م تحت اسم "مخطوطة 5229" بهدف سد الفراغ الذي تعاني منه المكتبات العربية في مجال روايات الخيال العلمي لليافعين²⁸⁶.

اتجهت نورة النومان إلى الكتابة للأطفال واليافعين عن طريق المصادفة في الخامسة والأربعين من عمرها في سنة 2010م. تقول نورة النومان: "حقيقة اتجاهي للكتابة كان وليد الصدفة، وإن كنت قد درست الأدب الإنجليزي، وأقرأ لأكثر من خمس وثلاثين سنة باللغة الإنجليزية، وكذلك أكتب المقالات لبعض المجالات والصحف، غير أن المفاجأة بأنني وجدت

²⁸⁵ - ياسمين الفردان، المقابلة الشخصية مع نورة أحمد النومان، جريدة الحياة، الطبعة السعودية، 26 فبراير، عام 2014م.
²⁸⁶ - تقرير عن إطلاق أول دار نشر إماراتية متخصصة في الخيال العلمي والفانتازيا للشباب، جريدة الوطن اليومية الإماراتية، ص 6، العدد 1775، 16 أغسطس، 2016م.

نفسى أتجه للكتابة الأدبية، وكتابة رواية الخيال العلمي تحديداً، لم أكن أحلم بالمسير في هذا الاتجاه²⁸⁷. أصدرت أول قصة مصورة لمرحلة الطفولة المبكرة باسم "القطعة قطنة" عام 2010م، وفي نفس السنة، كتبت قصة مصورة أخرى "القنفذ كيوي" لأطفال الطفولة المبكرة. في عام 2012م، نشرت نورة أحمد النومان أول رواية من قصة الخيال العلمي لليافعين بالمعنى الحقيقي باسم "أجوان" في تاريخ أدب الأطفال العربي عامة والإماراتي خاصة، استمرت النومان في نشر تكملات لرواية "أجوان" باسم "ماندان" عام 2014م، و "سيدونية" عام 2016م. تعكف النومان حالياً على إنهاء الجزء الرابع والأخير من السلسلة.

تعتمد شهرة نورة النومان التي حظيت بها في مجال أدب الأطفال على محاولتها الأدبية الوحيدة التي قدمها لليافعين العرب في عام 2012م، بإصدار رواية الخيال العلمي باسم "أجوان". كانت المكتبات العربية خالية تقريباً من رواية الخيال العلمي التي هي نوع جديد في أدب الأطفال العربي بالنسبة للأنواع الأخرى من القصص. تختلف رواية الخيال العلمي من رواية الخيال التي تعتمد على القصص الخرافية والعجائبية بدون تقيدها بقاعدة أو ارتباطها بمعطيات العلوم الصحيحة²⁸⁸، بينما تقع أحداث رواية الخيال العلمي في الفضاء أو على كوكب آخر بعيداً عن الأرض في زمن الحال أو المستقبل. وتدور حول فكرة علمية يمكن وقوعها إذا تطور العلم. نشرت نورة النومان "أجوان"، أول روايتها في مجال الخيال العلمي لليافعين في عام 2012م. وحصلت على جائزة أفضل كتاب لليافعين لجائزة اتصالات للأطفال في عام 2013.²⁸⁹ وحول أسباب اهتمامها بأدب الخيال العملي، تقول النومان، إنها كانت مولعة جداً بقصص الخيال العلمي منذ نعومة أظفارها وقرأت العديد من القصص المكتوبة باللغة الإنجليزية للكتاب الشهيرين في هذا المجال مثل فرانك هيربرت وأرثور سي كلارك وغيرهما. وعندما بحثت عن بعض روايات الخيال العلمي ذات النوعية العالية لأبنائها اليافعين باللغة العربية فلم تتمكن من العثور عليها لأن المكتبات العربية كانت خالية تقريباً من كل ما يناسب لسن المراهقة.²⁹⁰ بدأت النومان هذه التجربة

²⁸⁷ - يوسف، فتح الرحمان، حوار مع نورة أحمد النومان، جريدة الشرق الأوسط الدولية، لندن، 31 يناير، 2014م.

²⁸⁸ - العمري، عبد الحفيظ، أدب الخيال العملي: تعريفه وسماته، موقع منظمة المجتمع العلمي العربي، 12 فبراير، 2015م.

²⁸⁹ - قائمة الفائزين بجائزة اتصالات الدولية لكتاب الطفل لعام 2013، الموقع الرسمي لجائزة اتصالات الدولية لكتاب الطفل، الشارقة، الإمارات.

²⁹⁰ - ياسمين، الفردان، المقابلة الشخصية مع نورة أحمد النومان، جريدة الحياة، الطبعة السعودية، 26 فبراير، عام 2014م.

نفسها، وكتبت الجزء الأول من رواية الخيال العلمي في عام 2012م باسم "أجوان" التي جعلتها كاتبة شهيرة في مجال أدب الأطفال بين عشية وضحاها.

يدور موضوع قصة "القطعة قطنة"²⁹¹ المصورة حول علاقة الحب والتعاطف بين الطفل والقطعة أو الحيوانات الأليفة عامة، فتصف بنت صغيرة قطتها والأوقات التي تقضيها معها. أما قصة "القنذ كيوي"²⁹² المصورة، فهي تسلط الضوء على مفهوم الحيوانات البرية وعاداتها والبيئات الخاصة التي تحتاجها للعيش. تقدم القصة أوجه عدم المشابهة بين الحيوانات المستأنفة والبرية للأطفال الصغار بأسلوب بسيط وممتع. ورواية "أجوان"²⁹³ فهي قصة واقعية موجهة للأطفال اليافعين. قامت النومان بمعالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية المعاصرة التي تواجهها الأمة العربية مثل الحرب، والهجرة، واللجوء، والتشرد، والتطرف وغيرها. تقول نورة النومان: " في روايتي "أجوان" هناك قضية اللجوء والمتشردين واستغلال البشر من أجل تحقيق أجندات خاصة".²⁹⁴

تتابع بطلة الرواية "أجوان" وهي فتاة تبلغ من العمر 19 عاما، وتتنمي إلى الكوكب المائي الذي تعرض للتدمير، منظمة شنيعة في الفضاء بين الكواكب لإنقاذ ابنها الرضيع من سيطرة المنظمة التي اختطفت ابنها وترغب في تحويله إلى جندي خارق. تعكس حبكة الرواية المخاوف السياسية المعاصرة في البلدان العربية، حيث يرغب الرجال الذين لديهم أجندة خفية للحصول على السلطة في تحويل الأقليات أو الشعوب المهمشة إلى جيوش خاصة بهم عن طريق استغلال الآمهم ومعاناتهم. ترى البروفيسورة نسرین عناطي بكلية التعليم بجامعة قطر، أن أحداث القصة في رواية "أجوان" تتشابه إلى حد كبير بالفوضى التي شهدتها الدول العربية خلال الربيع العربي.²⁹⁵

وأخيرا يريد الباحث أن يشير إلى أن هذا البحث سيركز أساسا على الكتابات الموجهة للأطفال من قبل هؤلاء الكتاب المعاصرين الذين سبقت سيرتهم الذاتية أنفا في هذا الفصل بقدر

²⁹¹ - النومان، نورة أحمد، القطعة قطنة، كلمات للنشر، الشارقة، 2010م.

²⁹² - النومان، نورة أحمد، القنذ كيوي، كلمات للنشر، الشارقة، 2010م.

²⁹³ - النومان، نورة أحمد، أجوان، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م.

²⁹⁴ - مريم، جمعة، حوار مع نورة أحمد النومان، جريدة البيان اليومية، دبي، 28 فبراير، 2018م.

²⁹⁵ - نسرین، عناطي، مقالة بعنوان "تأثير الربيع العربي على أدب اليافعين العربي" باللغة الإنجليزية، المنشورة على موقع جريدة اسبرنجر المفتوحة الإلكترونية، ألمانيا، 24 يوليو، عام 2017م.

من التفصيل مع إشارة وجيزة إلى محتويات ومضامين كتاباتهم للعثور على موضوعات معاصرة في أدب الأطفال العربي عند تحليل أعمالهم الأدبية الموجهة للأطفال في الفصل الرابع والأخير، كما يحاول الباحث أيضا لتسليط الضوء على تغير نظرة الكتاب والنقاد العرب تجاه الطفل كفرد مستقل وبداية الاتجاهات الحديثة فيما يتعلق بالموضوعات والمضامين في أدب الأطفال العربي بعد التسعينات من القرن العشرين خاصة في السنوات الأخيرة في ضوء كتابات هؤلاء الكتاب.

ومع ذلك، سيتناول هذا البحث أيضا ضمن تحليل الموضوعات المعاصرة في أدب الأطفال في الباب الأخير بعض القصص والقصائد للكتاب والشعراء الشهيرين الآخرين من الجيل الجديد، الذين يكتبون حول موضوعات متنوعة وجديدة وحساسة وفق متطلبات العصر وحاجات الأطفال مثل الكاتبة اللبنانية الدكتورة سماح إدريس الذي يعد أول كاتب عربي تناول موضوع الحب في قصة "الملجأ" المنشورة في عام 2009م والموجهة إلى الفتيات والفتيان، والكاتبة المصرية القديرة فاطمة معدول والكاتبة اللبنانية لوركا سببتي والكاتبة الفلسطينية ميسون أسدي والشاعرة الفلسطينية عايدة خطيب والشاعر الأرني راشد عيسى ومحمد جمال عمرو وغيرهم. وجدير بالذكر أن هؤلاء الكتاب والشعراء كان من حقهم أن يتم ذكرهم بشيء من التفصيل ولكن بسبب ضيق الصفحات في الحقيقة، يكتفي الباحث على الإشارة إلى أسمائهم. ويقدر بجهودهم الحثيثة وأدوارهم الرئيسية التي يلعبونها حاليا من خلال أعمالهم القيمة للأطفال في تغيير هيكل وانتقالي في أدب الأطفال العربي من ناحية المضمون والمحتوى والشكل إلى حد مقنع، والذي قد تعرض في السنوات الماضية لاتهامات كثيرة بطبيعته التعليمية والتوجيهية في الموضوعات والمضامين.

الباب الثالث

أدب الأطفال الغربي وأثره في أدب الأطفال العربي

الفصل الأول: نظرة عابرة على أدب الأطفال الغربي

الفصل الثاني: الموضوعات في أدب الأطفال الغربي

الفصل الثالث: أدب الأطفال الغربي وأثره في أدب الأطفال العربي

الفصل الأول

نظرة عابرة على أدب الأطفال الغربي

أدب الأطفال بمفهومه العام وبمعناه العرفي عرفته البشرية منذ وجودها وظل ينتقل من جيل إلى آخر عن طريق التراث الشفوي وحكايات الجدات وهددات الأمهات. يقول الدكتور علي الحديدي "حيثما توجد أمومة وطفولة آدمية يوجد بالضرورة "أدب الأطفال" بقصصه وحكاياته وترانيمه وأغنياته وأساطيره وفكاهاته، لا يخرج على هذا القانون الطبيعي لغة ولا يشذ عنه جنس".²⁹⁶ ويقول البروفيسور الأمريكي سيث ليرر: "وجد أدب الأطفال منذ وجد الطفل".²⁹⁷ ومن هذين القولين يظهر أن النواة الأولى لأدب الأطفال كانت موجودة في التاريخ عند الإنسان الأول في شكل قصص لمغامراته والصعوبات التي كان يواجهها في حياته البدائية خلال مكثه في الغابات والكهوف ثم الحياة القبلية والمجتمعية. ولكن المجتمعات الإنسانية في العصور القديمة، لم تكن تهتم بالطفل إلا بالقدر الذي يؤهله لكي يكون قادرا على تحمل مسؤوليته تجاه ذلك المجتمع أو القبيلة التي يعيش فيها. إن الإسبرطيين في اليونان القديمة كانوا يتركون أطفالهم عقب ولادتهم عراة على قمة الجبل لليل كامل لانتقاء الأقوياء فقط منهم لإدخالهم في جيش إسبرطة العظيم وتدريبهم على فنون الحرب والقتال.²⁹⁸ وكانت هذه الظاهرة سائدة في الأمم العربية أيضا في العصر الجاهلي، فكان العرب يرسلون أبنائهم مع الأمهات المرضعات إلى الصحراء والمناطق الريفية، ثم لا يعودون بهم إلى الحياة الحضرية حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة من عمرهم ليتمكنوا من تعلم اللغة العربية الخالصة ونطقها، وينهلوا روح الحرية من الصحراء، ويتذوقوا خشونة الحياة وصلابتها في الصحراء ما يؤهلهم لفنون الحرب والقتال وحمل السلاح.²⁹⁹

إن الأمم السابقة ذات الحضارات الثابتة والآداب الرفيعة لم تهتم بتسجيل حياة الطفولة وآدابها. وبصرف النظر عن القصص المصورة على جدران المقابر والمعابد والقصور في مصر القديمة، لم نجد قصصا خاصة مكتوبة للأطفال حتى عند الأمم التي قامت بمساهمة كبيرة في

²⁹⁶ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 39.

²⁹⁷ - ليرر، سيث، أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، ترجمة: الدكتورة ملكة أبيض، ص 5.

²⁹⁸ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 39.

²⁹⁹ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص ص 160-167.

تراث العالم القصصي مثل الهند، والفرس، والعرب، والإغريق.³⁰⁰ وكان الأطفال في العصور السالفة يعتمدون للتسلية والترفيه على القصص التي كتبت خاصة للكبار أو على الحكايات أو الأغاني الشفهية التي كانوا يسمعونها من الجدات والأمهات. وفي الحقيقة لم تلتفت المجتمعات قبل العصر الحديث أنظارها إلى الأطفال وطفولتهم، فأهملوهم كما يكتب العالم الشهير والناقد الكبير فيليب آرييس (1914م-1984م) في كتابه "قرون من الطفولة: تاريخ اجتماعي لحياة الأسرة"، أن الفترات التاريخية التي سبقت العصر الحديث لم تكن تنظر إلى الأطفال كما ننظر إليهم الآن. فالطفولة ظاهرة حديثة، لأن العصور القديمة كانت تتصف بإهمال الأطفال، أو باللامبالاة إزائهم، أو حتى باستغلالهم.³⁰¹

بدأ استخدام حكايات إيسوب الخرافية لتعليم الأطفال منذ عصر النهضة في أوروبا، وظهر أدب الأطفال بمعناه الفني ومفهومه الجديد كنوع أدبي جديد معترف به عالميا في عصرنا هذا لأول مرة في أوروبا خلال القرن السابع عشر. وقطع أدب الأطفال مسافة طويلة من الحكايات الخرافية الشفهية إلى شكله المكتوب الموجود الذي نشاهده في أيامنا هذه. لم يشهد العالم من قبل كتبا خاصة للأطفال خارج المقررات المدرسية حتى أصدر الشاعر الفرنسي جان لافونتين (1621م-1695م) كتابا باسم "حكايات خرافية" سنة 1668م، وكانت معظمها تتداول بين الناس شفويا وتجري على ألسنة الحيوانات والطيور. وكانت حكاية "الثعلب والغراب" من أشهر الحكايات في ذلك الكتاب. وحصل لافونتين على لقب أمير الحكاية الخرافية في أدب الأطفال العالمي. وبعد لافونتين ظهر الشاعر الفرنسي الكبير تشارلز بيرو (1628م-1703م) الذي قدم قصصا خاصة موجهة إلى الأطفال في عام 1697م، ويعتبر الكثير من النقاد والباحثين هذا التاريخ بداية لميلاد أدب الأطفال المكتوب في تاريخ أدب الأطفال.³⁰² وفي السطور الآتية، نقوم باستعراض بدايات أدب الأطفال في الدول الغربية المختلفة بغاية من الإيجاز.

³⁰⁰ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 45.

³⁰¹ - ليور، سيث، أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، ترجمة: الدكتورة ملكة أبيض، ص 6.

³⁰² - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 10.

في فرنسا

في ضوء الدراسات الحديثة التي قام بها الباحثون³⁰³ في مجال أدب الأطفال يظهر أن أول ما كتب من أدب خاص بالأطفال في العصر الحديث ظهر بفرنسا في أواخر القرن السابع عشر، فكانت بذلك أسبق الأمم الحديثة إلى كتابة هذا اللون من الأدب. وكانت هذه الفترة هي فترة استلهاهم أوروبا بالعلوم العربية والشرقية وفنونهما. وقد ظهر أثر الشرق العربي في الأدب الفرنسي خاصة وكتب في هذا التأثير كثير من الباحثين، وكان ممن ألف في أثر الشرق في أدب فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر المستشرق مارتينو.³⁰⁴ وكان القصص الشرقي بعامة والعربي بخاصة من أهم ما استلهمته أوروبا في هذه الفترة لتستمتع به وتنسج على منواله. ففي إيطاليا كانوا يعرفون شيئاً عن "ألف ليلة وليلة" منذ القرن الثالث عشر.³⁰⁵ ونشرت قصص منها في أوروبا في القرون الوسطى.³⁰⁶ وفي القرن السابع عشر ظهر تأثير قصص "ألف ليلة وليلة" في فرنسا التي جاءت عن طريق تركيا، كما "بدأت تظهر السراى التركية بكل ما فيها من حريم وحب وغيره وطواش وسلطان متجبر قاس في الأدب الفرنسي. وكانت ترجمة "ألف ليلة وليلة" أثراً من آثار هذا الاتصال الفرنسي بالأترك".³⁰⁷

وانتشار القصص الشعبي الشرقي، وحكايات ألف ليلة وليلة في أوروبا في القرن السابع عشر، دفع الأوروبيين إلى أن يبحثوا في تراثهم عن مثيل لهذا اللون من الأدب، ومن ثم يغلب الظن أن ظهور أدب الأطفال في فرنسا مدونا أواخر القرن السابع عشر كان أثراً غير مباشر "لألف ليلة وليلة". ولم تكن الكتابة للأطفال في هذه الفترة مألوفة أو مستساغة بين الأدباء بل كان يظن أنها تنزل من قدر الأديب والفنان، ومن ثم تحاشاها الكاتبون حتى برز الشاعر الفرنسي الكبير "تشارلز بيرو" (1628م-1703م) في عام 1697م، فكتب مجموعة من القصص للأطفال بأسلوب سهل ميسور وسماها "حكايات الأم الإوزة" (Tales of Mother Goose). وتشارلز بيرو فوق أنه شاعر فهو جامع حكايات ونوادير شعبية من الطراز الأول، وقد أثر خوفاً على مجده الأدبي ألا ينسب هذه المجموعة إلى نفسه واستعار لها اسم ابنه "بيرو دار مانكور"،

³⁰³ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 46.

³⁰⁴ - القلموي، الدكتورة سهير، ألف ليلة وليلة، ص 66.

³⁰⁵ - نفس المصدر، ص 70.

³⁰⁶ - نفس المصدر، ص 71.

³⁰⁷ - نفس المصدر ص 66.

ولكن الأصل الذي كتبه الشاعر الكبير بخط يده بقي بعد وفاته، وعرف منه أنه هو مؤلف هذه القصص.³⁰⁸

والإقبال الشديد على قراءة "حكايات الأم الإوزة"، والشهرة الواسعة التي نالتها لدى الصغار والكبار على السواء في فرنسا وخارجها، دفعت تشارلز بيرو إلى إصدار مجموعة أخرى من القصص، وسماها "أقاصيص وحكايات الزمان الماضي" ونسبها هذه المرة إلى نفسه، فلم تعد الكتابة للأطفال حطة في شأن الأديب، بل عملاً يفخر به الكاتب حين تطبق شهرته الآفاق. استمد بيرو حكاياته من الشعب نفسه، ولكنه أضفى عليها طابعه الفني الغني بالرشاقة ورهافة الإحساس.³⁰⁹ وتعتبر المجموعة القصصية "حكايات الأم الإوزة" التي تشتمل على بعض القصص الشهيرة مثل حكاية سندريلا والجمال النائم واللحية الزرقاء والقط في الحذاء الطويل، بداية مراحل التكوين لأدب الأطفال في العصر الحديث، لأن المجموعة كانت تشتمل على قصص كتبت خاصة للأطفال من البداية بهدف التسلية والامتع والمؤانسة. وبالإضافة إلى الشهرة الواسعة التي نالتها المجموعة في فرنسا، فإنها كانت ذات أثر كبير في حكايات الأطفال والقصص الشعبي في البلاد الأوروبية الأخرى من ألمانيا وإنجلترا بعد أن تم نقلها إلى اللغة الألمانية والإنجليزية. ودفع هذا الأثر الكبير الأدباء والكتاب إلى التنقيب والبحث عن مثل هذه الحكايات والقصص في الآداب الشعبية الأوروبية.

وكما ذكرنا سابقاً أن الشاعر الفرنسي جان لافونتين الذي كان يتمتع بلقب أمير الخرافية في أدب الأطفال العالمي ترك أثراً كبيراً في أدب الأطفال العربي حيث تأثر به العديد من الشعراء العرب. فترجم محمد عثمان جلال حكايات لافونتين الخرافية إلى اللغة العربية كما ذكر أمير الشعراء أحمد شوقي في مقدمة ديوانه "الشوقيات" حول تأثره بأسلوب لافونتين عند قرض الأبيات والقصائد للأطفال العرب.³¹⁰ واعتمد الكتاب القدامى في أوروبا بمن فيهم جان لافونتين وتشارلز بيرو عند كتابة القصة والحكاية على تراث غزير من القصص الخرافية والخيالية التي تمتد جذورها إلى الشرق خاصة الحكايات الهندية "البانشتانترا" التي ألفها الحكيم الهندي فيشنو شارما قبل مئتي عام من الميلاد، بالإضافة إلى حكايات إيسوب التي دونت في القرن الأول الميلادي، وقد أضيف إليها

³⁰⁸ - Hallowell, Lillian, A book of Children's Literature, P. 36.

³⁰⁹ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 47.

³¹⁰ - شوقي، أحمد، مقدمة الشوقيات، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، 1898م.

الكثير من الحكايات الشرقية والهندية والمصرية الفرعونية والأخرى من بلاد الرافدين.³¹¹ وجدير بالذكر أن حكاية "البانشتانترا" تعتبر أصلاً لحكاية "كليلة ودمنة" التي ترجمها عبد الله ابن المقفع من اللغة البهلوية إلى اللغة العربية في العصر العباسي. وقام بتعديل بسيط فيها بما يتناسب مع البيئة الاجتماعية والسياسية في العصر العباسي، كما استخدمها للتعبير عن آرائه وحكمه السياسية الموجهة إلى السلاطين والأمراء في ذلك الوقت. واعتمد الكثير من المترجمين على نسخة ابن المقفع العربية للترجمة إلى اللغات المختلفة الأخرى.³¹² وهنا يظهر أن الحكايات التي برزت في أوروبا تشترك في العديد من حكايات إيسوب وقصص "البانجاتترا". واعترف جان لافونتين نفسه بهذه الحقيقة في مقدمة الجزء الثاني من كتابه للحكايات الخرافية بوجود جذور هندية لخرافاته حيث يقول: "هذا هو الكتاب الثاني من الخرافات التي أقدمها للجمهور، وعلي أن أقر بأن القسم الأكبر منها مستوحى من الحكيم الهندي".³¹³

وبعد تشارلز بيرو لم يأت أحد بفكر جدي لفترة طويلة نحو إصدار القصص الخيالية والخرافية للأطفال. ولا نجد في هذه الفترة محاولات أدبية جادة للأطفال إلا الحكايات التي كانت تكتبها السيدات الفرنسية. وبلغ عدد الحكايات إلى 41 حكاية، جمعتها في مجموعة رائعة وأطلق عليها اسم "مجمع الجان".³¹⁴ شهد القرن الثامن عشر ثورة صناعية في أوروبا فحدثت تغيرات كبيرة في كافة مجالات الحياة من السياسة والاقتصاد والتعليم والتربية وغيرها. وكان القرن الثامن عشر عصر الانفجار العلمي وعصر العقل والاستنارة، فالحكايات الخرافية التي كانت تعتمد على العناصر الخيالية تماما دون الأساس المنطقي والعلمي، لم تكن تنسجم مع مزاج هذا العصر. وظهر الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (1712م-1778م) الذي قدم آرائه في تعليم الأطفال وتربيتهم تربية استقلالية تؤهلهم في اعتقاده لتكوين الشخصية القوية المكتسبة من تجاربهم الذاتية. وأصدر كتابه "إميل" عام 1762م، وقام بدراسة الطفل كفرد مستقل، وتلقت آراء "روسو" استحسانا كبيرا بين الأوساط العلمية والأدبية في فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية.

وفي هذه الفترة ظهرت بفرنسا مدرسة خاصة لكتابة الكتب الموجهة إلى الأطفال في ضوء نظريات "روسو"، وكانت تهدف إلى إنتاج المواد الأدبية التي ستكون مفيدة ونافعة في تعليم

³¹¹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 11.

³¹² - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، ثقافة الأطفال، ص ص 159-160.

³¹³ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 11.

³¹⁴ - شحاتة، الدكتور حسن، مستقبل ثقافة الطفل العربي: رصيد الواقع ورؤى الغد، ص 248.

الأطفال وإرشادهم في حياتهم الحقيقية. وقام أتباع هذه المدرسة بخلط آراء "روسو" بأفكار الفيلسوف البريطاني جان لوك (1632م-1704م) التربوية. فأخرجت هذه المدرسة قصصا للأطفال وحاولت تطبيق هذه الآراء التربوية على تلك القصص التي بدأت تركز على المقارنات في السلوك، وقدرة الطفل على قبول السبب، والتفكير، والمنطق، والنتيجة بدلا من إقباله على الشعور والإحساس. ولذلك صرفت هذه المدرسة أنظارها عن كل خيال في قصص الأطفال.³¹⁵ وما لبث أن برزت في هذه المدرسة الكاتبة الشهيرة "مدام دي جينلس" (1746م-1830م)، وانتقدت العنف في القصص الخيالية وقصص الجن والسحرة والخرافات، وكتبت قصصا مناسبة للأطفال في ضوء تعاليم روسو. وكانت تحرص في قصصها على تربية الأطفال الاستقلالية الطبيعية. وقد ساعدت آراء روسو الخاصة بتربية الطفل في هذه الفترة على إرساء أسس ومبادئ خاصة بالكتابة للأطفال.

أحرزت فرنسا قصب السبق في نشر أول مجلة للأطفال في تاريخ أدب الأطفال على مستوى العالم. في عام 1747م، أصدر أديب لم يظهر اسمه، أول مجلة باسم "صديق الأطفال". خالف هذا الأديب في كتاباته منهج أتباع روسو، وقدم قصصا من البلاد الأخرى ومن اللغات المختلفة بأسلوب سهل وممتع للأطفال لإشباع رغباتهم في القراءة المسلية الممتعة بعيدا عن النصائح والمواعظ والإرشادات الأخلاقية والتعليمية. نجح الكاتب في سد فراغ كبير في ميول الصغار والناشئين. ولعبت المجلة دورا كبيرا في دفع الحركة الكتابية للأطفال بهدف التسلية والمتعة وإثراء الخيال إلى الأمام. وهكذا أخذ أدب الأطفال في فرنسا بعد ذلك يتقدم ويزدهر.

في بريطانيا

تحتل بريطانيا المرتبة الثانية في الاهتمام بأدب الأطفال بعد فرنسا، غير أن معظم الكتابات في بريطانيا قبل ترجمة روبرت سامبر (1682م-1745م) مجموعة "حكايات الأم الإوزة" من اللغة الفرنسية إلى الإنجليزية في عام 1719م، كانت تهدف إلى الوعظ والإرشاد للبنين والبنات بأسلوب مباشر ووعظي. يذكر الدكتور علي الحديدي أن كتب الأطفال في بريطانيا خلال القرن السابع عشر والثامن عشر كانت تهتم بالإصلاح والتهديب أكثر من اهتمامها بإيقاظ عقل

³¹⁵ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 49.

الطفل بالخيال أو إضاءة قلبه وتعميق مداركه عن طريق التسلية والترفيه.³¹⁶ وظهرت في هذه الفترة كتب عديدة للأطفال مثل "وصية لابن" لفرانسيس أوزبورن عام 1656م، و "التحدث للأطفال" لجيمس جينواي عام 1720م وغيرهما من الكتب التي كانت تهدف أساسا إلى غرس القيم التعليمية والخلقية والدينية في الأطفال. وتحذروهم من ارتكاب الذنوب والآثام، وتشجعهم على التحلي بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة.

وفي هذه الفترة أدى ازدهار الحركة البروتستانتية الدينية في بريطانيا إلى ظهور الكتب الدينية التي كانت تعلم الأطفال عن طريق الترهيب والتخويف أن يجهزوا أنفسهم للموت والنجاة من النار في الدار الآخرة. إن مثل هذه الكتب لم تتجح في ترك التأثير الأخلاقي على الأطفال الذين يستوعبونه عن طريق الخيال أو من خلال المتعة والتسلية، بل كانت من بواعث الملل والسامة للأطفال بسبب محتوياتها الوعظية والحكمية بأسلوبها التعليمي وتوجيهاتها المباشرة. ورغم أن لقي مثل هذا اللون من الأدب للأطفال انتقادا وشجبا شديدا عند الفيلسوف البريطاني جون لوك الذي انتقد بشدة في كتابه "آراء في التربية" عام 1690م تلك الكتب الدينية التي تحتوي على النصائح والمواعظ بصورة مباشرة. والتمس من الكتاب والأدباء في مجال أدب الأطفال أن لا يفرضوا القراءة الجبرية على الأطفال حتى تصبح تلك القراءة واجبا ثقيلًا عليهم، بل من المناسب لهم أي يقدموا القصص والحكايات إلى الأطفال مستمدين أفكارهم من "خرافات أيسوب" والحكايات الشعبية الأخرى التي تحمل في طياتها موادا كثيرة من المتعة والتسلية للأطفال.³¹⁷ ولكنها بقي واقع أدب الأطفال في بريطانيا هكذا إلى أن جاء عام 1719م حين ترجم فيه روبرت سامبر عن الفرنسية "حكايات الأم الإوزة" إلى اللغة الإنجليزية.

وفي الحقيقة، كانت سنة 1719م في بريطانيا نقطة انطلاق لحركة التأليف القصصي للأطفال بهدف التسلية والمتعة. وبدأ الاتجاه الجديد في الكتابة للأطفال في بريطانيا، وكانت الكتب المقدمة إلى الأطفال تضم التوجيه والتسلية معا.³¹⁸ وأخذت هذه الحركة تزدهر مع ظهور الأب الحقيقي لأدب الأطفال³¹⁹ في اللغة الإنجليزية جون نيوبيري (1713م-1767م) الذي أسس مكتبة شهيرة باسمه وخصصها لنشر الكتب للأطفال. أدرك نيوبيري بأن المواد الموجهة إلى

³¹⁶ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 50.

³¹⁷ - نفس المصدر، ص 50.

³¹⁸ - نفس المصدر، ص 51.

³¹⁹ - Shirley, Granahan, John Newbery: Father of Children's Literature, Essential Library, 2009.

الأطفال في عصره كانت غير مناسبة لطبيعتها الوعظية والتعليمية حيث لا يقبلون عليها الأطفال إلا بالإكراه والاضطرار. حاول نيوبيري أن يقدم للأطفال كتباً تشتمل على المواد التوجيهية والترفيهية معاً. وأخرج كتابه الشهير باسم "كتاب الجيب الجميل الصغير" عام 1744م. وقام بتبسيط واختصار ما كتب للكبار من قصص فيها عناصر المتعة والتسلية للصغار³²⁰ مثل قصة "روبنسون كروز" لدانيال ديفو عام 1719م و "رحلات جليفر" لجوناثان سويت عام 1726م. وأصدر نيوبيري كتباً صغيرة عديدة يبلغ عددها حوالي مئتين كتاب صغير تشتمل على القصص والأساطير والخرافات والحكايات الشعبية وغيرها من القصص التي تسعد الأطفال. ونالت هذه القصص شهرة واسعة واستحساناً كبيراً في إنجلترا وخارجها خاصة في أمريكا، وأدت إلى حصول نيوبيري على لقب "الأب الحقيقي لأدب الأطفال في اللغة الإنجليزية".³²¹ وقبل وفاته أنشأ نيوبيري عام 1767م مشروعاً تجارياً لكتب الأطفال مما أدى إلى ازدهار الكتب الخاصة للأطفال في بريطانيا، ومازال هذا المشروع مستمراً حتى القرن العشرين، وكانت أول مبادرة من نوعها للتجارة في مجال كتب الأطفال على المستوى العالمي. وفي عام 1922م، أطلقت جمعية خدمة المكتبة الأمريكية للأطفال جائزة تسمى "ميدالية جون نيوبيري الأدبية" التي تمنح لمؤلف يقدم المساهمة الأكثر تميزاً في مجال الأدب الأمريكي للأطفال.

ورغم أن قدمت قصة "روبنسون كروز" في البداية إلى الكبار، التي ألفها دانيال ديفو عام 1719م وتحدث عن أخبار روبنسون الذي طرحته عاصفة هوجاء في جزيرة مقفرة فعاش فيها سعيداً مع خادمه جمعة، وهكذا قصة "رحلات جليفر" التي كتبها جوناثان سويت عام 1726م، ولكنهما أصبحتا مصدرين هامين لقصص الأطفال بعد أن بسطهما جون نيوبيري للأطفال. واستفاد منهما الكثير من الأدباء الذين جاءوا بعد نيوبيري ونسجوا القصص على منوالهما ببعض التعديل والتبسيط والاختصار. ومازال الأطفال يتمتعون بهما جيلاً بعد جيل. وكان الفيلسوف جان جاك روسو اعتبر نفسه قصة "روبنسون كروز" مصدراً هاماً في تربية الأطفال تربية استقلالية طبيعية، وجعلها أول كتاب يقرأه طفله "إميل" بل جعلها الكتاب الوحيد الذي يقرأه "إميل".³²²

³²⁰ - Hallowell, Lillian, A book of Children's literature, P 522.

³²¹ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 51.

³²² - نفس المصدر، ص 51.

وبعد جون نيوبيري، برزت الكاتبة الشهيرة ماريا إدجوورث (1767م-1849م)، كأحسن راوية لحكايات الأطفال، وأصدرت "الحكايات التهذيبيّة" عام 1769م³²³ ومهدت أعمالها الأدبية في مجال أدب الأطفال إلى ظهور القصص الأكثر واقعية للأطفال، والتي كانت تكتبها السيدات الأخرى. وأخرج الكاتب الشهير توماس داي (1748م-1789م) خلال فترة ما بين عام 1783م و 1789م قصة باسم "سانفورد وميرتون" بعد تأثره بأفكار روسو وتعاليمه. نالت القصة رواجاً كبيراً حيث تتحدث عن علاقة بين الولدين: أحدهما من الطبقة العليا يسمى "تومي ميرتون" الذي أفسد أخلاقه الثراء والتدليل، وثانيهما من طبقة الفلاحين يسمى "هاري سانفورد" الذي كان دمث الخلق وحسن التربية. ومن خلال الحوار الذي يجري في القصة يستطيع قارئها التمييز بين التعامل الخلقى للولدين. ورغم شعبية القصة في ذلك الوقت، وضع أسلوبها البلاغي بعض العراقيين أمام الصغار في فهمها وإدراكها. يقول الدكتور الحديدي: "والقصة وإن كانت في عصرها أكثر القصص رواجاً إلا أن توماس داي أكثر فيها من الأساليب البلاغية التي تجاوزت إدراك الأطفال وفهمهم".³²⁴

وبدأت حركة "مدارس الأحد" الدينية في بريطانيا بمدينة "جلوسستر" عام 1781م للبنين والبنات الذين كانوا يعيشون في الأحياء الفقيرة ويعملون في المصانع بهدف تعليمهم وتثقيفهم وبخاصة إيقاظ الجوانب الدينية في حياتهم. فالأطفال كانوا يقرؤون الدروس الدينية من الكتاب المقدس كدراسة كتابية لهم. وانتشرت هذه الحركة في طول البلاد وعرضها في غضون مدة قصيرة. ونظراً لأهداف التعاليم الدينية، كانت هذه المدارس في حاجة ماسة إلى القصص التي تغرس في الأطفال القيم الدينية والأخلاقية.³²⁵ ظهر العديد من الكتاب الذين قدموا هذا اللون من القصص للأطفال، ومن بينهم الكاتبة "حنا مور" (1745م-1832م) والكاتبة "سارة تريمير" (1741م-1810م). وفي بداية القرن التاسع عشر، طلع النجم المشرق تشارلز لامب (1775م-1834م) على سماء أدب الأطفال في بريطانيا، وكان من الأوائل الذين تمردوا على مدرسة الكتاب التعليميين للأطفال. وبدأ يخرج القصص والحكايات للأطفال بهدف التسلية والمتعة. ومن

³²³ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 79.

³²⁴ - الدكتور علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص 52.

³²⁵ - نفس المصدر، ص 52.

خلال محاولاته الجادة عادت الحركة التأليفية للأطفال، من شأنها إمتاع الأطفال وتسليتهم، مرة أخرى إلى بريطانيا.

وفي عام 1824م، تمت ترجمة المجموعة القصصية الألمانية لأخوين غريم إلى اللغة الإنجليزية كما نقلت حكايات هانز كريستيان أندرسون إلى الإنجليزية عام 1841م. وبدأ اللون التعليمي يتلاشى من أدب الأطفال في بريطانيا، وظهر اتجاه جديد مبني على الموضوعات الأكثر دعابة وتوجيها ومناغمة لخيال الأطفال. وأبلغ الكاتب البريطاني الموهوب لقصص الأطفال لويس كارول (1832م-1898م) هذا الاتجاه الجديد إلى ذروته بإصدار قصته الشهيرة باسم "أليس في بلاد العجائب" عام 1865م التي تدور أحداثها عن الفتاة الصغيرة " أليس " التي دفعها حب الاستطلاع إلى دخول أرض العجائب وراء الأرنب. تعتبر قصة "أليس في بلاد العجائب" أشهر القصص الإنجليزية التي كتبت مباشرة للأطفال³²⁶، وتمت ترجمتها إلى العديد من اللغات الحية. يقول الناقد العربي الشهير في مجال أدب الأطفال الأستاذ يعقوب الشاروني: "وقد ترجمت هذه القصة إلى أكثر من 71 لغة حول العالم، ولا تزال تتصدر أكثر الكتب مبيعا حتى الآن".³²⁷ منحت هذه القصة فرصة النجاح للحكاية الخرافية الحديثة وانطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبي في القرن العشرين الذي شهد تطورا ملحوظا لأدب الأطفال في إنجلترا، وبروز العديد من الكتاب الذين أنتجوا القصص الرائعة مستمدين أفكارها من عالم الحيوانات والخيال والواقع، وملأوا حياة الأطفال بالسعادة والمتعة والخيال الجميل. وفي آخر التسعينات من القرن العشرين أصدرت الكاتبة الإنجليزية الشهيرة جيه. كيه. رولينغ سلسلة "هاري بوتر" الشهيرة عام 1997م التي تعد من أشهر القصص ضمن قصص الفانتازيا ولقيت استحسانا كبيرا بين الصغار و الكبار على السواء. وأخيرا يمكننا القول إن أدب الأطفال في بريطانيا مازال دائما في حالة أكثر ديناميكية ويستخدم لتنمية الأطفال الشاملة.

³²⁶ - اسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 25.
³²⁷ - الشاروني، يعقوب، مقارنة بين أليس في بلاد العجائب وساحر أوز العجيب، مجلة الملتقى، العدد السابع، ص 38، أبريل 2014م.

بدايات أدب الأطفال في البلدان الغربية الأخرى

ألمانيا:

شهدت ألمانيا عددا كبيرا من الحكايات الخرافية في القرن الثامن عشر قبل ظهور الأخوين غريم اللذان قدما إسهامات هائلة في تطوير أدب الأطفال في ألمانيا. أخرج الأستاذ موزيس بجامعة "فيمر" مجموعة من الحكايات الخرافية باسم "مجموعة موزيس"، فقد جمع فيها الحكايات الخرافية من الشعب وقدمها للناس بطريقة ساخرة، وجعل فيها عناصر خيالية تشتمل على الدروس الأخلاقية والمغزى الإنساني. وبالإضافة إلى "مجموعة موزيس" ظهرت مجموعات أخرى من الحكايات الخرافية، ومن بينها مجموعة "جوته" وهي تختلف من حكايات موزيس ومعاصريه. يقول الدكتور علي الحديدي: "ويختلف "جوته" عن موزيس ومعاصريه في أنه لم يكتب الخرافة للحكاية ذاتها، وإنما لمغزى عميق تخفيه بين سطورها، فكانت الخرافة عنده هي الحكمة بعينها".³²⁸ ولكن هذه المجموعات من الحكايات الخرافية وغيرها كانت تكتب خاصة للكبار حتى جاء الأخوان غريم، فبدأ أدب الأطفال في ألمانيا يتطور بالمعنى الحقيقي.

ولد جيكون غريم عام 1785م بينما ولد ويلهيلم غريم عام 1786م. وأخرجا الأخوان معا كتابا حقيقيا للبيت الألماني وللأطفال الألمان.³²⁹ وبمناسبة عيد ميلاد المسيح عام 1812م، أصدر الأخوان جزءا أولا من كتابهما باسم "حكايات الأطفال والبيوت"، وفي آخر عام 1814م بعد عامين، ظهر الجزء الثاني من المجموعة القصصية التي أصبحت أشهر كتاب في ألمانيا بعد كتاب المقدس.³³⁰ وتشتمل هذه المجموعة على القصص العديدة الخالدة للأطفال أمثال "الأميرة النائمة" و "ليلي والذئب" و "بيضاء كالثلج" و "الساحرة الشريرة" وغيرها التي شكلت وجدان الكثير من أطفال العالم. ولاتزال هذه الحكايات تحمل حتى يومنا هذا الجدة والحيوية التي تمتعت بها في غضون المئتين سنة الماضية. وكان سر الخلود وراء هذه الحكايات يكمن في أن الأخوين استمدا فكرة حكاياتهما من الشعب والتراث الألماني نفسه بدون أي تشويه أو تغيير، وسلكا طريقا مختلفا في جمع التراث الشعبي الألماني بهدف نقل الحكايات الشعبية الألمانية الأصلية التي عاشت عبر القرون بدون إضافة أي تغيير فيها، وكان الأخوان أول من استخدموا مصطلح "كان يا ما كان" عند

³²⁸ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 53.

³²⁹ - لاين، فردريش فون دير، الحكاية الخرافية: نشأتها، مناهج دراستها، فنيته، ترجمة: ابراهيم الدكتور نبيلة، ص 23.

³³⁰ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 53.

سرد الحكايات الخرافية. يقول الدكتور محمود حسن اسماعيل: " يعتبر الأخوان غريم أول من استخدم مصطلح "كان يا ما كان" واستقى الأخوان غريم حكاياتهما من الشعب الألماني نفسه دونما أي تشويه أو تحوير".³³¹ نالت مجموعة غريم القصصية سمعة كبيرة في أوروبا، وتمت ترجمتها إلى العديد من اللغات العالمية.

وفي السنوات القادمة، شهدت ألمانيا بالإضافة إلى الدول الشيوعية الأخرى في أوروبا وخارجها اتجاهات جديدة في مجال أدب الأطفال، وقامت بعناية كبيرة بثقافة الطفل. ظهر لون متميز من أدب الأطفال حيث يعبر عن روح المجتمع الاشتراكي وواقعه وينقد المجتمعات الرأسمالية والإقطاعية نقدا لاذعا، وينشر المحبة والوئام والانسجام والتعاون في المجتمع.³³² ونظرا إلى خطورة الطفولة وآدابها، لقد اشترط أدب الأطفال في ألمانيا أن يكون كاتب أدب الأطفال خبيرا بنفسية الأطفال، ومربيا بالحياة، ومقتنعا بالاشتراكية قادرا على التنبؤ بعالم المستقبل، وإعداد قرائه الصغار له، إلى جانب القدرة على الكتابة بلغة سليمة، وأسلوب يفهمه الأطفال مليء بالمشاعر الرفيعة والعواطف السامية. يقول الدكتور أحمد علي كنعان: "إن الكتاب جميعا في جمهورية ألمانيا متفقون على أن الكتابة للأطفال أصعب من الكتابة للراشدين".³³³

ومما هو جدير بالذكر أن أدب الأطفال في ألمانيا ظل تحت سيطرة المعلمين حقبة من الزمن ومن أبرزهم ثلاثة معلمين قادوا مجال التربية في ألمانيا وهم باسيدو، وهربارت، وفروبل. وقد دعوا للاستجابة لميول الأطفال الطبيعيين وتعليمهم وفق نظريات علم نفس الطفل. وبدأت حركة أدب الأطفال تزدهر بعد ترجمة قصة "روبنسون كروز"، واستهدفت تطبيق مدرسة روسو على الكتب الموجهة إلى الأطفال. وحين دخل الحلفاء ألمانيا وجدوا الأطفال يتعلمون أن ألمانيا فوق الجميع، ويرفعون شعارات مثل "أنا أحب ألمانيا" و "أنت تحب ألمانيا" و "هو يحب ألمانيا".³³⁴ وبعد الحرب العالمية الثانية مما لحق بألمانيا من خراب وتدمير فقد ارتفع صوت يقول: "ازرعوا الأمل في نفوس الأطفال". وبالفعل فقد أنشئت مكتبة العالم وكان لهذه المكتبة أثرها في بث اشعاعات

³³¹ - اسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، ص 27.

³³² - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال: فلسفته فنونه وسائطه، ص 108.

³³³ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 93.

³³⁴ - نفس المصدر، ص 93.

ضوئها على ألمانيا كلها، ومنذ عام 1960م فصاعدا مازالت تصدر سنويا نحو ألف كتاب للأطفال بما فيها الكتب المترجمة من الآداب الأخرى.³³⁵

وفي دانمارك، بدأ أدب الأطفال يزدهر في بداية القرن التاسع عشر عندما جاء رائد أدب الأطفال في أوروبا³³⁶ "هانز كريستيان أندرسون" (1805م-1875م). يعتبر هانز كريستيان أندرسون من ألمع وأشهر الكتاب الذين كتبوا القصص والحكايات للأطفال بالإضافة إلى الأشعار الكثيرة التي تتميز بالسهولة ورشاقة الأسلوب. لقيت كتابات أندرسون للأطفال استحسانا كبيرا، وتجاوزت سمعتها حدود بلاده حتى تمت ترجمتها إلى معظم لغات العالم الحية. ولد هانز كريستيان في أسرة فقيرة بمدينة "أودينس" بدانمارك عام 1805م، فقد والده في سن مبكرة، وذاق طعم الفقر والجوع في طفولته. انتقل كريستيان إلى "كوبنهاجن" وعمره أربعة عشر عاما، التحق بجامعة كوبنهاجن وأكمل تعليمه. زار ثلاث قارات والتقى بالفقراء والمساكين، وعاش مع الأغنياء والمترفين. فتكونت لديه ثروة من التجارب والخبرات الشخصية التي كانت مصدر إلهام لكثير من قصصه وأساطيره.

بدأ كريستيان كتابة الحكايات الخرافية للأطفال من عام 1835م، وظهرت له العديد من القصص الخرافية بما فيها قصة "البطة القبيحة" و"فتاة المباراة الصغيرة" و"ثياب الإمبراطور الجديدة" وغيرها. قدم كريستيان هذه الحكايات الخرافية للأطفال مستمدا أفكارها من الحياة الواقعية والفكرة الإنسانية بأسلوب جميل مع إيمان كامل وثابت بمستقبل أفضل لهم. يقول الدكتور علي الحديدي: "ومن حيث المضمون فإنه لا يوجد كتاب قصصي له أساس واقعي أقوى من قصص أندرسون الأسطورية".³³⁷ فالأطفال يجدون فيها أكثر من مجرد التسلية والمتعة، فهم يجدون فيها قانون وجودهم، ويتعرفون بها على الدور العظيم الذي يجب أن يضطلعوا به في هذه الحياة، فقد أحسوا من خلالها بالأسى وشعروا بالشر يختلط بما حولهم وبما في داخل أنفسهم. غير أن هذه المعاناة التي يقوم عليها الفن شيء عابر لا يجوز أن ينقص من إخلاصهم للحياة بل عليهم أن يستقبلوها بأمل جديد، وعزم ثابت، وإيمان راسخ.

³³⁵ - نفس المصدر، ص 93.

³³⁶ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 54.

³³⁷ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 54.

في الولايات المتحدة

أخيرا وليس آخرا، نريد أن نسلط ضوءا خفيفا على بداية أدب الأطفال في الولايات المتحدة التي لها إسهامات هائلة وكبيرة في تطوير وإنتاج أدب الأطفال من حيث النوعية والكيفية. يقول الدكتور علي الحديدي إن "أمريكا فقد وصلت بأدب الأطفال إلى المكانة التي لم يصلها في بلد آخر"³³⁸. إن الجدية الأمريكية تجاه الأطفال وأدبهم أدت إلى ازدهار وتنوع في أشكال أدب الأطفال ووسائله من الكتب والمجلات والصحف والأفلام والمكتبات الخاصة للأطفال. يكتب الدكتور علي الحديدي حول هذه الجدية والاهتمام بأدب الأطفال بهذه الكلمات: "ويكفي لمعرفة الزيادة المطردة في أدب الأطفال في أمريكا أن عدد الناشرين لكتب الأطفال بلغ 410 ناشرا عام 1930م، ثم وصلو 5895 عام 1965م، وأن بعض الكتب قد بلغ توزيعه أكثر من خمسة ملايين نسخة"³³⁹. و جدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد عينت مستشارا لكتب الأطفال في مكتبة الكونجرس منذ عام 1964م، وكانت السيدة زيليا جاكويش أول مستشارة مسئولة عن كتب الأطفال في مكتبة الكونجرس الأمريكي.³⁴⁰

إن أدب الأطفال في أمريكا حتى القرن الثامن عشر نشأ وتطور تحت تأثيرات الاستعمار البريطاني والحركة البروتستانتية. هاجر العديد من البروتستانتين المضطهدين في بريطانيا إلى الولايات المتحدة، وقاموا بتأسيس كلية هارفارد في عام 1636م لنشر وتعميم التعليم بين الطبقات المتوسطة.³⁴¹ جلب اللاجئون الدينيون والمستعمرون الروحيون معهم أو استوردوا جميع أنواع النصوص من الكتب التعليمية والدينية الصغيرة، والحروف الأبجدية، والكتب الأخلاقية، والحكايات الخرافية لشارلز بيرو وحكايات إسوب الخرافية. كان كتاب "الحليب الروحي لأطفال بوستون" لجون كوتون الذي صدر في بريطانيا عام 1646م، أول كتاب موجه للأطفال تمت إعادة طبعه في أمريكا في عام 1656م.³⁴² ومازالت تسيطر على صفحات أدب الأطفال الأمريكي الألوان

³³⁸ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 57.

³³⁹ - نفس المصدر، 57-58.

³⁴⁰ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 80.

³⁴¹ - Russell, David L, Literature for children: A short Introduction, P 7.

³⁴² - Griswold, Ferry, Children's literature in the USA: A historical overview, International companion Encyclopedia of Children's Literature, P 871.

التعليمية والدينية والأخلاقية والوعظية حتى ظهر كتاب باسم "هدية جديدة للأطفال" لكاتب مجهول في عام 1750م.³⁴³

شهدت أمريكا في القرن التاسع عشر نقلة نوعية في أدب الأطفال حيث ظهر العديد من الكتاب الموهوبين وكتبوا كتبا عديدة حول المغامرات والفانتازيا والقصص المحلية والواقعية بعيدا من اللون التعليمي والوعظي. حدث العصر الذهبي لأدب الأطفال في أمريكا بين نهاية الحرب الأهلية الأمريكية وبداية الحرب العالمية الأولى.³⁴⁴ في عام 1868م، كتبت لويزا ماي ألكوت قصة واقعية باسم "السيدات الصغيرات" كما ظهرت "الحديقة السرية" للكاتبة البريطانية الأمريكية فرانسيس هودجسون بورنيت. وبالإضافة إلى هذا، ظهر العديد من القصص الكلاسيكية للأطفال مثل "مغامرات توم ساوير" للكاتب الشهير مارك توين، وقصة الفانتازيا الأمريكية الشهيرة "ساحر أوز" للكاتب ايل فرانك باؤم في عام 1900م. نالت هذه الرواية شهرة واسعة بين الأطفال الأمريكيين ولاتزال تنتشر حتى الآن. يقول عميد أدب الأطفال العربي: "هذه الرواية يعاد نشرها بانتظام حتى الآن، ولاتزال أشهر روايات الأطفال الأمريكية، كما تم إنتاجها في السينما ثلاث مرات"³⁴⁵

بعد منتصف القرن العشرين ظهرت الواقعية الجديدة في أدب الأطفال، وقفز أدب الأطفال في أمريكا قفزة نوعية أخرى حيث شهد أدب الأطفال تنوعات في الأشكال والمضامين. ظهرت الروايات الخاصة لليافعين كما وجدت قصة الخيال العمي مكانا خاصا في أدب الأطفال. في عام 1963م، نشر الكاتب موريس سينداك قصة مصورة باسم "حيث توجد الأشياء المتوحشة". وفتحت هذه القصة أفقا جديدا لعالم الأطفال الخيالي، كما أوجدت لهجة جديدة لأدب الأطفال بسبب مضمونه الجريئ. تقول الكاتبة الأمريكية باربارا إيليمان: "ورغم أن شعبية القصة لدى الأطفال أهدئت عاصفة من الجدل ولكنها سببت أيضا في ظهور سلسلة الكتب التي تعالج مخاوف الأطفال وخيبة آمالهم واستجاباتهم العاطفية الأخرى".³⁴⁶ مازالت قصص المغامرات ورحلات الأبطال موضوعات مركزية دائما في قصص الأطفال الأمريكية، ولكن مع تحول التركيز

³⁴³ - Ibid, P 873.

³⁴⁴ - Ibid, P 876.

³⁴⁵ - الشاروني، يعقوب، مقارنة بين أشهر روايتين للأطفال في الأدبين الإنجليزي والأمريكي "أليس في بلاد العجائب وساحر أوز العجيب،

ص39.

³⁴⁶ - Elleman, Barbara, Current Trends in Literature for children, P 421.

الأساسي من الأخلاق إلى الترفيه والمتعة، وجدت موضوعات مثل الخيال، والهوية، وتمكين الأطفال الذاتي ومشاكلهم العاطفية، وأزمات الطفولة، والموضوعات الحساسة والمحرمة طريقها إلى صفحات أدب الأطفال كما لعبت حركة الحقوق المدنية في أمريكا دورا كبيرا في معالجة القضايا العرقية وشمول الأبطال من الألوان المختلفة في أدب الأطفال.³⁴⁷

في عام 1922م، أنشأت رابطة المكتبة الأمريكية "ميدالية جون نيوبيري" للتميز في الكتابة للأطفال من أجل تحفيز الناشرين على جلب المزيد من كتب الأطفال للطباعة. وبدافع من جاذبية الإشادة ونمو نظام المكتبات العامة في أمريكا، بدأ الناشر يرون أدب الأطفال كسوق جديدة حيث راجت صناعة كتب الأطفال في أمريكا. وبالإضافة إلى النوعية في محتويات كتب الأطفال، شهد أدب الأطفال قفزة نوعية أيضا في الصور والرسوم التوضيحية بعد التحسينات في التكنولوجيا وآلات الطباعة والنشر. تم إنشاء "ميدالية كالديكوت" للتميز في الصور والرسوم التوضيحية لكتب الأطفال في عام 1938م، مما شجع الرسامين والمصممين على إتيان أعمال مبتكرة ومبدعة ملأت سوق كتب الأطفال بالكتب المزينة بالصور الملونة الجذابة والخلابة التي تستهوي قلوب الناشئين والصغار. يقول الدكتور أحمد علي كنعان: "إن أفضل إنجاز قام به الأمريكيون في ميدان (أدب) الأطفال أخيرا هو التحول من إصدار الكتب ذات الأغلفة الورقية الخفيفة إلى الكتب السمكية الغلاف والملونة بألوان جذابة".³⁴⁸

³⁴⁷ - Russell, David L, Literature for children: A short Introduction, P 20.
³⁴⁸ - كنعان، الدكتور أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 80.

الفصل الثاني

الموضوعات في أدب الأطفال الغربي

الموضوعات في أدب الأطفال الغربي

منذ بداية أدب الأطفال بمعناه الفني والمعترف به عالميا في العالم الغربي عامة وفي الدول الأوروبية خاصة في أواخر القرن السابع عشر إلى يومنا هذا، قطع أدب الأطفال في العالم الغربي مسافات بعيدة وطويلة للوصول إلى قمة الكمال والنضج الفني وعصره الذهبي - النصف الأخير - من القرن التاسع عشر إلى الربع الأول من القرن العشرين مرورا بمراحل متعددة من النشأة والتطور والتغير في أنواع أدب الأطفال، ومناهج ووسائل تقديم المواد الأدبية للأطفال، كما شهد أدب الأطفال أيضا تغيرات هائلة وتطورات مدهشة في نفس المواد والمحتويات والمضامين والموضوعات التي عالجها وتناولها الكتاب الغرب في كتاباتهم الأدبية الموجهة إلى الأطفال من الحكايات الأخلاقية والتعليمية لإيسوب (620ق م - 564ق م) بأسلوب وعظي وتعليمي إلى قصص الخيال العلمي مثل سلسلة "هاري بوتر" للكاتبة البريطانية جي. كي. رولينغ (1965م -) والموضوعات الحساسة مثل الجنس والعنف الأسري في قصص الأطفال بأسلوب ظريف وممتع.

يتفق النقاد والباحثون على أن أدب الأطفال المكتوب في العالم الغربي أو غيره من المجتمعات الأخرى قد نشأ وبرز من بطن القصص الشفهية والحكايات الشعبية التي كانت توجد في كل المجتمعات قبل ظهور المطابع والكتب. تقول الكاتبة الأمريكية باربارا زيد. كائفر "إنه كانت هناك قصص قبل وجود الكتب، وأدب اليوم للأطفال قد نما وبرز من التقاليد الشفهية التي كانت توجد عند كل مجتمع"³⁴⁹. ويكتب الكاتب الأمريكي الآخر ديفيد إيل. راسيل أيضا في كتابه "الأدب للأطفال: مقدمة قصيرة" أن التقليد الشفهي لرواية القصة والحكاية هو جزء متكامل لكل ثقافات العالم وحضاراته، وقد بدأ جميع الأدب، بما فيه أدب الأطفال المعترف به عالميا كفن مستقل في عصرنا هذا، من هذا الفن القديم لرواية القصة والحكاية. ورغم أن أدبا حقيقيا مكتوبا للأطفال بشكل واضح قد برز في غضون مئتين أو ثلاث مائة سنة ماضية فقط، ولكنه، في الحقيقة، تمتد جذوره إلى عمق بعيد من التاريخ.³⁵⁰

³⁴⁹ Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 65.
³⁵⁰ Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 3.

وطبقا للدراسات الحديثة التي أجراها الباحثون في مجال أدب الأطفال، ظهر أول ما كتب من أدب خاص بالأطفال في العصر الحديث بفرنسا في أواخر القرن السابع عشر.³⁵¹ كان الشاعر الفرنسي الكبير تشارلز بيرو من الأدباء الأوائل الذين يرجع إليهم فضل وضع حجر الأساس لأدب الأطفال بفرنسا في العصر الحديث. كتب تشارلز بيرو مجموعة من القصص للأطفال باسم "حكايات الأم الأوزة" التي تعد أول كتاب مكتوب للأطفال بشكل خاص في العصر الحديث مستمدا من القصص الشعبية في عام 1697م. وفي نفس الفترة، قدم الشاعر الفرنسي الشهير الآخر جان دي لافونتين قصصا ممتعة باسم "حكايات لافونتين" للأطفال مستمدا من مجموعة واسعة من المصادر الغربية والشرقية خاصة من حكايات إيسوب التي تنسب إلى العبد إيسوب الذي عاش خلال القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد، و "كان معلما كتب حكايات متعددة لإرشاد طلابه حول الثقافة والقيم الشخصية حسب ما يعتقد".³⁵² وجدير بالذكر أن العديد من الكتاب والشعراء العرب بمن فيهم أمير الشعراء أحمد شوقي والشاعر المصري عثمان جلال وإبراهيم بك العرب والعلامة اللغوي العراقي مصطفى جواد وغيرهم³⁵³ تأثروا بحكايات لافونتين وكتبوا القصص والحكايات على منوال لافونتين في فترة بداية أدب الأطفال في العالم العربي.

وبعد فرنسا، لعبت بريطانيا دورا كبيرا في إرساء دعائم أدب الأطفال على أسس التسلية والمتعة في العالم الغربي. قام الأب الحقيقي³⁵⁴ لأدب الأطفال في اللغة الإنجليزية جون نيوبيري بإنشاء مكتبة خاصة باسمه لنشر كتب الأطفال، وأخرج كتابه الشهير باسم "كتاب الجيب الجميل الصغير" عام 1744م، بالإضافة إلى تبسيط العديد من القصص الكلاسيكية التي نالت شهرة واسعة ولقيت استحسانا كبيرا في إنجلترا وخارجها مثل قصة "روبنسون كروز" لدانيال ديفو عام 1719م و"رحلات جليفر" لجوناثان سويت عام 1726م وغيرهما مضيفا فيها عناصر المتعة والتسلية للصغار. ظهر في ألمانيا الأخوان غريم اللذان رفعا لواء أدب الأطفال بألمانيا وكتبوا بعض القصص الخالدة للأطفال في المجموعة القصصية باسم "حكايات الأطفال والبيوت" في جزئين عام 1812م و1814م مستمدا فكرة حكاياتهما من الشعب والتراث الألماني نفسه بدون أي تشويه أو تغيير. كما أعطى الكاتب الدانماركي و رائد أدب الأطفال في أوربا هانز كريستيان

³⁵¹ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 46.

³⁵² - Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 4

³⁵³ - البقاعي، د. إيمان، قصة الأطفال والناشئة في لبنان، ص 72-77.

³⁵⁴ - Hallowell, Lillian, A book of Children's literature, P 522

أندرسون فن الكتابة للأطفال ارتفاعات جديدة من خلال تقديم الأشعار الكثيرة والقصص العديدة المستوحاة من الحياة الواقعية والفكرة الإنسانية بأسلوب جميل للأطفال. يقول الدكتور علي الحديدي: "ومن حيث المضمون فإنه لا يوجد كتاب قصصي له أساس واقعي أقوى من قصص أندرسون الأسطورية".³⁵⁵ وفي الفصل الأول من هذا الباب، ذكرنا بالتفصيل عن بداية وظهور أدب الأطفال في الدول الغربية المتعددة الرئيسية في العصر الحديث، فلا نعيد الكلام عنها هنا بسبب خوف الإطالة. وهذه الكلمات الوجيزة المذكورة آنفا في الفقرتين الماضيتين تكفي للعثور على تاريخ بداية وظهور أدب الأطفال الغربي.

إذا نلقي أنظارنا على وضع أدب الأطفال الإجمالي في الدول الغربية المتقدمة خاصة في أوروبا والولايات المتحدة في عصرنا الراهن، نجد أنه يتمتع بمكانة كبيرة ومتميزة فيما يتعلق بإنتاج المواد النوعية للأطفال والاهتمام المتزايد بأدبهم على مستوى الحكومة والجهات الرسمية والجامعات والمدارس والأساتذة والتربويين والآباء والأمهات حتى عامة الناس، حيث يقدم هناك المهتمون بأدب الأطفال للجيل الناشئ أدبا ذا نوعية وجودة عالية من حيث الشكل والمضمون مع رعاية كافة الشروط اللازمة لإنتاج أدب الأطفال من ميول الأطفال ومستواهم العقلي والنفسي واللغوي والثقافي وما إلى ذلك في جو من التسلية والمتعة. تحتوي رفوف محلات البيع ومكتبات الأطفال في العالم الغربي على الكتب الملونة والجذابة من مختلف الأشكال والأنواع الأدبية مثل الشعر، والمسرحية، والقصة بما فيها حكايات الجنية والحيوانات وقصة المغامرات والرواية والقصة الشعبية والتاريخية والقصة الخيالية وغير الخيالية والفانتازيا وقصص الخيال العلمي والسيرة الذاتية وغيرها. إن هذه الأنواع المتعددة من الكتب للأطفال تحمل في طياتها موضوعات ومضامين متنوعة يتطرق إليها كتاب أدب الأطفال المهنيين نظرا لحاجات الأطفال النفسية والعقلية واللغوية والثقافية بعد إجراء بحث دقيق وجمع معلومات وثيقة حول الموضوع.

ومن المثير للحيرة والاستغراب أن أدب الأطفال في العالم الغربي يعكس في كثير من الأحيان اتجاهات واقعية سائدة في أدب البالغين والكبار من حيث الموضوع والمضمون، وأصبح أكثر انفتاحا حول تناول الموضوعات الاجتماعية الواقعية والمضامين الحساسة والمحرمة ومشاكل الأطفال وأحزانهم وأفراحهم بصدق وأمانة مع تطور فهم عميق في مجال علم نفس الطفل وظهور

³⁵⁵ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 54.

"الواقعية الجديدة"³⁵⁶ في أدب الأطفال بعد منتصف القرن العشرين. ومن الحقيقة أن كتاب أدب الأطفال في أوروبا والدول الغربية المتقدمة خاصة في السويد وبريطانيا والولايات المتحدة لا يخافون من تناول مواضيع قد يجد الكبار صعوبة في التحدث عنها مع الأطفال مثل العنف والحرب والإرهاب وتعاطي المخدرات والطلاق والموت والعنف الجنسي والتربية الجنسية والتنمر وما إلى ذلك. تقول الكاتبة الأمريكية باربارا زيد. كائفر: "إن الأدب الذي نشر لعالم الطفل الموسع قد يعكس التغيرات وتحديات الحياة في النصف من القرن العشرين إلى أواخر القرن العشرين. ومثلما عكس أدب الكبار خيبة الأمل الناتجة عن الاكتئاب، والحروب والمادية عن طريق كونه أكثر قساوة وإثارة ونفسية، أصبح أدب الأطفال أيضا أصدق و أكثر صراحة في تصوير الأوضاع مثل الحرب، المخدرات، الطلاق، الإجهاض، الجنس والشذوذ الجنسي".³⁵⁷

ونذكر هنا ما نقله الدكتور يعقوب الشاروني من قول الكاتب الإنجليزي برو جودوين حول الواقعية الاجتماعية في أدب الأطفال بعد منتصف القرن العشرين: "على الرغم من أن عنصر الخيال يعد أحد جوانب أدب الأطفال الذي ظل سائدا خلال السبعينات والثمانينات من القرن العشرين فإن "الواقعية الاجتماعية" أصبحت هي الموضوع المهيمن على الكتابة، فقد أصبح الكتاب يتناولون في قصصهم قضايا شخصية وأخرى عامة، تتضمن الشؤون العرقية والحرب والموت والإعاقة الجسدية والثورات الداخلية والقلق النفسي المصاحب لمرحلة المراهقة وكذلك الاضطرابات النفسية".³⁵⁸

ولكن هذا السفر الطويل لأدب الأطفال في العالم الغربي للوصول إلى قمة النوعية والجودة العالية من ناحية الفن والإخراج والطباعة والمحتوى والمضمون لم يتم قطعه بين عشية وضحاها بل مر بمراحل متعددة تستغرق "ما يقارب خمس مائة عام تقريبا"³⁵⁹. لعبت حركة النقد الأدبي في مجال أدب الأطفال، وعنايات الحكومات الغربية بالأطفال وأدبهم، وقراءة علم نفس الطفل عن كتب وغيرها دورا فعالا في تطوير ونضج فن أدب الأطفال في العالم الغربي حيث لاتزال تسود

³⁵⁶ - Margret, Mier, The New Realism in Children's Literature, P 42-48.

³⁵⁷ - Kiefer, Barbara Z., Charlotte Huck's Children's Literature, P 80.

³⁵⁸ - الشاروني، يعقوب، قصص الأطفال: مقاربة عالمية، معرض الشارقة الدولي، 29 أبريل، 2013م.

³⁵⁹ - زلط، الدكتور أحمد، في أدب الطفل المعاصر: قضاياها واتجاهاته ونقده، ص 22.

الثقافة لمراجعة كتب الأطفال ومناقشتها بشكل متكرر في وسائل الإعلام الرئيسية. وفي هذا الفصل الثاني الذي يهدف أساسا إلى تقييم أدب الأطفال الغربي من ناحية الموضوعات والمضامين التي يعالجها كتاب أدب الأطفال حاليا، نقوم باستعراض بعض الكتب والقصص الهامة لبعض الكتاب البارزين عبر المراحل المتعددة بالتركيز الخاص على الكتابات المعاصرة، ونحاول للبحث عن الأسباب التي دفعت أدب الأطفال إلى خلق التنوع في موضوعاته وأنواعه والتطرق إلى المضامين الصعبة والمحزنة ابتداء من الرسائل التعليمية والأخلاقية والدينية إلى قصص الخيال العلمي والموضوعات الجديدة والحساسة مثل التربية الجنسية والموت والانتحار والحرب والطلاق والمخدرات والمحافظة على البيئة والهجرة والعرقية وحقوق الأطفال والمساواة بين الجنسين والحب والجنسانية وتمثيل الإعاقة بأنواعها المختلفة بالإضافة إلى إعطاء الأطفال المعوقين والبنات دور الشخصيات الرئيسية في القصة وما إلى ذلك. سنسعى أيضا في هذا الفصل للعثور على العوامل الرئيسية التي ساعدت كتاب أدب الأطفال على متابعة الاتجاهات الحديثة في مجال أدب الأطفال من إدخال القصص العلمية بمعناها الفني و"القصص العلاجية بالقراءة"³⁶⁰ (Bibliotherapy) لتخفيف الآلام والصدمات العاطفية والاضطرابات النفسية التي يمر بها الأطفال عند مواجهة الأوضاع الصعبة والمريرة في حياتهم وخلق مهارات التأقلم والتكيف معها، بالإضافة إلى التحدث عن تأثيرات أقوال ونظريات الفلاسفة الجدد مثل الفيلسوف البريطاني "جون لوك" والفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" وعلم نفس الطفل الحديث في منهج كتابة أدب الأطفال ومضامينه.

الموضوعات العامة في بداية أدب الأطفال الغربي

إن الأدب للأطفال في العالم الغربي أيضا بدأ كمنظيره في العالم العربي وغيره في ظل اللون التعليمي والوعظي المبنيين على الدروس الأخلاقية والدينية والنصائح بعيدا من جو التسلية والمتعة والترفيه. تقول الكاتبة الأمريكية باربارا زيد. كائفر "إن المواد الأولى المجهزة للأطفال الغرب كانت تعليمية بدلا من الإمتاع والتسلية، واستمر هذا التقليد لقرون متعددة".³⁶¹ في العصور السالفة من الحضارة الغربية الممتدة جذورها إلى ثقافات اليونان وروما القديمة التي نشأت بين 500 سنة ق.م و400 سنة ق.م، كان الأجداد والأسلاف يحكون قصصا وحكايات لتمضية

³⁶⁰ - Hugh, Crago, Can stories heal? Understanding Children's Literature, Hunt, Peter, P 163.

³⁶¹ - Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 65.

أوقاتهم وتسلية وإمتاع بعضهم البعض، بالإضافة إلى "إرشاد الأطفال والناشئين في دروس الحياة ونقل تراثهم الديني والثقافي".³⁶² كان الناس لا يميزون بين أدب الكبار وأدب الصغار، فكان هناك أدب يتقاسمه الكبار والصغار معا. كان الأطفال يستمتعون إلى نفس القصة وربما يتمتعون بها مثل آبائهم وأمهاتهم، سواء أكانت قصص المغامرة من الأبطال الثقافية مثل ملحمتي "الإلياذة" و "الأوديسة" للشاعر الإغريقي هوميروس أو القصص الرائعة عن الآلهة والشياطين والسحرة والحيوانات الناطقة التي توجد في سائر أنحاء العالم.

قبل بداية عصر "النهضة" في أوروبا خلال القرن الخامس عشر، كانت توجد هناك نوعان من الكتب الدراسية للأطفال: كان الأول يعتمد على الحوار والمحادثة بين التلاميذ والمعلمين في شكل الأسئلة والأجوبة عامة، بينما كان الثاني مبني على الشعر الموزون والأبيات المقفاة التي كان يقرؤها التربويون والشعراء للأطفال نظرا للسهولة في الحفظ من ظهر القلب. وكان هناك نوع آخر من كتاب يدعى "Elucidarium" أو كتاب عن المعلومات العامة للأطفال طوره أنسلم رئيس أسقفية كانتربيري خلال القرن الثاني عشر. تطرق هذا الكتاب إلى موضوعات عديدة هادفة إلى غرس بعض القيم الخلقية في الأطفال مثل آداب السلوك وواجبات الأطفال وخصائص الحيوانات والنباتات والتعاليم الدينية. وبالإضافة إلى هذا، بدأ الأطفال يتعلمون القراءة من خلال "Hornbooks"، وهو شكل من كتاب بدائي للأطفال حيث كانت تلتصق ورقة أو صفحة مغطاة بطبقة شفافة من القرن أو الميكا على إطار مع مقبض تعرض الحروف الأبجدية وحروف العلة والمواد الدينية وغيرها، نشأ وتطور هذا النوع من الكتاب في بريطانيا حوالي 1450م لتعليم الأطفال قبل ظهور واستخدام المواد التعليمية الحديثة.³⁶³

إن عصر "النهضة" مثل العصور الوسطى كان أيضا فترة دينية حيث كانت تتمتع فيها الكنائس والحركات الدينية مثل الحركة البروتستانتية والكاثوليكية بمكانة هامة ونفوذ كبير فيما يتعلق بأمور الدين والتعليم للأطفال. تركت هذه المجموعات الدينية أثرا كبيرا على طبيعة النصوص والمواد المقررة والدراسية عند إعدادها للأطفال. كانت الحركة البروتستانتية طائفة دينية متشددة تعتقد بأن كل شخص كان مسؤولا عن نجاته وإنقاذه وبأن النجاح في الحياة يشير إلى

³⁶² - Russell, David L., Literature for Children: A short Introduction, P 3.

³⁶³ - Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 68.

فضل الله³⁶⁴، كما كانت تؤمن بأن كل طفل قد ولد مذنباً وقذراً³⁶⁵، يحتاج إلى أن يقبل الله ويعيش حياة متدينة. وبما أن البروتستانتين يرغبون في تبليغ عقائدهم وأفكارهم الدينية وتربية الأولاد على أسس معتقداتهم وحركة تطهير الكنائس، فخلقوا نوعاً خاصاً من الأدب للأطفال، وظهرت الكتب والقصص العديدة ذات الطابع الديني والتعليمي، تعلم الأطفال عن طريق الترغيب والتخويف أن يعدوا أنفسهم للموت والنجاة من النار في الدار الآخرة، بالإضافة إلى ظهور القصص المبنية على قصص "الإنجيل المقدس" وحياة القديسين لوضع الأمثلة وتشجيع الأطفال على أخذ الدروس من حياتهم. ألف جيمس جانوي وزير الحركة البروتستانية ومؤلفها الشهير في عام 1671م كتاباً باسم "رمز للأطفال" بأسلوب وعظي وتعليمي تقديم الأمثلة من حياة الأطفال الأتقياء وموتهم البهيج حتى يتمكن القارئ من تعلم سبل النجاح وكيفية تجنب النار ودخول الجنة. ورغم أن هذا الكتاب يعالج موضوعات دينية وروحية وأموات الأطفال في سبيل الدين والمسيحية بأسلوب مروع إلى حد ما، لقي شعبية كبيرة في المدارس لدى الطلاب وأبائهم لأنهم كانوا يرغبون في أن يتعلم أطفالهم الدروس على هذه الطريقة. تقول البرفيسورة ريتا غيسكيير "إن هذا الكتاب يجسد طريقة البالغين في مخاطبة الأطفال في القرن السابع عشر"³⁶⁶

وبالإضافة إلى "رمز للأطفال" لجيمس جانوي في عام 1671، ألف جون بونيان (1628م-1688م) كتاباً دينياً أكثر شعبية وتأثيراً باللغة الإنجليزية باسم "تقدم الحاج"، يتحدث عن قصة رحلة رجل آمن إلى الجنة رغم أن وضعت الحيوانات الضخمة المخيفة عراقيل عديدة في سبيله. كما ظهر كتاب جون فوكس (1516م-1587م) باسم "كتاب الشهداء" عام 1563م بعد نشوء الخلاف بين البروتستانتين والكاثوليكين. كتب هذا الكتاب ضد الحركة الكاثوليكية ومليء بالمشاهد المروعة من الأموات العنيفة من أجل الدين. وعندما بدأت حركة "مدارس الأحد" الدينية في بريطانيا عام 1781م في مدينة جلوسستر، ثم انتشرت في طول البلاد وعرضها، فاضطرت المدارس الدينية التابعة للحركة البروتستانية إلى الكثير من القصص التي تقوم بغرس القيم الدينية المسيحية والروحية في الأطفال لأن هذه المدارس تهتم بتدريس أطفال العاملين في المصانع دروساً من كتاب المقدس. قدمت الكاتبة البريطانية حنا مور "Hannah More"

³⁶⁴ Russell, David L., Literature for Children: A short Introduction, P 7.

³⁶⁵ Standard, David E, Death and Puritan Child, P 462.

³⁶⁶ Ghesquiere, Rita, Contemporary religious writing, Encyclopedia of Children's Literature, Peter Hunt, P 306.

(1745م-1833م) عددا كبيرا من القصص الدينية للأطفال والطلاب الناشئين مستمدة من الإنجيل المقدس.³⁶⁷

ورغم أن ظهرت ترجمة كتاب "Orbis Pictus" أي "العالم في الصور" للكاتب الهولندي جون أموس كومينيوس (1592م-1670م) باللغة الإنجليزية في عام 1659م، والذي يعتبر أول كتاب مصور للأطفال وكان مشتملا على النقوش والصور الخشبية التوضيحية للأشياء اليومية لتوفير الأطفال فرص التعليم والتدريس في جو من التسلية والمتعة، ولكن الكتب الموجهة للأطفال عبر القرن السابع عشر عامة كانت تهيمن عليها المعتقدات الروحية الصارمة للبروتستانتين بهدف إنقاذ أرواح الأطفال بدلا من إمتاعهم وتسليتهم.³⁶⁸ وبصرف النظر عن طبيعة المواد الدينية والتعليمية التي قدمها البروتستانتيون في المدارس للأطفال بأسلوب مروع وترغيبي، لعبت الحركة البروتستانتية دورا كبيرا ورئيسيا في فتح مدارس "يوم الأحد" في جميع أنحاء بريطانيا ونشر التعليم بين الطبقات المتوسطة والفقيرة على جانب واحد، كما أدت مناهجها التعليمية الصارمة في جو من التخويف والترهيب إلى تغيير أساسي في نظرة الناس تجاه الأطفال وحاجاتهم الخاصة بعد ظهور كتاب باسم "بعض الأفكار حول التعليم" للفيلسوف البريطاني جون لوك عام 1693م في جانب آخر. يقول الكاتب الأمريكي ديفيد ايل. راسيل: "إنه أدت اثنتان من التأثيرات الخاصة للقرن السابع عشر على الأقل إلى زيادة وعي المجتمع تجاه احتياجات خاصة للطفل، وهما: نهوض البروتستانتيين وفلسفة جون لوك".³⁶⁹

إن أدب الأطفال في العالم الغربي بدأ يخرج من دائرة معتقدات دينية صارمة حول تربية الأطفال منذ القرن الثامن عشر، وظهر أدب مبني على التسلية والمتعة للأطفال منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا. في الحقيقة، لاقت أفكار الفيلسوف البريطاني جون لوك حول تربية الأطفال بما فيها "التربية البدنية والفكرية والخلقية"³⁷⁰ قبولا حسنا وتأييدا كبيرا في الدول الأوروبية وتأثر بها العديد من كتاب أدب الأطفال خاصة جون نيوبري.³⁷¹ وضع جون لوك في كتابه "بعض الأفكار حول التعليم" نظرية أن أذهان الأطفال الناشئين كانت مماثلة لصفحة بيضاء في

³⁶⁷ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 52.

³⁶⁸ - Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 68- 69.

³⁶⁹ - Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 7.

³⁷⁰ - عبد الدائم، الدكتور عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 359.

³⁷¹ - Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 69.

انتظار أن تملأ، وشدد على أنه بمجرد أن يعرف الأطفال الحروف الهجائية يجب توجيههم إلى القراءة للمتعة والترفيه، وأيد باستخدام الصور والرسوم في كتب الأطفال وحزن على قلة الكتب الممتعة والسهلة لقراءة الأطفال.³⁷² وعقب هذا، ظهر نهج جديد لتعليم الأطفال في جو من التسلية والمتعة بدلا من البيئة التخويفية والترهيبية. وحدث هذا التحول بمحاولة جعلها الأب الحقيقي والناشر الناجح لأدب الأطفال جون نيوبري لتعليم الأطفال عن طريق اللهو والتسلية بما فيه الألعاب والحكايات الخرافية والقواري الصغيرة عن الحروف الهجائية بواسطة نشر كتابه الشهير "كتاب الجيب الجميل الصغير" في عام 1744م. وتعليقا على أهمية هذا الكتاب في عصر تسود فيه ثقافة التركيز على النواحي الروحية والدينية في تعليم الأطفال، يقول باربارا زيد. كائفر: "ما كان مهما حول الكتاب هو أن نيوبري بدأ توفير التسلية والترفيه للأطفال، وهو شيء لم يستطع الناشر الآخرون البصيرة والجرأة على القيام به. إن النجاح المالي لنيوبري في مجال الطباعة وبيع كتب الأطفال فتح بابا للآخرين وجاءت صناعة تجارة كتب الأطفال إلى معرض الوجود".³⁷³

وفي هذه الفترة نال بعض القصص التي كتبت أساسا للكبار شعبية كبيرة بين الأطفال بعد أن بسطها جون نيوبري وقدمها للأطفال مع إضافة عناصر التسلية والمتعة للصغار. وكانت من بينها قصة "روبنسون كروز" لدانيال ديفو في عام 1719م. هذه القصة تتحدث عن مغامرة روبنسون كروز البحرية وقصة نجاته بعد أن تعرضت سفينته للحادثة وعاش روبنسون بعد نجاته على جزيرة نائية وحيدا لثمانية وعشرين عاما في أوضاع صعبة معتمدا على الوسائل الطبيعية وثمرات الغابات من الفواكه واللحوم للغذاء والطعام. تتناول هذه القصة موضوعات عديدة مثل الشجاعة والعزم وأهمية العمل الشاق والصداقة والولاء والعلاقة بين الطبيعة والإنسان كما تتضمن القصة محاور الامتتان والسلطة والقوة والإيمان بالله وانتصار الخير على الشر.³⁷⁴ وقصة أخرى بسطها نيوبري للأطفال هي "رحلات جليفر" لجوناثن سويفت في عام 1726م، تتحدث أيضا عن قصة أربع مغامرات بحرية للأماكن المختلفة بصورة ساخرة. نالت هذه القصص إعجاب الأطفال على نطاق واسع لتضمنها موادا خصبة تثير الفضول وحب الاستطلاع والاستكشاف لدى الأطفال الذين "يحبون ويغرمون بقصص البطولة والمغامرة".³⁷⁵

³⁷² - Kiefer, Barbara Z., Charlotte Huck's Children's Literature, P 69.

³⁷³ - Ibid, P 69.

³⁷⁴ - Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 9.

³⁷⁵ - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، أدب الأطفال: فلسفته فنونه وسائطه، ص 153.

وخلال القرن الثامن عشر، ترك الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو أثرا كبيرا في تعليم الأطفال وأدبهم، وأضاف وجهة نظر أخرى إلى فكرة قراءة الأطفال. أعرب روسو عن أفكاره حول التعليم في كتاب "إميلي" عام 1762م، وشدد على أهمية التنمية الأخلاقية للأطفال بينما كان البروتستانتيون يركزون على تعليم الجانب الروحي للأطفال. وطبقا لروسو كان من الممكن تحقيق التنمية الأخلاقية الجيدة بصورة أفضل عن طريق عيش حياة بسيطة. نالت هذه النظرية رواجا كبيرا في تلك الفترة "لأن الناس كانوا يصبحون منزعجين من وتيرة الحضارة حتى قبل 200 سنة"³⁷⁶. كتب أتباع روسو عددا كبيرا من الكتب الأخلاقية والتعليمية لتعليم الأطفال بأن كيف يصبحوا إنسانا جيدا وصحيحا. قدم جون بييري أيضا مساهمته القيمة في كتابة القصص والحكايات الأخلاقية للأطفال وألف كتبا عديدة ذات لون وطابع أخلاقي. ومن بين أشهر كتبه بهذا الصدد كتاب "Little Goody two shoes"، وهو يشابه قصة "سندريلا" مع اختلاف وجيز، ويحكي عن قصة فتاة يتيمة فقيرة تدعى "مارجيري مينويل" التي تعيش حياة بسيطة وصادقة وتمتلك فقط حذاء واحدًا لوقت طويل، عندما يمنحها رجل شريف ثري زوجا كاملا من الحذاء فتصبح سعيدة إلى حد حتى تخبر كل شخص أنها تمتلك حذائين. وفي وقت لاحق، تصبح مارجيري من خلال عملها الشاق واستقامتها معلمة وتزوج من أرمل غني. يقول الكاتب الكندي أندريو أومالي: "إن هذا الكسب من الثروة كان دليلا على أن استقامة مارجيري ونزاهتها قد كسبت الجائزة لها نهائيا"³⁷⁷، وهذا النوع من المضمون كان شائعا في تلك الفترة.

وبالإضافة إلى نيوبيري، أنتج العديد من الكتاب معظمهم السيدات -لأن الرجال من الأدباء لا يزالون ينظرون الكتابة للأطفال مهنة تحط من قدرهم الأدبي³⁷⁸ - قصصا أخلاقية كثيرة في السنوات الباقية من القرن الثامن عشر وحتى في القرن التاسع عشر. برزت ماريا ايدجورث (1744م-1817م) كواحدة من أبرز الكتاب المنتجين للقصص الأخلاقية، وكتبت قصة "الجرة الأرجوانية" في عام 1796م وقصة "سوزان السانجة" في عام 1796م عن فتاة ريفية تساعد طيبة قلبها على تحقيق انتصار على محامي سوء النية. وكتبت سارة تريمر (1741م-1810م) قصة "روبنس" في عام 1786م، وهي قصة حيوانات ظهرت في وقت عندما كان الناس يعبسون

³⁷⁶ Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 9.

³⁷⁷ Andrew, O'Malley, The Making of the modern child: Children's Literature in the late 18th century, P 30.

³⁷⁸ Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 9.

حكايات الحيوانات الناطقة لأن "العقلانيين للقرن الثامن عشر اعتقدوا بأنها كانت غير منطقية ووطن المتعصبون الدينيون أنها كانت غير مقدسة"³⁷⁹. اعتقدت السيدة تريمر واحدة من النقاد الأوائل لأدب الأطفال بأن الأدب يجب أن يعلم الأخلاقيات المسيحية قبل كل شيء، وانتقدت الحكايات الخرافية لأنها كانت تدنيسية وتتقص الهدف الأخلاقي. وفي عام 1818م، أخرجت ماري شيروود (1775م-1851م) كتابا باسم "تاريخ أسرة الطفل الأمين"، يشتمل على قصص مخيفة قوية عن قصص حول أرواح الأطفال العاقين الذين يندثرون في القبر البارد أو يتم نقلهم إلى نيران الجحيم. إن ماري شيروود، من خلال هذه الحكايات التعليمية والأخلاقية الشديدة التي تؤكد على الخطيئة واحتمالية اللعنة الأبدية لأولئك الذين لا يحققون النجاة و الخلاص، تنقل هذه الرسالة أنه من واجبات الأسرة أن تقوم بتربية الأطفال بطريقة متدينة ومناسبة حتى حققوا النجاة والخلص. إن كل فصل لهذه الرواية يقدم درسا أخلاقيا ابتداء من حبس "هنري" في غرفة في الجزء العلوي من المنزل للسرقة والكذب إلى قصة طفل من أسرة أرستقراطية "أوغستا نوبل" الذي يموت حرقا بعد أن عصى أوامر والديه.³⁸⁰

شهد القرن الثامن عشر أيضا نموا كبيرا في كتابة القصص الشعبية. يقول ديفيد ايل. راسيل "إن العنصر التعليمي في كتب الأطفال استمر حتى أوائل القرن التاسع عشر ولكن بجانب القصص الأخلاقية حدث إحياء القصص الشعبية القديمة من التقليد الشفهي الذي كان يتلاشى بسرعة".³⁸¹ في الحقيقة، تمت طباعة القصص الشعبية في بريطانيا مبكرا في عام 1729م عندما تمت ترجمة "حكايات الأم الأوزة" باللغة الإنجليزية للكاتب الفرنسي تشارلز بيرو الذي حكاها أصلا ونشرها في عام 1697م بفرنسا. تتضمن هذه المجموعة عديدا من القصة الشعبية والحكاية الخرافية مثل "سندريلا" و"الجمال النائم في الغابة" و"اللحية الزرقاء" و"القط في الحذاء الطويل" وغيرها. في منتصف القرن الثامن عشر، حكى الكاتبة الفرنسية دي بومونت (1711م-1780م) قصصا خرافية عديدة بما فيها "الجميلة والوحش" و "ثلاث أمنيات" بهدف أخلاقي. وهكذا ظهرت القصص الخرافية من الشرق والدول العربية في بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى، يذكر راسيل أن ابنة جون نيوبري ووريثتها إليزابيث نيوبري نشرت طبعة أولى للأطفال من حكايات الشرق الأوسط

³⁷⁹ Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 10.

³⁸⁰ Sherwood, Mary, The history of the Fairchild family, J.Hatchard, London, 1818.

³⁸¹ Russell, David L., Literature for children: A short Introduction, P 10.

الشهيرة "ألف ليلة وليلة" التي تتضمن حكايات "السندباد البحري" و"علاء الدين والمصباح السحري" و"علي بابا والأربعين لصا" وغيرها في حوالي 1791م.³⁸² وفي بداية القرن التاسع عشر، ظهرت في ألمانيا قصصا شعبية عديدة على يد الأخوين غريم اللذان نشرتا "حكايات الأطفال والبيوت"، كما أنتج هانز كريستيان أندرسون في الدانمارك قصصا خرافية ممتعة للصغار. علاوة على ذلك، قدم الكاتب البريطاني أندريو لانغ (1844م-1912م) قصصا خرافية لتسلية الأطفال باسم "كتاب الجنية الزرقاء" و "كتاب الجنية الحمراء".

وجدير بالذكر أن هذه القصص الخرافية والشعبية التي مر ذكرها في الفقرات السابقة أو لم تذكر بسبب خوف الإطالة سواء أكانت شرقية أوغربية وفرت كلها المواد الخصب لتسلية الأطفال وترفيهم حيث تعتبر محببة لدى الأطفال في جميع أنحاء العالم ويتهافت عليها الأطفال لأنها تعتمد على العجائب والغرائب والخوارق، وفيها أبطال من الجن والعفاريت والسحرة والكهنة الذين يقدرون على إنجاز الأعمال الخارقة التي تستهوي قلوب الأطفال وأذهانهم. إن كتابة القصص الخرافية وترجمتها باللغات العديدة لعبت دورا كبيرا في نشر ثقافات الأمم الأخرى وتزويد الأطفال بالمعلومات عنها عبر العالم. تقول الكاتبة الأمريكية باربارا زيد. كاتفر: "ورغم أن الأطفال لم يتمكنوا من الوصول إلى الحكايات الخرافية والشعبية من جميع أقطار العالم تقريبا حتى القرن العشرين. ومع ذلك، من المحتمل أن هذا النوع من الأدب كان النوع الأول الذي قام بتمثيل كافة ثقافات العالم وحضارتها لجميع الأطفال".³⁸³ أما الموضوعات الواردة في هذه القصص الخرافية للأطفال فهي متنوعة وتتمحور عامة حول القيم الإنسانية والخلقية مثل الصدق والأمانة والعدل والشجاعة والإيثار ومساعدة الآخرين وقيمة العمل الشاق وفضائل التعاطف والكرم والتواضع على رذائل الجشع والأنانية والاعتزاز المفرط وغيرها من المضامين التي لا تعد ولاتحصى. ويجري فيها على العموم الصراع بين الخير والشر، كما تنتهي معظمها دائما على انتصار الخير على الشر.

وقبل أن ينضج أدب الأطفال كاملا، كان من الضروري له أن يتخلى عن قيود وأغلال التعليم الأخلاقي التي كانت أكثر اهتماما بنقل الرسالة والدرس الأخلاقي من الجودة الأدبية. إن الكتب المؤلفة للأطفال حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا كانت تقدم للأطفال كل ما كان يعتقد الكبار بأنه جيد ومناسب لهم بصرف النظر عما استمتع الأطفال أنفسهم به ومالوا إليه.

³⁸² - Russell, David L., Literature for children: A short Introduction, P 10.
³⁸³ - Kiefer, Barbara Z., Charlotte Huck's Children's Literature, P 75.

وفي وقت لاحق من القرن التاسع عشر بدأ يبرز الكتاب الموهوبون الذين كانوا ملتزمين بكتابة القصص الممتعة للأطفال خلافا للحكايات الأخلاقية والتعليمية. إن العصر الفيكتوري الذي يعتبر العصر الذهبي الأول لأدب الأطفال شهد متغيرات أساسية وهامة في منهج الكتابة للأطفال حيث بدأت تتلاشى الألوان التعليمية والأخلاقية من صفحات أدب الأطفال وتحل محلها الصبغات الترفيهية من خلال قصص الفانتازيا ومغامرات الأطفال وقصص المدارس البريطانية والتطورات الحديثة في تقنيات إنتاجات كتب الأطفال المزينة بالصور والرسوم الخلابة التي تستهوي أذهان الأطفال وقلوبهم. إن مجد وفضل العصر الذهبي الأول لأدب الأطفال خلال العصر الفيكتوري يرجع، في الحقيقة، إلى قصص الفانتازيا التي كسرت كافة القواعد والضوابط السائدة لكتابة الأطفال في القرن التاسع عشر، وبلغت إلى أوج الكمال على يد البروفيسور للرياضيات في جامعة أكسفورد تشارلز دود جسون (1832م-1898م) الذي كتب قصة الفانتازيا الشهيرة "أليس في بلاد العجائب" تحت اسم المستعار "لويس كارول" في عام 1865م. يقول راسيل: "إن قصة "أليس في بلاد العجائب" التي هي فانتازيا غير عادية و مليئة بمزيج مبتهج من السخرية واللامعقول وخالية من التعاليم الأخلاقية تقريبا، تعتبر أول عمل أدبي هام للأطفال كسر قيود وأغلال اللون التعليمي تماما في أدب الأطفال"³⁸⁴.

تدور قصة "أليس في بلاد العجائب" الخيالية حول فتاة صغيرة تدعى "أليس" التي دفعها حب الاستطلاع والفضول إلى أن تسير وراء أرنب يتحدث ويمسك بساعة ليعرف الوقت. وعندما نزل الأرنب إلى حجره، وجدت "أليس" نفسها تنزلق وراءه بعيدا تحت الأرض إلى "أرض العجائب". في هذه الأرض العجيبة، تحدث أشياء عجيبة كثيرة مع "أليس" مثلا تشرب و تأكل بعض الأشياء التي تجعلها قصيرة جدا لكي تدخل أو تخرج من أبواب صغيرة جدا، ثم تعود لتصبح طويلة وتتفاعل مع شخصيات القصة العديدة مثل القطعة والدودة والدوقة والفأرة والأرنب وتحضر أيضا في هذه الأرض العجيبة إحدى المحاكمات لـ "ملكة ورق اللعب" التي كانت مولعة بإصدار الأوامر بقطع رقاب الناس، وتثور على قرارها المخالف للعدالة. وأخيرا تجد أليس نفسها راقدة على المقعد الذي كانت تجلس عليه قبل نزولها "أرض العجائب"، ورأسها في حجر أختها التي أيقظتها وهي تقول لها: "استيقظي يا أليس فقد طال نومك، وحن موعد عودتنا إلى البيت لتناول الشاي"³⁸⁵.

³⁸⁴ Russell, David L, Literature for Children: A short Introduction, P 13.
³⁸⁵ Carroll, Lewis, Alice's Adventures in wonderland P 180.

نالت قصة "أليس" شهرة واسعة وتمت ترجمتها إلى 71 لغة حول العالم ولا تزال تتصدر أكثر الكتب مبيعا حتى الآن. تعالج القصة موضوعات عديدة متعلقة بقضايا الأطفال وعوالمهم بعيدة من الجو التعليمي، ومن أهمها: النمو والتقدم في العمر والعقل (Growing Up) والتفكير والهوية وحب الاستطلاع والفضول وغيرها. احترم الكاتب لويس كارول طريقة الأطفال البريئة وغير المتحيزة للاقتراب من العالم. ومن خلال القصة أراد أن يصف كيف يرى الطفل عالم الكبار والبالغين كذلك، وتمثل القصة أيضا كفاح الطفل من أجل البقاء في عالم البالغين المربك، كما يتوجب على البطل "أليس" التغلب على الانفتاح الذي يتميز به الأطفال لفهم عالم الراشدين. عند دخولها "بلاد العجائب"، تواجه "أليس" طريقة للعيش والتفكير تختلف تماما عن بلدها، تعترم الدوقة دائما على إيجاد أخلاقية في كل شيء، والمحاکمات التي تبدو غير عادلة. ولكن من خلال الرحلة عبر بلاد العجائب، تتعلم "أليس" فهم عالم الكبار على نحو متزايد. في الحقيقة تكبر "أليس" سنا وعقلا خلال القصة كما يمثل هذا الموتيف أيضا من خلال التغييرات الجسدية من الانكماش والامتداد، والتي تعترى على البطل خلال القصة.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك موتيف "الهوية" الذي يرتبط بموضوع التقدم والنمو عقلا وسنا. تعاني البطل "أليس" من أهمية الهوية الشخصية وعدم استقرارها. تتلقى باستمرار الأوامر بتعريف نفسها من قبل المخلوقات التي تلتقي بها في بلاد العجائب، ولكن لديها أيضا شكوك حول هويتها. يقول عميد أدب الأطفال العربي الأستاذ يعقوب الشاروني في دراسة خاصة معنونة بـ "مقارنة بين أشهر روايتين للأطفال في الأدبين الإنجليزي والأمريكي: أليس في بلاد العجائب و ساحر أوز العجيب: "مع أن قصة "أليس" ظلت تعتبر من قصص الخيال اللامعقول، فإنه يمكن أن نرى أنها محاولة لاستكشاف جوهر الحياة الإنسانية بتصوير أليس في رحلة لاستكشاف الذات، والتعرف على ما يشوب المجتمع والتعليم من نقص يعيقان التفكير السليم في "عصر العقل" أو "عصر التنوير".³⁸⁶ كما تعالج القصة موضوع حب الاستطلاع والفضول الذي هو منتشر عبر القصة من البداية إلى النهاية.

وعلاوة على قصة "أليس في بلاد العجائب"، قدم الكاتب الأمريكي ايل. فرانك بوم (1856م-1919م) قصة فانتازيا أخرى شهيرة باسم "ساحر أوز العجيب" في عام 1900م. نالت

³⁸⁶ -الشاروني، يعقوب: مقارنة بين روايتين للأطفال في الأدبين الإنجليزي والأمريكي: "أليس في بلاد العجائب" و "ساحر أوز العجيب" ص 41.

الرواية شهرة على نطاق واسع بين الأطفال وتحدث عن قصة الفتاة الصغيرة "دوروثي" التي يحملها الإعصار إلى عالم أوز، وهو عالم خيالي يرسمه الكاتب فرانك بوم على نحو باهر. تبدأ البطلية "دوروثي" رحلة البحث عن الساحر أوز مع كلبها الموثوق به لكي يعيدها إلى بيتها، وتلتقي في طريقها بشخصيات القصة الأخرى مثل "خيال الحقل" (خيال المآة)، و "الرجل الصفيح"، و "الأسد الجبان"، وتصبح صديقة لهم، فيرافقونها للبحث عن الساحر العجيب، وكل واحد منهم يأمل في تحقيق أمنية خاصة تغير حياته.³⁸⁷ ومن أهم الموضوعات التي تدور الرواية حولها تشتمل على الحنين إلى البيت والعودة إلى المنزل الأصلي. وهذا الحنين يدل على هذه الحقيقة أنه لا يوجد هناك مكان مثل البيت والأسرة. ورغم أن البطلية تلتقي بالعديد من أطيّب الناس والأصدقاء خلال رحلتها وتحب أن تبقى في عالم السحر العجيب ولكنها ترغب دائماً في العودة إلى البيت في كانساس حيث يعيش عمها وخالتها.

تعالج القصة أيضاً مضمون الاكتفاء الذاتي والنفسي، يعتقد كل من خيال المآة والرجل الصفيح والأسد أنهم يفتقدون شيئاً ما في شخصيتهم بينما قد حصلوا عليه سابقاً بالفعل. يقول الأستاذ يعقوب الشاروني من خلال دراسته حول الرواية وموضوعها: "وتبدو الرواية مبنية على التناقض الذاتي"، فخيال المآة يبحث عن عقل يفكر به مع أنه كثيراً ما يقترح الأفكار الذكية طوال الرحلة، والرجل الصفيح أو المعدني يبحث عن قلب يشعر به مع أنه يبكي متأثراً من أنفه الأمور، أما الأسد فيبحث عن الشجاعة بالرغم من أنه بشجاعته أنقذ البطلية دوروثي عدة مرات.³⁸⁸ وبالإضافة إلى هذا، تتطرق الرواية إلى أهمية الصداقة وانفتاح وفضول الطفولة والفضائل الأمريكية التقليدية من العمل الجاد والتواضع والثبات والبساطة وانتصار الخير على الشر.

قفز أدب الأطفال قفزات نوعية وكمية في القرن العشرين الذي يعتبر الكثير من النقاد نصفه الأخير كعصر ذهبي ثاني لأدب الأطفال في العالم الغربي.³⁸⁹ شهد القرن العشرون تطورات ومتغيرات واتجاهات متعددة النواحي في مجال أدب الأطفال من ناحية المضمون والموضوع والنوع الأدبي والطباعة وسوق النشر للأطفال. مع طلوع شمس القرن العشرين، تم

³⁸⁷ - Baum, L. Frank, The wonderful wizard of Oz, George M Hill Company, USA, 1900.

³⁸⁸ - الشاروني، يعقوب: مقارنة بين روايتين للأطفال في الأدبين الإنجليزي والأمريكي: أليس في بلاد العجائب و ساحر أوز العجيب ص 39.

³⁸⁹ - Russell, David L, Literature for children: A short Introduction, P 23.

الاعتراف بالجودة الأدبية والفنية في الكتب الموجهة للأطفال، وبرزت المئات³⁹⁰ من الجوائز العالمية للمؤلفين والرسامين المتفوقين لمساهماتهم الممتازة في أدب الأطفال مثل جائزة "وسام نيويورك" عام 1922م في الولايات المتحدة، وجائزتي "وسام كارنيجي" عام 1936م و"وسام كيت غريناواي" عام 1955م في بريطانيا العظمى، و"جائزة هانز كريستيان أندرسن" من قبل المجلس الدولي لكتب الشباب عام 1956م في سويسرا، و"جائزة استريد ليندغرين التذكارية" التي هي أكبر جائزة عالمية لأدب الأطفال³⁹¹ وتصل قيمتها خمسة ملايين دولار أمريكي عام 2002م في السويد وغيرها الكثير من الجوائز والوسامات التي وفرت الحوافز والدوافع العالية لدخول الكتاب والرسامين في مجال أدب الأطفال بصورة جدية. وشهدت الأسواق الغربية أيضا نموا متزايدا في صناعة نشر كتب الأطفال حيث أسست أقسام ودور النشر الخاصة للأطفال، بالإضافة إلى فتح المكتبات العامة الخاصة للأطفال على نطاق واسع. في دراسة خاصة معنونة بـ "الاتجاهات الحالية في أدب الأطفال" تقول الخبيرة الأمريكية في مجال أدب الأطفال باربارا ايليمان: "إن السنوات بين عام 1960م و1985م ستكون مهمة في دراسة مستقبلية لأدب الأطفال بسبب عاملين قاما بتوسيع وتغيير جذري في مجال كتب الأطفال، الأول: التغيرات في قطاع نشر كتب الأطفال، والثاني: التغيرات في المناخ الاجتماعي والسياسي للبلاد".³⁹²

وعلاوة على اهتمام متزايد بقصص الفانتازيا والقصص المصورة الخلابية والقصص الشعبية والأشعار الجميلة للأطفال في القرن العشرين، شهد أدب الأطفال بروز أنواع جديدة من أشكال أدب الأطفال مثل القصص التاريخية، و"الخيال العلمي" (Science Fiction)، والكتب غير الخيالية (Nonfiction Books)، و"السير الذاتية للشخصيات البارزة والأبطال الوطنيين، و"قصص الأطفال العالمية حول الثقافات والحضارات الأخرى. إن حركة الحقوق المدنية في أمريكا خلال الخمسينات والستينات من القرن العشرين لعبت دورا كبيرا في تناول القضايا العرقية وتقديم الثقافة الأمريكية الإفريقية في أدب الأطفال. في عام 1967م، كتبت الكاتبة الإفريقية والأمريكية الحائزة على جائزة "نيويورك" وجائزة "هانز كريستيان أندرسون" فرجينيا هاميلتون (1936م-2002م) قصة باسم "زيلي". تتحدث القصة عن رحلة صيفية تقوم بها فتاة إفريقية

³⁹⁰ - Russell, David L, Literature for children: A short Introduction, p 23.

³⁹¹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 24.

³⁹² - Elleman, Barbara, Current Trends in Literature for Children, P 413.

أمريكية إيليزابيث مع أخيها جون إلى منزل ريفي لعمها روس. وخلال مكثها في بيت عمها تنشأ علاقة شقيقة بينها وبين فتاة تدعى "زيلي" التي تسكن مع والدها في بيت عمها. إن القصة هي أول عمل أدبي للأطفال، يقدم نظرة إيجابية وحقيقية على تاريخ السود وثقافتهم لأن الكتاب يشجع القراء على تعلم وتقدير أنفسهم وتاريخهم من خلال تجربة البطلة التي يزيد وعيها العرقي والعنصري بمرور الأيام في القصة. يقول ديفيد ايل. راسيل: "في نهاية المطاف، أثرت حركة الحقوق المدنية بالولايات المتحدة في أدب الأطفال الذي كان يركز أساساً على الأطفال البيض حتى الستينات من القرن العشرين، ظهر أبطال قصص الأطفال في جميع الألوان بحلول نهاية القرن العشرين".³⁹³

وعقب بروز الواقعية الحديثة في أدب الأطفال واشتداد الحركة النسائية في العالم الغربي حدث تغير جذري آخر فيما يتعلق بالنمطية السائدة حول البنات ودورهن في قصص الأطفال. تقول الأستاذة برنيس كوليمان: إن أدوار النسوة كانت توجد بصورة نمطية. لم يصور أحد امرأة كطبيبة أو رجلاً كمرضة. كانت البنات منصات، وقفن في أماكنهن وشاهدن بينما فكرت شخصية الذكور في الحل الإبداعي للمشكلة، حتى عندما أخذ الكاتب الأمريكي الشهير سكوت أو ديل (1898م-1989م) مخطوطة لقصته "جزيرة الدولفين الزرقاء" إلى الناشرين، رفض العديد منهم المخطوطة وقال للكاتب إن الشخصية المركزية في القصة ينبغي أن تكون طفلاً.³⁹⁴ ولكن هذه النمطية التي مازالت سائدة لوقت طويل حول البنات والشخصيات النسائية في أدب الأطفال بدأت تتحطم وتتكسر في السنوات الأخيرة ونحن نشاهد الآن أن البنات يبرزن كبطلات وشخصيات رئيسية قوية في الروايات الشهيرة مثل بطلة "أليس" في قصة "أليس في بلاد العجائب" وبطلة "بيبي" في قصة "بيبي ذات الجوارب الطويلة" للكاتبة السويدية أستريد ليندغرين (1907م-2002م) على سبيل الاستقلال أو مع الأطفال وظلالهم مثل بطلة "هيرميون غرينجر" في سلسلة رواية "هاري بوتر" وغيرها الكثير من الشخصيات النسائية الصغيرة في الأعمال الأدبية الموجهة للأطفال. ومع ذلك، هناك حاجة شديدة إلى نشر الوعي المزيد بين كتاب وناشري أدب الأطفال بما يتعلق بإعطاء البنات والفتاة فرصة مزيدة لكي تتمكن من الخروج من النمطية وتلعب أدواراً رئيسية في قصص الأطفال.

³⁹³ Russell, David L, Literature for children: A short Introduction, P 22.
³⁹⁴ Cullinan, Bernice E, Reality reflected in Children's literature, P 415.

بعد الحرب العالمية الثانية شهد أدب الأطفال الغربي تغيرا مذهلا في الموقف تجاه الأطفال. إن إنهيار الأنظمة الاستبدادية في نهاية الحرب أيضا أدى إلى القضاء على النظم الطبقيّة القديمة. وفي نفس الوقت، كانت الاشتراكية بدأت تحظى بشعبية كبيرة على مستوى الحكومة والشعب في بعض البلدان الغربية، وكان التعليم يعتبر كوسيلة هامة للتغلب على الجهالة والقضاء على التعصب الذي أدى إلى وقوع الحرب والخسائر الفادحة في الأرواح والممتلكات. ساعدت الدراسات الحديثة في مجالات علم النفس الطفلي خاصة النظريات والأفكار التي أتت بها عالم نفس الطفل السويسري جان بياجيه (1896م-1980م) حول المراحل الأربع لنمو ذكاء الطفل، والتقدمات في تعليم الطفولة المبكرة مثل البرامج التعليمية التي قدمها الطيبية والتربوية الإيطالية الشهيرة ماريا مونتيسوري (1870م-1952م) التي بدأت أعمالها في الحقيقة في أوائل القرن التاسع عشر على إعادة التركيز على تطوير الطفل كفرد مستقل. وبالإضافة إلى هذا، أدت العوامل الأخرى التي ذكرها الكاتب الأمريكي راسيل ديفيد. ايل في كتابه "الأدب للأطفال: مقدمة قصيرة"³⁹⁵ من تعزيز الوحدات الأسرية، وتطور التكنولوجيا السريع، وارتفاع حالة النساء، ونمو الطبقة المتوسطة وتشريع التعليم الإلزامي في بريطانيا والولايات المتحدة، وإعلان "حقوق الطفل" و"التعليم للجميع" بالأمم المتحدة إلى قفزة نوعية في أدب الأطفال، وتزايد اهتمام الناس بالطفولة والأطفال وعالمهم الخاص، وتقديم المواد والموضوعات التي يحتاج إليها الأطفال في مراحل نموهم المختلفة لفهم أنفسهم وكل ما يحيط بهم من المشاكل والتحديات في حياتهم الحالية والقادمة في جو من التسلية والصداقة بدلا من فرض السلطة الأسرية والأساليب المجتمعية الخاطئة على تربية الأطفال وأدبهم.

وفي عام 1946م، نشر الدكتور بينجامين سبوك (1903م-1998م) كتابا باسم "كتاب الحس السليم عن الطفل ورعاية الأطفال". أحدث هذا الكتاب ثورة في مجال التربية ورعاية الأطفال وقام بتغيير وجهات نظر الناس وأفكارهم السائدة في ذلك الوقت تجاه الأطفال، وسلط الضوء على الكيفية والطرق التي ينبغي اتباعها للناس عند القيام بمسئولياتهم تجاه تعليم وتربية الأطفال. كان بينجامن سبوك يتمتع بنفوذ على نطاق واسع واستخدم بينجامن هذا النفوذ لتأييد الحاجات الشخصية للأطفال فوق متطلبات المجتمع. وفي الأيام القادمة، قام هذا النوع من الفكرة

Russell, David L., Literature for children: A short Introduction, P 12. -³⁹⁵

بتغذية الحملات والحركات لتمكين الأطفال في غرفة الدرس ودعم حقوق الأطفال في النظام القانوني، وفي الحقيقة، مازالت تسيطر ثقافة الشباب على المجتمع الغربي منذ نصف القرن الماضي.

إن الدراسة العميقة لمراحل نمو الأطفال المختلفة ونفسياتهم خاصة خلال فترة المراهقة ومرحلة الطفولة الأخيرة عن كثب، وإدخال أدب الأطفال على مستوى الشهادة في الجامعات، وتكثيف النقاشات والبحوث حول حاجات الأطفال الأساسية في كتب الأطفال بالمؤتمرات المحلية والدولية والتحولت السياسية والاقتصادية ومشاكل البيئة على المستوى المحلي والعالمي وظهور المنظمات الدولية غير الربحية في مجال حقوق الأطفال ورعايتهم وتنفيذ برامج حقوق الأطفال المعاقين بالحكومات وثقافة المجتمع الغربي المفتوحة وغيرها من العوامل الأخرى أدت كلها إلى تنوع كبير في موضوعات أدب الأطفال. مع ازدياد الروايات التاريخية المعنية بالقضايا الاجتماعية بدلا من القضايا الشخصية، أنتج الكتاب كتباً غير خيالية بوفرة لإرضاء فضول الأطفال عن طلب المعلومات حول كل شيء "لأن الأطفال يتمتعون بالحقائق ويقبلون بلهفة معلومات مقدمة إليهم بطريقة مباشرة"³⁹⁶.

وفي هذه الفئة، ظهرت الكتب مثل "الأرض لسام" و"النجوم لسام" للكاتب الأمريكي دبليو. ماكسويل ريد (1871م-1962م)، وكتاب "البركان والزلازل" لباتريسيا لأوبير عام 1986م، وكتاب "كم هو مليون واحد؟" لديفيد ايم. شوارتز عام 1985م وغيرها الكثير من الكتب المعلوماتية غير الخيالية. إن الكتب ضمن هذه الفئة تقدم معلومات قيمة حول المظاهر الطبيعية من السماء والأرض والأمطار والزلازل والمحيط والسفينة الفضائية وأنواع الحيوانات والنباتات وطبيعتها وغيرها بأسلوب علمي وظريف. تقول باربارا ايليومان: "لعل الكتب المعلوماتية قد مرت بأكبر تغيرات وثورات بالنسبة إلى أنواع أدب الأطفال الأخرى. إن الأسس العلمية والاهتمام الصادق على جانب المؤلف تضمن بالموثوقية وتعكس الحماسة لموضوع يشجع شعور الاستكشاف من قبل القارئ. وفي هذه الأيام، قد أدى المنهج الجدي والكتابة العميقة حول الموضوعات المعلوماتية إلى وضع

³⁹⁶ - Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 74.

الكتب المعلوماتية في فئة "أدب الجودة والنوعية".³⁹⁷ وجدير بالذكر أن هذا النوع من الكتب يفوز بأكبر الجوائز لأدب الأطفال مثل جائزة "وسام نيوبري" وغيرها في الأيام الراهنة³⁹⁸.

وضمن الكتب غير الخيالية بدأ المؤلفون يكتبون السيرة الذاتية للشخصيات الشهيرة لإرضاء رغبة الأطفال في حياة الأبطال الوطنيين. ظهرت الكتب المصورة الجذابة حول سيرة الرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن، وابراهيم لنكون، والبطلة الوطنية بوكاهونتاس وغيرها الكثير من الترجمات الذاتية للشخصيات الشهيرة. في البداية، كان هناك اتجاه سائد بين الكتاب لتقديم المعلومات حول الشخصيات المثالية في ضوء الحقائق الإيجابية فقط ولكن مع مرور الأيام بدأ المؤلفون يقدمون السيرة الذاتية للأطفال بعد إجراء بحث دقيق حول الموضوع.³⁹⁹ في عام 1973م، كتبت الكاتبة الأمريكية الحائزة على الجائزة الوطنية لكتب الأطفال غير الخيالية جان فريتز (1915م-2017م) سيرة ذاتية لمحبه وطن في الثورة الأمريكية "بول ريفير" باسم "وماذا حدث بعد ذلك، يا بول ريفير؟"، نال هذا الكتاب شهرة واسعة بين الأطفال وأولياء أمورهم بسبب تقديمه المعلومات المبنية على البحث الدقيق حول الشخصية.⁴⁰⁰ إن السيرة الذاتية تعتبر واحدة من أنواع أدب الأطفال التي قدمت ترجمة حياة الأشخاص من جميع الألوان والأعراق للأطفال، فظهرت في الأربعينات من القرن العشرين السيرة الذاتية للشخصيات العالمية مثل رئيس الوزراء الهندي الأول البندت جواهرلال نهرو والزعيم الصيني سون يات سين للأطفال.⁴⁰¹

وفي ظل سيطرة ثقافة الشباب في العالم الغربي في القرن العشرين ظهرت لليافعين روايات واقعية تعالج قضايا اليافعين ومشاكلهم النفسية والاجتماعية والسلوكية من أزمة الهوية، وزيادة الاعتماد على مجموعة الأقران، والميل إلى الارتباط بالجنس الآخر، والتعامل مع الشعور بالعزلة، وقبول التغيرات الفسيولوجية والجنسية الناشئة، وإعادة التفاوض على العلاقة مع الوالدين وغيرها الكثير من قضايا المراهقة. وطبقا للباحث الأمريكي أبريل دان ويلز الذي قام بدراسة وتحليل الموضوعات المتواجدة في اثنتي عشرة رواية موجهة لليافعين بين عام 1980م وعام 2000م، ورد سبعة عشر موضوعا من الصداقة، والوقوع في مشكلة، وبلوغ سن الرشد، والميل

³⁹⁷ - Elleman, Barbara, Current Trends in Literature for Children, 422.

³⁹⁸ - Ibid, P 424.

³⁹⁹ - Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 75.

⁴⁰⁰ - Ibid, P 75.

⁴⁰¹ - Ibid, P 75.

إلى الجنس الآخر، والقلق على الدرجات في المدرسة، والعرقية، والمشاكل مع الوالدين والأجداد، والموت، والطلاق وغيرها المتعلقة بتنمية المراهقين.⁴⁰² إن المواضيع الأكثر شيوعاً في القصص والروايات الموجهة لليافعين تدور عامة حول قلقات بلوغ سن الرشد والتقدم في العمر والصدقة. في عام 1970م، ظهرت رواية "Are you there God? It's Me, Margret." للكاتبة الأمريكية جودي بلوم (1938م-...). بالإضافة إلى صعوبة تواجهها البطلة في ارتباطها بدين خاص بسبب انتماء والديها إلى المسيحية واليهودية، تتحدث القصة عن مكافحة مارغريت عن هويتها وقلقات عاشتها في سن البلوغ حيث تناقش الصديقات حول الأطفال وحمالات الصدر والطمث. تنتظر الفتيات بفارغ الصبر دورتهن الشهرية الأولى ويستعدن مسبقاً عن طريق شراء الفوط والمناديل الصحية. إن الكاتبة تستخدم عنصر الفكاهة في الرواية لنزع فتيل صعوبة مواقف الحياة الحقيقية التي تواجهها الفتيات المراهقات خاصة فيما يتعلق بتطور أجسادهن وتغيرها، وقلقتهن بشأن ارتداء حمالات الصدر والحصول على دورتهن الشهرية الأولى.⁴⁰³

ورغم أن بعض المربين والنقاد يعترضون على تناول الموضوعات الحساسة والصعبة في أدب الأطفال بدليل أنه توجد هناك تقاليد في أدب الأطفال لحماية الأطفال وتربيتهم في بيئة آمنة وسلمية كما تقول الناقدة الأمريكية باربارا هاريسون حول موضوع الحرب التي هي من إحدى الموضوعات الحساسة: "إن الكتب حول موضوع الحرب تذهب ضد مبدأ أساسي لأدب الأطفال وهو حماية الأطفال من الحقائق القاسية".⁴⁰⁴ ولكن الأدباء المعاصرين يعتقدون بأن أدب الأطفال في عصر العولمة قد أصبح قادراً على تناول كل ما يخطر على البال من موضوعات، وتكمن موهبة الكاتب في طريقة وأسلوب هذا التناول بما يتناسب مع قدرة الطفل على الفهم والاستيعاب في جو من التسلية والمتعة. وفوق كل ذلك، هناك اعتقادات وأحاسيس (العلاج بالقراءة) بأن الأطفال سيطورون سلوكيات المواجهة ومهارات التكيف عندما يقرأون عن الآخرين الذين نجوا من مشاكل مماثلة لمشاكلهم. ويقول الرسام الفيتنامي للحرب والطفولة المثالية إدوارد أريزونو (1979م-1900م): "أعتقد أننا ربما نميل في قراءة الطفل إلى إيوائه أكثر مما ينبغي من الحقائق الصعبة للحياة. إن الحزن والفشل والفقر وربما حتى الموت إذا تم التعامل مع هذه القضايا بأسلوب شعري وعاطفي، فمن المؤكد أنه يمكن تقديمها للطفل بدون إلحاق أي أذى به، وإذا لم تكن هناك

⁴⁰² Wells, April Dawn, Themes found in young Adult Literature: A comparative study Between 1980 - 2000, P 4.

⁴⁰³ Blume, Judy, Are You there God? It's me, Margret, 1970.

⁴⁰⁴ Fox, Carol and Hunt, Peter, War, International companion Encyclopedia of children's literature, P 500.

أي إشارة إلى العالم الصعب في هذه الكتب الموجهة للطفل، فأنا لست متأكدا من أننا نلعب بشكل عادل".⁴⁰⁵ وقصارى القول أن أدب الأطفال في العالم الغربي قفز قفزات نوعية في العقود الخمسة الأخيرة من حيث المحتوى والشكل، واتسعت دائرة موضوعاته ومضامينه حتى شملت موضوعات حساسة وجديدة لم يتم التطرق إليها من قبل الكتاب. وفي الصفحات التالية نشير إلى بعض أهم الموضوعات الحساسة والجديدة في أدب الأطفال الغربي بغاية من الإيجاز.

الموضوعات الحساسة والجديدة بعد منتصف القرن العشرين

إن الواقعية الجديدة في أدب الأطفال بعد منتصف القرن العشرين مهدت الطريق إلى تناول موضوعات صعبة وشائكة كان يتجنبها الآباء والمربيون من التحدث عنها مع الأطفال في البداية، ولكن الآن يتناولها الكتاب في كتاباتهم بكل جرأة وصراحة لتطوير نكاه الأطفال العاطفي وللإجابة المقنعة على أسئلتهم البريئة عن كل ما يسمعونه ويشاهدونه على التلفزيون والبيئة المحيطة بهم، وتزويدهم بمهارات التأقلم والتغلب على مشاكلهم النفسية والذاتية والاجتماعية بالإضافة إلى التطرق إلى موضوعات جديدة يعتبرها الكتاب مفيدة وضرورية للأطفال مثل المحافظة على البيئة، والتوعية السياسية والاقتصادية والتعرف على الثقافة العالمية والحرب والإرهاب والتسامح وغيرها من الموضوعات لإعداد جيل جديد سيني عالما مثاليا. بعد حضور حلقة النقاش مع أعضاء رابطة كتاب أدب الأطفال حول "الاتجاهات الحديثة في موضوعات أدب الأطفال" بمدينة نيويورك في عام 2009م، يكتب عميد أدب الأطفال العربي الأستاذ يعقوب الشاروني حول اتجاه جديد في موضوعات أدب الأطفال بهذه الكلمات: "الموت، والطلاق، ووجود أخ في الأسرة معاق أو متخلف عقليا، ومرض أحد الوالدين مرضا طويلا يجعل الشخص عاجزا عن خدمة نفسه، وفقد الأب لوظيفته أو تعرضه لحملة تشهير ظالمة، كل هذه كانت موضوعات محرمة في أدب الأطفال، لكن كتاب الأطفال وجدوا الطرق التي يستطيعون أن يكتبوا بها للأطفال مهما كان الموضوع حساسا أو شائكا".⁴⁰⁶ وفي السطور الآتية نذكر بعض أهم الموضوعات الحساسة والجديدة في أدب الأطفال الغربي.

⁴⁰⁵ - Fox, Carol and Hunt, Peter, War, International Companion Encyclopedia of children's literature, P 499.

⁴⁰⁶ - الشاروني، يعقوب، أدب الأطفال: فن وعلم، ص 5.

الموت

إن أدب الأطفال هو مرآة المجتمع ويعكس في معظم الأحيان مشكلات المجتمع وتعميقاته وأفراحه وأحزانه. والموت هو موضوع صعب وشائك يتجنبه معظم الآباء والأمهات من التحدث عنه مع الأطفال بسبب خوفهم الذاتي والمفاهيم الخاطئة والرغبة الشديدة في الرفض عن نهاية الحياة الحتمية⁴⁰⁷، بالإضافة إلى وعي متزايد بحماية الأطفال من موضوع مؤلم. تقول الكاتبتان المشتركتان في مقالة معنونة بـ "الموت في أدب الأطفال: موضوع محرم أم لا؟": "إنه في القرون الماضية عندما كانت معدلات وفيات الرضع عالية وشائعة في المجتمعات كان شبح الموت المظلم يلقي الكآبة والبؤس في كتب الأطفال. وعندما بدأ الصغار والكبار يعيشون لفترة أطول أصبح موضوع الموت من المضامين المحرمة في الكتب الموجهة للصغار والناشئين"⁴⁰⁸. وجدير بالذكر أن تناول موضوع الموت في كتاب "رمز للأطفال" من قبل الكاتب البريطاني خلال القرن السابع عشر يختلف تماما من معالجة موضوع الموت في الكتب الحديثة الموجهة للأطفال في عصرنا هذا من حيث الهدف والغرض. إن جيمس جانوي كان يهدف أساسا إلى غرس القيم الدينية والروحية في الأطفال في جو من التخويف والترهيب كما يقول نفسه في مقدمة كتابه: "أيها الطفل المسكين! كيف تأثرت في قراءة هذا الكتاب؟ هل ذرفت دمعة منذ أن بدأت القراءة؟ هل كنت على ركبتيك من تلقاء نفسك؟ وتوسل أن يجعلك الله مثل هؤلاء الأطفال المباركين؟ أم أنت على ما قد اعتدت عليه دائما مثل الطفل المتهور والأحمق والعاصي والشرير"⁴⁰⁹، بينما يتطرق الكتاب المعاصرون إلى موضوع الموت في أدب الأطفال بأسباب أخرى سنذكرها في السطور الآتية.

هذه حقيقة أن الموت هو أمر يقيني لامفر منه ومن المؤكد أن الأطفال سيواجهون في حياتهم موت أحد أعضاء أسرهم من الجد والجدة والأب والأخ أو أحد أصدقائهم في المدرسة والقرية أو موت إحدى الحيوانات الأليفة فالتهرب الكامل من تناول فكرة الموت وتقبله مع الأطفال وعدم الإجابة على أسئلتهم عن الميتين وعدم اتخاذ التدابير للتغلب على أحزانهم وعواطفهم بطريقة صادقة وحقيقية، سيؤدي إلى إلحاق الأضرار بتتمية الأطفال العاطفية والعقلية وكبح حصول

⁴⁰⁷ - Moss, Judith P, Death in children' Literature, P 530.

⁴⁰⁸ - Gibson, Lois Rauch and Zaidman, Laura M., Death in Children's Literature: Taboo or Not Taboo, p 232.

⁴⁰⁹ - Janeway, James, A token for Children, P 4.

الطفل على موقف ناضج تجاه الحياة البشرية ومسااعيها. تشير الدراسات الحديثة في مجال علم نفس الطفل إلى أن الأطفال يمرون مثل الكبار بمشاكل عاطفية ووجدانية ويشعرون بالحزن والقلق عند وقوع حادث مزعج وغير سار في الأسرة وخارجها، ويحتاجون إلى شخص ما لتقاسم أحزانهم وقلقاتهم. عندما يموت شخص قريب من الطفل في الأسرة مثل الجدة أو الجد وغيره من الأشقاء والأصدقاء أو يفقد طفل صغير حيوانه الأليف فيظهر كل طفل ردود فعلهم المختلفة من البكاء وطرح الأسئلة عن الموت والميتين والمفقودين أو عدم إظهار أي رد فعل مطلقا حسب عمرهم وقربتهم بالشخص الميت أو تعلقهم بالحيوانات الأليفة. يقول بعض الخبراء إنه توجد هناك أيضا بعض المفاهيم الخاطئة بين الأطفال والأسرة حول الموت والفقدان. وعلى سبيل المثال، يزعم بعض الأطفال أن إظهار الحزن والأسف عند موت شخص هو عمل الجبان أو أنهم مسئولون بطريقة ما عن الموت لأن الشخص الميت غادرهم بسبب عدم حبهم له أو بالعكس أو أن الأطفال لا ينبغي لهم أن يتحدثوا عن الموت والميتين.⁴¹⁰ كما تفرط بعض الأسرة في حماية الأطفال ولا تتحدث عن الموت أو فقدان أحد أفراد الأسرة مع الأطفال بل تخفي أسرار الموت والفقدان عنهم أو تستخدم كلمات غامضة وعبارات ملطفة مثل "الجدة تنام أو تستريح" هربا من الواقع والأمانة.

ومن البديهي أن هذا النوع من نهج الأسرة أو أفرادها تجاه التعامل مع الأطفال في وقت مؤلم ومؤسف عندما يحتاجون بشدة إلى التعبير عن عواطفهم وأحزانهم والتغلب عليها، سيؤدي إلى تأثيرات سلبية على تنمية مهارات نكاء الأطفال العاطفي وقدراتهم النفسية والتعبيرية. بعد ظهور الواقعية في أدب الأطفال وتغير نظرة المجتمع تجاه الأطفال وحاجاتهم الخاصة في القرن العشرين بدأ الكتاب يكتبون عن موت وموضوعات صعبة أخرى في أدب الأطفال بأمانة وواقعية أكبر هادفين إلى تقديم الحياة مع حلوها ومرها في العالم الحقيقي أمام الأطفال، وتوفير الحلول لمشاكل الأطفال بواسطة استخدام "العلاج بالقراءة" في أدب الأطفال. إن أدب الأطفال الذي يهدف أساسا إلى تربية الأطفال وتنميتهم الشاملة في جو من التسلية والمتعة، فمن الممكن أن يساعد أيضا الأطفال والصغار في التعامل مع مواقف وأوضاع الحياة الصعبة. تقول الكاتبتان المشتركتان غيسون وزيدمان: "ورغم تحذيرات (الموت) نعتقد بشدة أن الموت هو من أهم الموضوعات في أدب الأطفال وينبغي أن لا يتجنب الكتاب من معالجته في كتاباتهم الموجهة للأطفال بسبب

⁴¹⁰ Moss, Judith P, Death in Children's literature, P 532.

صعوبة الموضوع لأن الأطفال والناشئين سيتخذون من خلال قراءة القصص ذات المضامين والموضوعات المبنية على الموت دروساً قيمة حول التقنيات والاستراتيجيات لعبور الصدمات العاطفية".⁴¹¹

هناك قصص لاتعد ولاتحصى، تعالج موضوع الموت في أدب الأطفال الغربي. في قصة "الطائر الميت"⁴¹² الصادرة في عام 1958م بعد وفاة مؤلفها وتمت إعادة إصدارها مع الرسوم التوضيحية الجديدة في عام 2016م، تحاول الكاتبة مارغريت وايز براؤون (1910م-1952م) من خلال هذه القصة المصورة الصغيرة تسليط الضوء على العواطف المتعلقة بالموت للأطفال المنتمين إلى الجنسية والعرقية المتنوعتين. تتحدث القصة عن مجموعة من الأطفال الذين يجدون في حديقة حضرية مورقة طائراً يرقد على جانبه بدون نبضة القلب وكانت عيناه مغلقتين. يشعر الأطفال بأسف للغاية، وقرروا أن يقولوا وداعاً له. في الحديقة، قاموا بحفر حفرة للطائر ويغطونه بالأزهار، وأخيراً، يغنون أغاني حلوة لوداع الطائر الصغير. إن القصة تقدم فكرة الموت للأطفال وتثير فضولهم كما تقدم لهم فرصة للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بأسلوب ممتع وجذاب. وقصة "غروفر" الصادرة في عام 1970م للكاتبتين الأمريكيتين بل كليفر وفيرا كليفر تعالج موضوع الانتحار في أدب الأطفال. تتحدث القصة عن ولد يدعى غروفر تنتحر أمه لتجنب مرض طويل وقاتل. في المشاهد الأولى من الرواية، يشعر البطل البالغ 10 سنوات من عمره بأن الكبار يحاولون لإخفاء شيء مهم منه. وأخيراً، يدرك غروفر السر والخداع، ومن خلال المساعدة التي يقدمها أصدقائه وخادمة البيت يتصالح البطل تدريجياً مع الخسارة ويتكيف معها عن طريق القيام بأعمال يومية. تقترح الرواية بأنه من الأفضل أن يتم إخبار الأطفال عن أزمات الأسرة بكل صراحة بدلاً من تركهم حتى يتخيلوا عن أسوأ منها.

ورغم أن هذه الرواية موجهة للأطفال ولكنها تتحدث أيضاً عن مرض "اضطراب حزن طويل" يعانیه العديد من الأشخاص إثر وفاة أحد أفراد الأسرة. كان والد غروفر قد أصاب بهذا المرض بعد وفاة زوجته حيث يطيل وقت الحداد، ولا يرغب في بداية الحياة من جديد من خلال إصراره على الاحتفاظ بغرفة زوجته الميتة كما كانت عندما كانت على قيد الحياة. ومما لاشك في أن موت وفقدان عزيز هو من أكثر الأمور أسفاً وأشدّها إيلاماً على أفراد الأسرة ولا يمكن نسيان

⁴¹¹ Gibson, Lois Rauch and Zaidman, Laura M., Death in Children's Literature: Taboo or Not Taboo, p 233.

⁴¹² Brown, Margret Wise, The Dead Bird, New York, USA, 2016.

عزيز أو ذكرياته بسهولة ولكن الحياة لا تتوقف بعد ذلك، فيتوجب على الأهل أن يعودوا إلى واقع حياتهم اليومية بدلا من سكب الدموع وبقاء في دائرة الحزن المستمر كما يفعل والد غروفر في القصة. وتعليقا على تناقض في سلوك البطل ووالده تجاه التكيف مع الحياة في الرواية تقول جوديث بي. موس: "لعل هذه محاولة لوضع هذه الرواية الحساسة في العمل الاختباري، ولكنني أعتقد بأن الطفل الذي يقرأ هذه الرواية سيكتسب رؤية عميقة حول عملية الحزن وسيدرك بأن الكبار يمكن أن يكونوا قادرين على ارتكاب حماقات في الآلهم الخاصة".⁴¹³

في عام 2002م، نشرت الكاتبة البريطانية جوديث كير (1923م-2019م) قصة باسم "وداعا موغ" لمعالجة موت قطة أليفة تدعى "موغ". ورغم أن القصة تتعلق بموت قطة، ولكن قدرة الكاتبة على تصوير التعب الذي تعانيه القطة واستعدادها للمغادرة وحبها المستمر للعائلة بشكل جميل تساعد الأطفال الذين يعانون من أي خسارة في التعامل معها عن طريق قبول الموت بقلوب مفتوحة وتذكر ذكريات الميت الحلوة. إن رغبة قطة موغ الشديدة في أن تكون العائلة سعيدة بعد رحيلها تجع قلوب القارئ. وبالإضافة إلى هذا، نجد أيضا موتيف الموت والخسارة في سلسلة فانتازيا الشهيرة "هاري بوتر" للكاتبة البريطانية جيه. كيه. رولنج حيث تفتتح الرواية بموت والدي البطل هاري بوتر.

وأخيرا نذكر بهذا الصدد كتابا غير خيالي ألف لمناقشة فكرة الموت وألمه مع الأطفال الصغار باسم "أنا أشتاق إليك: نظرة أولى على الموت"⁴¹⁴ للطبيبة النفسية الأمريكية بات توماس. هذا الكتاب موجه لأطفال المدارس الابتدائية والمتوسطة مع بعض الملاحظات والإرشادات للمعلمين وأولياء الأمور. يشرح الكتاب للأطفال معنى الموت وأسبابه المختلفة من الشيخوخة والأمراض والحوادث المؤلمة غير المتوقعة. يتحدث أيضا عن مراسم الجنازة والمشاعر الحزينة التي يشعر بها الأطفال عند وفاة أحد أفراد الأسرة وكيفية التعامل معها. يساعد الكتاب الأطفال على فهم أن الموت هو جزء طبيعي للحياة وأن شعورهم بالحزن والقلق هو أيضا أمر طبيعي سيزول مع مرور الأيام. وبذلك القول إن الكتاب الغربيين يكتبون بوفرة وكثرة حول الموت بكل أمانة وصدقة لمساعدة الأطفال على فهمه والتعبير عنه، ولم يعد الموت موضوعا محرما في أدب الأطفال الغربي في عصرنا الراهن.

⁴¹³ - Moss, Judith M, Death in children's literature, P 531.

⁴¹⁴ - Thomas, Pat, I Miss You: A first look at Death, California, USA, 2000.

الطلاق

إن الطلاق أو انفصال الوالدين هو مشكلة اجتماعية عامة وتوجد هذه الظاهرة في كافة المجتمعات للعالم سواء أكانت غربية أو عربية. ومما لا ريب فيه أن الطلاق هو أمر مؤلم ومدمر لكل من يتأثر به مباشرة أو غير مباشرة، يحدث في معظم الأحيان بسبب علاقة مريرة بين الزوجين ويؤدي إلى تفكيك الأسرة وانتشارها. ولكنه من الحقيقة أيضا أن بعض الزوجين أحيانا يصلان في حياتهما الزوجية إلى نقطة حيث لا يبقى لهما خيار سوى الطلاق والانفصال. وبصرف النظر عن التأثيرات السلبية الاجتماعية والنفسية للطلاق على الزوجين، من المؤكد أن الطلاق يترك آثارا سلبية على تنمية الأطفال من النواحي المختلفة حيث يمرون بمشاكل وعواطف صعبة مثل الشعور بالحزن والعار والذنب والخوف والغضب والارتباك أو يشعرون بقلق بشأن من يقوم بالاعتناء بهم بعد الطلاق. فمن واجبات الوالدين والأسرة والمربين أن يقدموا للأطفال بعض الوسائل والمواد التي تقلل قلقاتهم وتنمي قدراتهم العقلية وذكائهم العاطفي للتعامل مع مشاكلهم.

هناك قصص جميلة عديدة على لسان الحيوانات والأطفال حول الطلاق في أدب الأطفال الغربي. في عام 1986م، نشر الكاتبان الأمريكيان مارك براؤون ولوري كراسني براؤون كتابا باسم "طلاق الديناصورات: دليل لتغيير الأسرة"⁴¹⁵ للتطرق إلى موضوع الطلاق في أدب الأطفال. إن هذا الكتاب المصور الفريد من نوعه يقدم في صفحته الأولى بعض المصطلحات المتعلقة بالطلاق مثل القاضي والمحامي ودعم الطفل وغيرها الكثير بأسلوب سهل ومناسب للأطفال، ثم ينقل إلى تصوير مختلف تجارب ونضال أطفال الديناصورات الذين يتعاملون مع طلاق والديهم. يعالج الكتاب مجموعة من القضايا التي تحدث قبل وبعد الطلاق مثل: لماذا يطلق الآباء؟ وماهي العواطف التي يمر بها الطفل؟ وقضية العيش مع أحد الوالدين في بيتين مختلفين، والعيش مع زوجة الأب أو زوج الأم ووجود إخوة وأخوات غير شقيقة، والاحتفال بالعطلات والمناسبات الخاصة وغيرها. وعلى سبيل الإجمال، يساعد الكتاب الأطفال على فهم معنى الطلاق وعمليته وآثاره على حياتهم القادمة كما يخفف حدة آلام الصغار من خلال تقديم بعض الاستراتيجيات والتدابير للتعامل مع ضغوطهم وعواطفهم وتوضيح بعض الأمور التي تزجج الأطفال مثلا: يلوم بعض الأطفال أنفسهم لطلاق الوالدين أو يخافون عن حب الوالدين لهم بعد الطلاق. يشرح الكتاب

⁴¹⁵ - Brown, Mark and Brown, Laurie Krasny, Dinosaurs Divorce: A guide for changing family, 1986.

أن الطلاق بين الوالدين قد يقع بسبب عدم الحب والعلاقات المريرة بين الزوجين ولادخل للطفل فيه على الإطلاق فينبغي له أن لا يشعر بالذنب⁴¹⁶، ويبعد مخاوفهم وقلقاتهم بهذه العبارة "الطلاق في عائلتك يعني أن الكثير من الأشياء ستتغير، ولكن الشيء الوحيد الذي لا يتغير أبدا هو حب والديك لك".⁴¹⁷

وبالإضافة إلى كتاب "طلاق الديناصورات"، تحفل مكتبة الأطفال الغربية بعشرات من الكتب والقصص المبدعة حول الطلاق وانفصال الوالدين مثل قصة "بيتان"⁴¹⁸ الصادرة في عام 2001م للكاتبة الفرنسية كلير ماسوريل (Claire Masurel)، وقصة "عائلتي تتغير"⁴¹⁹ الصادرة أصلا في عام 1998م للكاتبة الأمريكية بات توماس وغيرهما الكثير من كتاب أدب الأطفال والمتخصصين في مجال تربية الأطفال. إن الثقافة المفتوحة والواقعية في أدب الأطفال في السنوات الأخيرة لعبتا دورا كبيرا في زيادة وعي المؤلفين بتناول موضوع الطلاق وغيره من الموضوعات الحساسة والصعبة في كتاباتهم الموجهة للأطفال لأن كتب الأطفال تعتبر وسيلة هامة ومؤثرة لتقديم حقائق ومشاكل الحياة الواقعية إلى الأطفال من خلال القصص التي ستزيد بالتأكيد قدراتهم على التعامل مع مشاكلهم والتعبير عن عواطفهم المتوترة. تقول الكاتبة الأمريكية باربارا زيد. كائفر: "لم يعد الأطفال تحميمهم قصص الأسر السعيدة، بل هناك وعي متزايد بأن الأطفال سيكتسبون مهارات التأقلم وسلوكيات المواجهة من خلال قراءة القصص حول الآخرين الذين قد نجوا من نفس المشكلات والحالات التي تشبه لمشكلاتهم وأوضاعهم".⁴²⁰

الإرهاب

إن الإرهاب هو أكبر مشكلة اجتماعية يعاني منها مجتمعنا المعاصر على مستوى العالم. هناك دراسات وأبحاث متعددة أجراها الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية والمنظمات الدولية المعنية بحماية حقوق الأطفال على الصعيدين الإقليمي والعالمي حول التأثيرات السلبية للإرهاب على نمو الأطفال العقلي والنفسي والاجتماعي. في الآونة الأخيرة، شهد العالم العديد من أعمال العنف والتفجيرات والهجمات الإرهابية التي يسمع عنها الأطفال من أفراد الأسرة في البيت أو الأصدقاء في المدرسة أو يشاهدونها مباشرة على التلفزيون والإنترنت ومواقع شبكة التواصل

Brown, Mark and Brown, Laurie Krasny, *Dinosaurs Divorce: A guide for changing family*, P 9. -⁴¹⁶

Ibid, P33. -⁴¹⁷

Masurel, Claire, *Two Homes*, Walker publisher, London, 2001. -⁴¹⁸

Thomas, Pat, *My Family's changing*, Hachette Children's Group, London, 2014. -⁴¹⁹

Kiefer, Barbara Z., *Charlotte Huck's Children's Literature*, P 80. -⁴²⁰

الاجتماعي. وطبقا للدراسات الحديثة في مجال علم نفس الطفل، يميل الأطفال إلى طرح أسئلة كثيرة حول كل ما يسمعونه أو يشاهدونه من أشياء جديدة سواء أكانت بسيطة أو معقدة لأن الأطفال يكون لديهم حب الاستطلاع والفضول بشكل كبير. إن أسئلة الأطفال المتنوعة حول أعمال العنف والهجمات الإرهابية والإرهابيين وما إذا كانوا آمنين أم لا؟ تشكل مشكلة كبيرة للوالدين والمربين فيما يتعلق بشرح الإرهاب أو توضيح المعلومات الناقصة عنه للأطفال أو كيفية توفير الراحة النفسية والشعور بالأمان لأطفالهم لأن أخبار العنف ومشاهد القتلى والجرحى الناتجة عن الهجمات الإرهابية والتفجيرات الانتحارية على التلفزيون تترك آثارا سلبية على بعض الأطفال بسبب قلة قدرة التعبير والاستيعاب لديهم لمثل هذه الأحداث المفزعة ويشعرون بالقلق والخوف. تقول الكاتبة شيرون كلنغ وورث روبرتس في مقالة منشورة في "جريدة تعليم الطفولة": "إن طبيعة مواضيع الحرب، والإرهاب والكوارث الطبيعية تثير قلقا وترزعج الأطفال والكبار على حد سواء"⁴²¹. فمن الضروري إجراء المناقشة والتحدث مع الأطفال عن هذه الأمور الشائكة لتقليل مخاوفهم وإجابة على أسئلتهم بأمانة وصدق لإشباع فضولهم وحب استطلاعهم.

في عام 2016م، نشرت الدكتورة لوري إي. زيلينجر كتابا باسم "من فضلك! اشرح لي الإرهاب"⁴²² لمعالجة قضية الإرهاب في أدب الأطفال. هذا الكتاب موجه للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و 10 سنوات. ومع فهم بارع لعالم الطفل، تقدم الكاتبة بعناية ورفق المفاهيم الجديدة والمخيفة للإرهاب الذي يسمعه ويشاهدونه الأطفال على التلفزيون في حياتهم العادية. تقدم الكاتبة أيضا بعض الإرشادات الهامة لأولياء الأمور والمربين لكي يتمكنوا من التعامل مع أسئلة الأطفال ومخاوفهم من خلال إجراء الحوار والشرح والسماع والأجوبة والمناقشة مع الأطفال حول ما يجول في خواتمهم و ما يزعجهم. يبدأ الكتاب ببعض الأسئلة التي يوجهها الطفل إلى أمه بعد مشاهدة صور العنف والإرهاب على التلفزيون أملا في الإجابة عليها: "أمي! ماذا يعني ذلك؟ ما الذي يجري؟ قادمة من غرفة المعيشة حيث كان التلفزيون قيد التشغيل، سمعت المذيع يقول:

⁴²¹ Roberts, Sherron Killingsworth and Crawford, Patricia A, Children's Literature resources on War terrorism and Natural Disasters for Pre-K to Grade 3, P 385.

⁴²² Zelinger, Laurie, Please Explain terrorism to me, Loving Healing Press, London, 2016.

"الأخبار العاجلة، سبعة جرحى، ستة قتلى، ثم الكثير من الكلمات الكبيرة التي لم استطع معرفتها وكشف مفهومها.... عدد القتلى، حالة تأهب قصوى، الإرهابيون، مجموعة تتحمل المسؤولية".⁴²³

وبالإضافة إلى هذه القصة، هناك قصة أخرى كتبتها الكاتبة الأمريكية ريبيكا جي. هوبارد حول موضوع الإرهاب والهجمات الإرهابية باسم "العطف في عالم مخيف"⁴²⁴. هذه القصة تتحدث عن عائلة تتشاهد التغطية الإخبارية لهجمة إرهابية على التلفزيون ورد فعل الأسرة على حادث الإرهاب. يتساءل الطفل عن سبب الهجوم وما إذا كانت أسرته آمنة. يجيب الوالدان بصدق على أسئلة الطفل العديدة حول الهجوم الإرهابي ويساعدان في تقليل مخاوفه من خلال التركيز على الطرق الإيجابية التي يمكن للطفل أن يساهم بها في المجتمع.

التحرش الجنسي والتربية الجنسية

ورغم أن كلمات التحرش الجنسي أو الاعتداء الجنسي أو الإساءة الجنسية للأطفال تعتبر ثقيلة على مسامع الآباء والأمهات وأولياء الأمور الذين يواجهون صعوبة كبيرة في التحدث عنها مع الأطفال والصغار ولكنه من الحقيقة أن ظاهرة التحرش الجنسي توجد في كل مجتمعات العالم، والأطفال دائماً على إمكانية تعرضهم لهذا الخطر في الأسرة والمدرسة والجوار إذا لم تتم توعية الأطفال عن التحرش الجنسي منذ الصغر وبشكل صريح بعيداً عن الابتذال. تشير البحوث العلمية الحالية في مجال العلوم الاجتماعية إلى أن نسبة التحرش الجنسي بالأطفال مرتفعة للغاية، ومعظم الصغار يتعرضون للتحرش أو الاعتداء الجنسي على يد الذين يختلطون بهم دون رقابة مثل: الأقارب، وأبناء الجيران، والأصدقاء، والسائقين والخدم وغيرهم.⁴²⁵ يأخذ التحرش الجنسي بالأطفال أو الاعتداء الجنسي عليهم أو الإساءة الجنسية لهم أشكالاً عديدة ابتداءً من التحدث عن الأعمال الجنسية أو عرض صور إباحية أو ممارسة العادة السرية أمامهم وغيرها وصولاً إلى الاحتكاك الجنسي والاعتصاب. تقول الدكتورة عبلة مرجان: "إن التحرش الجنسي ينقسم أساساً إلى

⁴²³ - Zelinger, Laurie, Please Explain "Terrorism" to me, P 10.

⁴²⁴ - Hubbard, Rebecca, Kindness in a scary world, Titledown Publishing, USA, 2017.

⁴²⁵ - د.مرجان، عبلة، التربية الجنسية للأطفال حق لهم واجب علينا، ص 101.

أربعة أقسام، وهي المضايقات الكلامية والتحرش الجسدي والتحرش البصري والخدمات الجنسية".⁴²⁶

إن الآباء والأمهات سواء أكانوا في العالم الغربي أو العربي كلهم يرغبون دائما في تربية أطفالهم وأولادهم تربية صالحة ويحاولون بذل كل ما في وسعهم لحمايتهم من كل أنواع المشاكل والمخاوف والأذى والأضرار الممكنة سواء أكانت نفسية أو بدنية. ولكن هناك بعض الأخطار بما فيها التحرش الجنسي يمكن تفاديها ومحاربتها حتى القضاء عليها تماما بواسطة توعية الأطفال عنها وتثقيفهم وتزويدهم بالمعلومات الصحيحة حولها في جو من الصداقة مع الأطفال منذ نعومة أظفارهم، ومنحهم الثقة بأنفسهم وبأولياء أمورهم، وإشعارهم بالأمان في أن يسألوا ويعرفوا ويتقاسموا كل أنواع من الموضوعات والمشاكل مع والديهم.⁴²⁷

وإذا نقلنا نظارتنا على أدب الأطفال الغربي في السنوات الأخيرة، نجد أنه هناك كتب كثيرة حول موضوع التحرش الجنسي لتوعية الأطفال وحمايتهم من هذا الخطر الاجتماعي المحقق، بالإضافة إلى تشجيعهم على مواجهة هذا الموقف فيما لو حصل معهم والتحدث عنه بلا خجل وخوف. في عام 2008م، ظهر كتاب "بعض الأعضاء ليست للنقاسم"⁴²⁸ للكاتبة جولي كيه. فيدريكو. تقدم القصة الموجهة للأطفال أقل من أربع سنوات على لسان زوج من الأسماك بعض القوانين الأساسية لسلامة الجسم حيث تبين الفرق بين اللمسات اللائقة وغير اللائقة وتشجع الأطفال على قول لا! لللمسات غير اللائقة وابتعاد وإخبار بالغ موثوق به عنها. في عام 1984م، نشرت الكاتبة الهولندية والأمريكية ليندا والفورد جيرارد كتابا باسم "جسمي خاص"⁴²⁹ حول موضوع التحرش الجنسي بالأطفال. هذه القصة مبنية على محادثة تجري بين طفلة وأمها وتعالج موضوع التحرش الجنسي والسبل للحفاظ على جسمها الخاص. تشرح البطلة جولي معنى الخصوصية للأطفال بأمثلة عديدة من فرشاة الأسنان، ورسالة دعوة عيد الميلاد، وباب مغلق في البيت ثم تقول أن جسمها أيضا خاص وتذكر بعض الأعضاء الخاصة. إن الكتاب يتناول الموضوع بواسطة المناقشة المفتوحة لتوعية الأطفال عن الإساءة الجنسية ويشجعهم على التحدث عنها بلا خوف وخجل.

⁴²⁶ - د. مرجان، عبلة، التربية الجنسية للأطفال حق لهم واجب علينا، ص 99-100.

⁴²⁷ - نفس المصدر، ص 104.

⁴²⁸ - Federico, Julie K, Some parts are not for sharing, Tate Publishing, London, 2008.

⁴²⁹ - Girard, Linda Walvoord, My body is private, Albert Whitman & company, USA, 1984.

وبالإضافة إلى هذا، نجد بعض القصص والكتب الجميلة حول بعض تساؤلات الأطفال الحرجة مثل المواضيع المتعلقة بالجنس والعلاقات الجنسية والحمل والولادة⁴³⁰ وغيرها. يقول الدكتور ماهر اسماعيل صبري: "يمثل موضوع الجنس والعلاقات الجنسية واحدا من أهم الموضوعات العلمية التي تكثر حولها بعض تساؤلات الأطفال خلال مرحلة ما قبل المدرسة بشكل يلفت النظر... كما يتساءل الطفل عن الأمور المتعلقة بالحمل والولادة".⁴³¹ ويرى كثير من الباحثين أن ميل الطفل لاستطلاع المسائل الجنسية في سنواتهم المبكرة ميل نقي يتجه إلى المعرفة الخاصة وليس سلوكا سيئا، فيجب على الوالدين أن يجيبوا عن أسئلة الأطفال الحرجة إجابة صريحة صحيحة.⁴³²

نشر الكاتب البريطاني جايلز أندريا في عام 2001م كتابا يسمى "هناك بيت داخل أمه"⁴³³ لمعالجة تساؤلات الأطفال حول الحمل والولادة وإظهار إثارتهم حول ترحيب بشقيق جديد في الأسرة. في الكتاب، يخبر صبي صغير عن شقيقه الرضيع الذي لم يولد بعد. يشير إلى بطن أمه كبيت ينمو فيه الطفل يوما بعد يوم. يتحدث عن الأشياء الغريبة والأغذية المتنوعة التي تتناولها والدته خلال حملها بعد استشارة الطبيبة وعن الأمراض التي تصاب بها والدته وهي حامل. يساعد الطفل في رعاية والدته ولا يقدر على الانتظار للالتقاء بالطفل الجديد الآتي. وفي النهاية، عندما يولد الطفل، فهو متحمس للغاية لمقابلته. هذا الكتاب رائع جدا للأطفال الصغار الذين يتوقعون شقيقا جديدا أو يواجهون تساؤلات كثيرة إلى أمهاتهم حول موضوع الولادة.

الموضوعات الاقتصادية

إلى جانب الموضوعات التي سبق ذكرها آنفا، هناك بروز اتجاه جديد في السنوات الأخيرة في العالم الغربي حول تناول الأفكار الاقتصادية في كتب الأطفال بهدف تعليم الأطفال والناشئين المفاهيم الاقتصادية ومعرفة القراءة والكتابة المالية وتدريبهم على اكتساب المعلومات والمهارات في استخدام الموارد الطبيعية والإنسانية والرأسمالية وجعل الخيارات الاقتصادية عن طريق تحديد النواحي الإيجابية والسلبية للخيارات وعواقب تلك الخيارات من خلال القصص والحكايات الموجهة للأطفال من رياض الأطفال والصفوف الابتدائية. تقول المحللة والمعلقة المالية بيث كوبلينر: "إن

⁴³⁰ - الجبالي، حمزة، مشاكل الطفل والمراهق النفسية، ص 200.

⁴³¹ - د. صبري، ماهر اسماعيل، طفلك يسألك وأنت تجيب، ص 55-57.

⁴³² - الجبالي، حمزة، مشاكل الطفل والمراهق النفسية، ص 199.

⁴³³ - Andreae, Giles, There's a house inside my Mummy, A. Whitman Publishing, Georgia, 2002.

الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات يمكنهم فهم المفاهيم المالية مثل الادخار والإنفاق".⁴³⁴ وكشف تقرير قام بإعداده الباحثون في جامعة كامبريدج أن عادات المال للأطفال تتشكل بحلول سن السابعة.⁴³⁵ في عصرنا هذا، يعتبر الاقتصاد واحدا من أهم المجالات في العالم، وتعتمد رفاهية وازدهار أية دولة ومعايير معيشة شعبها في العالم على اقتصاد قوي ونابض. إن الأطفال هم قادة المستقبل وعماد المجتمع والأسرة في الغد، فتعويدهم منذ نعومة أظفارهم على إدارة الأموال ومصاريفهم الجيبية في المدرسة وخارجها بشكل معقول، وتدريبهم على فهم الأفكار المالية والمفاهيم الاقتصادية بواسطة إدخال بعض المصطلحات الاقتصادية الصغيرة وشرحها عند قراءة القصة مثل النقود، والحصالة الخنزيرية، والادخار، والإنفاق، والحاجة، و الموارد الطبيعية وغيرها سيؤدي إلى خلق القدرة لدى الأطفال لاتخاذ القرارات و اقتناء الخيارات الاقتصادية عند الحاجة وكونهم أكثر اقتصاديا في الإنفاق في حياتهم القادمة.

إن معالجة الموضوعات الاقتصادية في أدب الأطفال الغربي ليست أمرا جديدا، بل توجد هناك بعض القصص التي قد تم استخدامها لوصف الأفكار الاقتصادية للأطفال الناشئين منذ أن بدأ نشر كتب الأطفال في العالم الغربي. وخاصة في بداية القرن التاسع عشر كانت الكتب التي قدمتها كاتبة أدب الأطفال الأنجلو الأيرلندية ماريا أيدجورث (1768م-1849م) للأطفال مليئة وزاخرة بالمضامين الاقتصادية. ورد في دراسة بحثية كتبها ثلاثة باحثين حول "تعليم الأطفال المفاهيم الاقتصادية بواسطة أدب الأطفال"، وتناولوا فيها حوالي ثلاث مائة وخمسين كتابا من بين القصص المصورة والكتب السهلة لتعليم القراءة أن كتاب "بستان الكرز" الصادر في عام 1818م لماريا أيدجورث، الذي يتحدث عن تقسيم العمل، وقصة "الجرة الأرجوانية" الصادرة في سنة 1838م لماريا أيدجورث التي تقدم فكرة خيارات المستهلكين وقصة "لورينس كسول" المنشورة في عام 1995م ل هيندرسون التي تتحدث عن العمل والادخار، كلها خدمت كنماذج لتقييم المنشورات اللاحقة في أدب الأطفال وتعليم الاقتصاديات.⁴³⁶

ومع مرور الزمن، اكتسب اتجاه تعليم الأطفال المفاهيم الاقتصادية زخما شديدا بواسطة قصص الأطفال والكتب غير الروائية للأطفال بعد منتصف القرن العشرين عندما بدأ يشتد لون "الواقعية الجديدة" في صفحات أدب الأطفال في العالم الغربي. تقول ورقة بحثية كتبها مجموعة

Shin, Laura, The five most important money lessons to teach your kids, E-Forbes Magazine, 15 October, -⁴³⁴

2013.

Ibid. -⁴³⁵

Rodgers, Yana V and Wheeler, Ronald C, Teaching Economics through Children's Literature in the Primary -⁴³⁶

Grades, P 47.

من الباحثين: "إن استخدام أدب الأطفال لتعليم المفاهيم الاقتصادية يكتسب شعبية كبيرة.... ومن الحقيقة أن معظم الأطفال يتمتعون بالقصة والحكاية فيمكن أن يضيف تعليم المفاهيم الاقتصادية ضمن إطار الأدب حوافز الطالب".⁴³⁷ وأثناء القراءة عن الموضوعات والمضامين الاقتصادية في أدب الأطفال الغربي، عثر الباحث على عدد كبير من القصص التي تعالج الموضوع الاقتصادي مثل قصة "تشارلي يحتاج إلى معطف" الصادرة عام 1973م لـ تومي دي باؤلا. في هذه القصة يستخدم تشارلي موارده لصنع معطف جديد، وهي تعتبر قصة جيدة لمناقشة العوامل الأربعة للإنتاج مع الأطفال. وهناك كتاب آخر باسم "ماما عاملة منجم" الصادر عام 1994م للكاتبة الأمريكية جورج إيلا ليون، يحكي هذا الكتاب قصة فتاة تعمل والدتها كعاملة منجم للفحم. يتعرف القراء الناشئين من خلال هذه القصة على التكاليف والفوائد للعائلة، وهو كتاب جيد للتحدث عن الموارد الطبيعية والإنتاج والفرص مع الأطفال في غرفة الدرس بالمدرسة أو وقت النوم بالبيت. وبالإضافة إلى هذا، هناك العشرات من القصص ذات المضامين الاقتصادية التي ذكرها الكاتبة ماندي روبيك في مقالة معنونة بـ "تعليم الاقتصاد بواسطة أدب الأطفال" على الموقع الإلكتروني المشار إلى ربطه الإلكتروني في الهامش.⁴³⁸

وفي هذا المقام، نقوم باستعراض بغاية من الإيجاز قصة شهيرة "عنزة بياتريس" ذات المضمون الاقتصادي لكاتبة أدب الأطفال الأمريكية الشهيرة بيج ميك برائر، الصادرة في عام 2001م بسبب كونها قصة شاملة وممتعة حول الموضوع. حاز الكتاب المزين بالصور التوضيحية والمشوقة والخلابة على الجوائز العديدة لتصوير مشاكل أسرة فقيرة في حياتها اليومية بإفريقيا ودور المنظمات الدولية غير الربحية في القضاء على الفقر ومعالجة المضمون الاقتصادي للأطفال بأسلوب ممتع وفريد، كما أشادت السيناتورة الأمريكية هيلاري كلنتون⁴³⁹ في خاتمة الكتاب بفكرة الكتاب وأحداثها. تتحدث هذه القصة التي هي مبنية على قصة صادقة عن بنت صغيرة فقيرة تدعى "بياتريس"، تعيش في قرية صغيرة بدولة أوغندا في قارة إفريقيا. كانت بياتريس تتوق إلى الذهاب إلى المدرسة ولكن أسرته لا تستطيع تحمل نفقات المدرسة. تساعد هدية عنزة من قبل منظمة الجوع العالمية غير الربحية "هائفر الدولية" في الحفاظ على الأسرة و تحول حياة البنت الفقيرة وتسمح لبياتريس بتحقيق حلمها بالالتحاق بالمدرسة.⁴⁴⁰

⁴³⁷ - Rodgers, Yana V and Wheeler, Ronald C, Teaching Economics through Children's literature in the Primary grades, P 45.

⁴³⁸ - Robek, Mandy, Teaching Economics with Children's Literature,

(<https://choiceliteracy.com/article/teaching-economics-with-childrens-literature/>)

⁴³⁹ - Teaching Economics through Children's Literature in the Primary Grades, P 52.

⁴⁴⁰ - McBrier, Page, Beatrice's Goat, Aladdin Paperbacks, New York, USA, 2001.

إن القصة مشتملة على 40 صفحة وموجهة للأطفال من الصف الثالث إلى الصف الخامس، وتهدف إلى غرس القيم الاقتصادية في الأطفال من خلال تقديم كل ما يتعلق بالمصطلح الاقتصادي مثل استخدام الموارد الطبيعية والإنسانية من تحضير مكان آمن للعنزة وتوفير الطعام لها واستخدام بعض لبنها للأسرة وبيع البعض الباقي في السوق والجيران ثم فكرة الكسب والادخار وأخيرا جعل الخيارات الاقتصادية من بين دفع الكتب ورسوم المدرسة وشراء قميص للأخ موسى وبطانية دافئة للبيت، كما تهدف القصة أيضا إلى خلق الرغبة الذاتية في الطلاب في مساعدة الآخرين خاصة بواسطة الهدايا للجمعيات الخيرية. قسارى القول إن الكاتبة الأمريكية نجحت في تصوير آلام الأسرة الفقيرة بإفريقيا وتحول حالتها الاقتصادية بعد تلقي هدية عنزة من قبل منظمة الجوع العالمية غير الربحية "هائفر الدولية". وإيكم اقتباس يلمس القوب، ورد في آخر القصة: "ذات يوم، عادت بيأتريس إلى البيت بعد جمع الماء ولاحظت أمها التي كانت تعد النقود عابسة في محفظتها المنسوجة، وعندما نظرت للأعلى تحول عبوس ماما إلى ابتسامة صغيرة، "أعتقد" قالت، "ربما قد ادخرت ما يكفي لدفع المدرسة".⁴⁴¹

وبالإضافة إلى هذه الموضوعات المذكورة آنفا، تحتل الموضوعات والمضامين حول الإعاقة مع سائر أنواعها من الإعاقة البدنية والذهنية والدراسية لشمول الأطفال المعوقين والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والأقليات في التيار الرئيسي للمجتمع حيزا كبيرا في صفحات أدب الأطفال الغربي.⁴⁴² تقول الكاتبة الأمريكية باربارا إيليمان: "إن نتيجة هامة أخرى للمستينات الصاخبة من القرن العشرين في مجال أدب الأطفال كانت الاعتراف بحاجة الكتب للأقليات".⁴⁴³ أحرز فن قصة الخيال العلمي للأطفال أيضا تقدما كبيرا في أدب الأطفال في السنوات الأخيرة حتى نجد قصة الخيال العلمي للأطفال الصف الثالث مثل "زيتا فتاة الفضاء"⁴⁴⁴ للكاتب الأمريكي الشاب بين هاتكي. كما نجد القصص حول موضوعات الحرب والعنف الأسري والتنشئة السياسية والمحافظة على البيئة والأمراض والتنمر والتسامح وعواطف الأطفال المتنوعة من الغضب والفرح والحزن والخوف والغيرة بين الأشقاء وغيرها. وملخص ما سبق في هذا الفصل هو أن أدب الأطفال في العالم الغربي لا يزال يتمتع بطبيعة ديناميكية فيما يتعلق بشكله الخارجي والداخلي،

⁴⁴¹ - McBrier, Page, Beatrice's Goat, Aladdin Paperbacks, New York, USA, 2001.

⁴⁴² - Brodsky, Alicia, Children's Books about Disability, Division of Disability services, New Jersey, 2005.

⁴⁴³ - Elleman, Barbara, Current trends in literature for children, P 418.

⁴⁴⁴ - Hatke, Ben, Zita the spacegirl, First Second Publishing, New York, 2010.

ويتميز بتنوعاته في الموضوعات التي تمثل الاهتمام المتزايد والثقافة الغربية تجاه تربية الأطفال وأدبهم.

وجدير بالذكر أن أدب الأطفال في العالم الغربي شهد في السبعينات من القرن العشرين ارتفاعاً هاماً في أدب متعدد الثقافات⁴⁴⁵، الذي يكتب عن الأشخاص الذين يعتبرون خارج التيار الرئيسي للمجتمع ولقد تم تهميشهم بصورة ما. وهذا النوع من الأدب يشمل الأشخاص المنتمين إلى خلفيات متنوعة من الثقافة واللغة والدين والسياسة والاقتصاد.⁴⁴⁶ فنجد قصصاً متعددة في أدب الأطفال الغربي، تصور حياة الأطفال العرب الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية. في قصة "سامي ووقت الاضطرابات" للكاتبة الأمريكية فلورينس باري هايد يتحدث البطل سامي عن الحياة والأمل في بيروت في ظلال الحرب والقصف والقنابل. وتدور قصة "أمينة مكتبة البصرة" للكاتبة الأمريكية جانيت ونتر حول قصة واقعية عن شجاعة البطلة عالية باقر التي أنقذت آلاف من الكتب في مكتبة البصرة المركزية خلال وقوع الحرب. بالإضافة إلى هذا، ظهر بعض الكتب والقصص عن الإسلام وحضارته مثل قصة "ماجد يصوم في رمضان" للكاتبة الأمريكية ماري ماثيوز. تقول البروفيسورة البلجيكية ريتا: "في العقود الحالية يظهر الآخرون من الديانة الأخرى أيضاً في القصص الواقعية كأبطال رئيسيين أو شركاء مماثلين، كما يقدم العديد من الكتب غير خيالية معلومات عن الأديان الأخرى بطريقة مفتوحة وممتعة".⁴⁴⁷

⁴⁴⁵ Kiefer, Barbara z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 81.

⁴⁴⁶ Salas, Rachel G, and Lucido Frank, Multicultural Literature: Broadening Young Children's Experiences, P 3.

⁴⁴⁷ Ghesquiere, Rita, Contemporary religious writing, International Companion Encyclopedia of Children's literature, Peter Hunt, P 316.

الفصل الثالث

أدب الأطفال الغربي وأثره في أدب الأطفال العربي

الفصل الثالث

أدب الأطفال الغربي وأثره في أدب الأطفال العربي

إن احتكاك واتصال الشعوب بالأمم الأخرى يلعب دورا كبيرا في الاطلاع على ثقافات وحضارات الآخرين والاستفادة من خبرات ومعارف بعضهم البعض كما يؤدي إلى إحداث تغييرات في المجالات المختلفة من الحياة بما فيها العلم والأدب. إن الأدب العربي أدب عريق وعالمي قطع مراحل طويلة عبر العصور واستمد من الثقافات المختلفة والأمم السابقة خصائص متعددة كما ترك أثرا بعيدا في كثير من الآداب العالمية الأخرى على تباين اللغات الشرقية والغربية في العصور المختلفة. إن أدب الأطفال كما نراه اليوم هو نوع جديد من الأدب ظهر في الدول الأوروبية أولا من بطون القصص الشعبية والشفاهية في أواخر القرن السابع عشر. بدأ الاهتمام بأدب الأطفال في العالم العربي بعد سنوات كثيرة من بروزه في الدول الغربية نتيجة اختلاط العرب بالغرب وتأثرهم بالثقافة الغربية. يقول الدكتور موفق رياض مقداي: "بدأ ظهور أدب الأطفال في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي أما في الأدب العربي فقد تأخر ظهوره إلى أواخر القرن التاسع عشر، عندما بدأ في إرهابات مصحوبة برياح التأثير الثقافي الوافد من الغرب، متأثرا - خصوصا - بالأدبين الفرنسي والإنجليزي"⁴⁴⁸.

عندما بدأت النهضة الأدبية الحديثة في مصر بعد غزو نابليون عام 1798م، شهدت مصر لأول مرة نوعا جديدا من الأدب الذي يستهدف غرس القيم الأخلاقية والتعليمية في الأطفال من خلال الترجمة والتعريب في أعقاب اتصالات العرب بالأوروبيين وآدابهم. إن الريادة لأدب الأطفال العربي ترجع إلى مصر في عصرها الحديث. في بداية القرن التاسع عشر أرسلت البعثات التعليمية للخارج في عهد محمد علي باشا، واطلع إمام البعثة رفاعة رافع الطهطاوي (1801م-1873م) على الثقافات والحضارات الغربية وأسباب تقدم تلك الدول التي تهتم برعاية الطفولة وعالمها الخاص. وبعد رجوعه من فرنسا إلى مصر قام الطهطاوي بدور هام في ترجمة قصص الأطفال الإنجليزية وإدخالها في المناهج الدراسية لقراءة الأطفال في مصر حيث كان مسئولا عن التعليم في ذلك الوقت. يكتب محمد حسن بريغيش أن الطهطاوي طلب من السفير المصري لدى بريطانيا بواسطة الرسائل "بأن يرسل كتبنا مطبوعة ومؤلفة للصغار والأطفال بحيث

⁴⁴⁸ - مقداي، موفق رياض، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص 21.

تميل أذهانهم إليها"⁴⁴⁹، ترجم الطهطاوي قصصا باسم "حكايات الأطفال" وأدخل بعض القصص في المناهج الدراسية. ثم جاء المترجم القدير والشاعر المصري محمد عثمان جلال (1828م-1889م) إلى المشهد. يعتبر ديوانه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" أول محاولة عربية مهدت الطريق للكتاب إلى إرساء دعائم أدب الطفولة. ترجم فيه حكايات لافونتين الخرافية باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية⁴⁵⁰ وتأثر فيه بقراءاته للافونتين⁴⁵¹.

وتأثر شاعرنا العظيم أمير الشعراء أحمد شوقي أيضا بأدب الأطفال الغربي وأعجب بالحكايات والقصص الممتعة التي كان يكتبها الكتاب الأوربيون للأطفال. اطلع أمير الشعراء أحمد شوقي خلال دراسته في فرنسا على نوع جديد من الأدب للأطفال، فتأثر بالأقاصيص والحكايات الخرافية التي كان يكتبها الكتاب الأوربيون للأطفال بهدف الأغراض التعليمية والترفيهية والتربوية وخاصة بحكايات "لافونتين" الخرافية. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف للأطفال العرب أيضا، نظم شوقي حكايات شعرية متعددة مثل "الصيد والعصفورة" و "فأر الغيط وفأر البيت" على ألسنة الحيوانات والطيور على منوال لافونتين واختار أسلوبه في كتابة الحكايات. يقول شوقي في مقدمة ديوانه " الشوقيات" الصادر عام 1898م: "وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهير، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسونه إليه ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة أو المتمدنة منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم".⁴⁵²

وبالإضافة إلى تأثره بالحكايات الخرافية للشاعر الفرنسي العظيم لافونتين، دعا أحمد شوقي الشعراء العرب الآخرين إلى كتابة الشعر للأطفال فيقول: "وهنا لايسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الأفرنج في نظم الشعر وبين منهج العرب، والمأمول أن نتعاون على إيجاد شعر الأطفال، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء

⁴⁴⁹ - بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص 80.

⁴⁵⁰ - زلط، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص: 19.

⁴⁵¹ - تعلق، د. سلامة عبد المؤمن، علاقة التأثير والتأثر بين أدب الأطفال العربي وأدب الأطفال العالمي: دراسة في الأدب القارن، ص 7.

⁴⁵² - شوقي، أحمد، مقدمة الشوقيات، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، مصر، 1898م.

على إدراك هذه الأهمية⁴⁵³. وبعد شوقي، ألف إبراهيم ابراهيم العرب كتابا "خرافات على لسان الحيوان" وسماه "آداب العرب" وقد فيه لافونتين⁴⁵⁴. كما تأثر العلامة اللغوي مصطفى جواد (1901م-1996م) بخرافات لافونتين أيضا، فكتب بعض المقطوعات الشعرية على السنة الحيوانات عام 1923م مثل اللقلق والعصفور، والهز والفيران.⁴⁵⁵ في العشرينات من القرن الماضي ظهر رائد أدب الأطفال العربي كامل كيلاني وملا أدب الأطفال بالقصص العالمية والعربية. وبسبب اطلاعه على الآداب المختلفة من الأدب الإنجليزي والإيطالي والفرنسي ترجم الكثير من القصص الغربية متأثرا بها وأضاف الكثير من طابعه الخاص.⁴⁵⁶ يقول الدكتور علي الحديدي: "وأكثر قصص الكيلاني ليست من إبداعه وخلقه بل بسطها من التراث العربي أو نقلها من الثقافات الأخرى" ولكنه بذل الجهد الكبير في التبسيط والشرح والتهديب والتغيير والاقتباس والتعريب لتناسب أطفال المجتمع العربي.

وفي السطور الآتية نذكر بغاية من الإيجاز تأثيرات غربية على أشكال أدب الأطفال الخارجية والداخلية في العالم العربي كما نحاول استعراض تطورات وتقديمات محلية وعربية حالية أحرزتها الدول العربية في شكل أدب الأطفال الخارجي والداخلي في السنوات الأخيرة بسبب ظهور الرسامين الموهوبين والكتاب المبدعين من الجيل الجديد العربي والاهتمامات المتزايدة بأدب الأطفال على مستوى الحكومة والشعب.

تأثير على الشكل الخارجي:

إن معنى الشكل الخارجي لأدب الأطفال والمراد به هو المظاهر الخارجية لوسيلة من وسائل أدب الأطفال التي تستخدم لنقل فكرة أو رسالة أو معلومات أو غذاء روحي وعقلي إلى الأطفال. وهناك وسائل ووسائط متعددة لإيصال الأدب إلى الأطفال، منها كتب الأطفال. يقول الدكتور اسماعيل عبد الفتاح: "كتاب الطفل ومجلة الطفل ما هما إلا الطريق الرسمي لتنمية عقل الطفل وتنمية قدراته وتطوير مواهبه وإبداعاته وتنشيط اهتماماته باعتبار أن كتاب الطفل وسيلة

⁴⁵³ - شوقي، أحمد، مقدمة الشوقيات، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، مصر، 1898م.

⁴⁵⁴ - بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص 82.

⁴⁵⁵ - البقاعي، د. إيمان، قصة الأطفال والناشئة في لبنان، ص 75.

⁴⁵⁶ - تلعب، د. سلامة عبد المؤمن، علاقة التأثير والتأثر بين أدب الأطفال العربي وأدب الأطفال العالمي، ص 14.

ثقافية مهمة تسهم بشدة في التنشئة المتكاملة لأطفالنا".⁴⁵⁷ وجدير بالذكر أن المظهر الخارجي لكتاب الطفل هو بمثابة إناء وطبق يقدم فيه الطعام للطفل، إذا قدم بصورة أنيقة وجميلة فيزيد اشتهاه الطفل ويشبع حاجاته البدنية والجمالية وإلا فيتركه جائعا ويكدر خاطر الطفل ومزاجه. يقول عبد التواب يوسف: "كتاب الأطفال يجب أن يكون متميزا وعلى أعلى مستوى: فكرة وكتابة وأسلوبا ورسمًا وتلوينا وإخراجا وورقا وطباعة وتغليفًا لأنه يثقف عيني الطفل وعقله".⁴⁵⁸ ويكتب الدكتور نبيل راغب أن "عنصر التشويق يصبح أكثر ضرورة للأدب الذي يكتب للأطفال"⁴⁵⁹ لدفعهم إلى التهافت على المواد المكتوبة المقدمة لهم بكل لهفة وشوق. والحقيقة أن الوسيط الجيد أو الكتاب الذي يتم إخراجها للأطفال مع مراعاة كافة الشروط اللازمة لإنتاج كتب الأطفال يلعب دورا حيويا في إيصال الأدب إلى الأطفال لأنه "يصنع العمل الأدبي بصيغة خاصة ويضفي على العمل الأدبي ألوانا من التشويق تجعله أكثر اقترابا من نفوس الأطفال، وتجعلهم أكثر حرصا عليه وسعيا وراءه، كما تجعل تأثيره في نفوسهم أعمق وأبقى".⁴⁶⁰

كما ذكرنا سابقا أن أدب الأطفال العربي في العصر الحديث بدأ في مصر متأثرا بالثقافة الفرنسية والإنجليزية في عصر محمد علي باشا. وكان اتصال العرب بالغرب عن طريق حملة نابليون في مصر، وعن طريق البعثات العلمية العربية إلى الدول الغربية من أهم العوامل الرئيسية لاطلاع العرب على أدب الأطفال. ورغم أن ظهرت أول مطبعة رسمية مصرية في عهد محمد علي باسم "مطبعة بولاق" عام 1820م⁴⁶¹ وبرزت دور النشر العديدة في مصر والبلاد العربية الأخرى ضمن التأثيرات الإيجابية لحملة نابليون التي أيقظت العرب من نومهم الطويل وفتحت عيونهم على عوالم جديدة، ولكن أدب الأطفال، بصرف النظر عن بعض محاولة دائرة المعارف الجادة في نشر كتب الأطفال بمصر، ظل محروما من دور النشر الخاصة له حتى جاءت "دار الفتى العربي" إلى معرض الوجود في بيروت عام 1974م. وجدير بالذكر أن كتب الأطفال في العالم العربي قبل ظهور "دار الفتى العربي" في لبنان و "دائرة ثقافة الأطفال" في العراق كانت تعتبر فقيرة وريئة بالنسبة إلى مظهرها الخارجي حيث "كانت سيئة الطبع وريئة الورق وخالية من

⁴⁵⁷ - عبد الفتاح، الدكتور اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر: رؤية نقدية تحليلية، ص 231.

⁴⁵⁸ - يوسف، عبد التواب، كتب الأطفال المتميزة: المرسومة والمصورة، مجلة الفيصل، العدد 247، ص 67.

⁴⁵⁹ - راغب، الدكتور نبيل، فنون الأدب العالمي، 60.

⁴⁶⁰ - نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، ص 155.

⁴⁶¹ - عوض، الدكتور لويس، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، ص 79.

الصور الجميلة والمناسبة لنصوص الكتاب⁴⁶² بسبب عدم الاهتمام الكافي بصناعة كتب الأطفال وقلة الخبرة لدى الناشرين والرسامين العرب في إنتاج الكتب الخاصة للأطفال.

يلعب الرسم والصورة الملونة في كتب الأطفال دورا رئيسيا في إثارة شوق الأطفال ورغبتهم في قراءة الكتب وفهم القصة والنص بمساعدة الصورة والرسم التوضيحية. يعتقد الخبراء في مجال صناعة نشر كتب الأطفال بأن الصورة والرسم موازيتان في الأهمية للنص في أدب الأطفال. وتزيد أهميتهما بالنسبة إلى النص خاصة في كتب الأطفال الموجهة لمراحل الطفولة المبكرة حيث تشتمل على 75% على الأقل من حجمها رسوما جاذبة بالألوان الرئيسية، وتتحدث هذه الرسوم والصور القصة وأحداثها أساسا بصرف النظر عن المتن والنص.⁴⁶³ إن تطبيق الرسم على نص قصص الأطفال أو التحدث عنها من خلال الرسوم والصور هو عمل فني يحتاج إلى مهارة ودراسة عميقة في فن الرسم والصورة لكي يتمكن الرسام من خلق توافق بين الرسم والنص ويساعد القارئ الصغير على فهم المطالب المنشودة للقصة والتمتع في جو من التسلية والمتعة. ورغم أن ظهر أول كتاب مصور للأطفال كما يُزعم⁴⁶⁴ للكاتب الهولندي جون أموس كومينيوس باسم "Orbis Pictus" عام 1658م، ولكن الرسام البريطاني راندولف كالدكوت يعتبر أول رسام أبدع الرسوم في كتب الأطفال بحكايته "السيد جابوت" عام 1833م.⁴⁶⁵ لعب الرسامون المبدعون الغربيون دورا كبيرا في تطوير هذا الفن بعد منتصف القرن التاسع عشر من خلال إنتاج كتب الأطفال المزينة بالصور الرائعة الخلابنة المتحدة بمتن القصة ونصها. في التسعينات من القرن التاسع عشر شهد هذا الفن عصره الذهبي في الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى في السنوات الآتية، وظهرت العديد من القصص المصورة الخالدة مثل "ملايين القطط" و "سوبرمان" و"بات مان" و"الرجل العنكبوت" حتى أصبحت القصص المصورة والرسوم التوضيحية جزءا أساسيا لثقافة كتب الأطفال الغربية.⁴⁶⁶

أما في العالم العربي فيعود تاريخ بداية قصص الأطفال المصورة من صدور مجلة "السمير الصغير" بمصر في عام 1897م حيث تضمنت رسوما عربية بتوقيع عربي وأخرى

⁴⁶² - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 273.

⁴⁶³ - عبد الفتاح، الدكتور اسماعيل و أبو العينين، رانيا حسن، معيير قياس جود كتب الأطفال، ص 43.

⁴⁶⁴ - Kiefer, Barbara Z, Charlotte Huck's Children's Literature, P 68- 69.

⁴⁶⁵ - الحسن، د. محمد موفق، قصص الأطفال المصورة: النشأة والواقع والمأمول: دراسة مقارنة بين التجريبتين العربية والفرنسية، كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية بجامعة كيرالا، الجزء الثاني، ص 22.

⁴⁶⁶ - نفس المصدر، 22-23.

مأخوذة من مجلات أجنبية. أصدرت دار المعارف عام 1912م الكتب العربية الأولى للأطفال المطبوعة بلونين.⁴⁶⁷ إن بروز الرسام المصري حسين بيكار (1923م-2002م) أدى إلى ظهور الكتب المصورة العربية الأولى غير المترجمة التي أصدرتها دار المعارف باسم "علي بابا" و "أبو صير وأبوقير" في عام 1946م. ومع ذلك، مازال معظم كتب الأطفال العربية خاضعة للكتب الأجنبية في شكلها ومضمونها وتعاني مظاهر كتب الأطفال الخارجية خاصة من مجموعة من المشاكل التي تتراوح بين سوء الإخراج وقلة جودة الطباعة وعدم توفر الرسومات الملونة الجميلة والأغلفة السمكية، واستخدام الورق الرقيق غير المقوي، وعدم مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال من فئات عمرية متباينة بسبب قلة الخبرة والثقافة وعدم دراسة الفن. وحول ضعف وقلة الثقافة العربية فيما يتعلق بإخراج كتب الأطفال خاصة القصص المصورة، ذكر كاتب أدب الأطفال المصري الشهير عبد التواب يوسف حادثة حقيقية وقع فيها الرسامون العربيون نتيجة عدم دراستهم فن الرسم والصورة. فقد حدث في بغداد أن كاتب أدب الأطفال فتحي خليل قام بترجمة القصة المصورة "ملايين القطط" للكاتبة الأمريكية واندا غاج التي كانت تعتبر النموذج الأعلى للكتب المصورة في ذلك الوقت. تمت إعادة رسم القصة على يد بعض الرسامين العراقيين الكبار ونتيجة ذلك فقد الكتاب قيمته الحقيقية وتم تدمير روحه الفنية بالكامل على حساب جودة الصور الجديدة لأنهم أسقطوا رسوم الكتاب المتحدة بقصتها الأصلية، واستبدلوا بها رسوما توضيحية أخرى لا تمت بصلة إلى الضفيرة التي هي من القصة والرسم معا.

حدثت تغيرات دراماتيكية في مجال صناعة كتب الأطفال في الستينات من القرن العشرين حيث اطلعت دور النشر الأجنبية المتعددة على سوق كتب الأطفال العربية وظهر العديد من الترجمات للكتب والقصص الغربية للأطفال باللغة العربية الكلاسيكية بصورة رديئة بعيدا من فهم معظم الأطفال مما أثار ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأدبية، ومهد الطريق إلى إنشاء مراكز البحوث والمؤسسات ودور النشر لأدب الأطفال في كل من مصر ولبنان وسوريا. وبالإضافة إلى هذا، لعبت هزيمة 1967م دورا كبيرا في إثارة وعى العرب بحاجة ملحة إلى خلق الأدب الوطني للأطفال وتحسين نوعية الكتب الموجهة للأطفال شكلا ومضمونا.⁴⁶⁸ وهذه التغيرات أدت إلى عقد

⁴⁶⁷ - نفس المصدر، ص 24.

⁴⁶⁸ - Abu Nasar, Julinda, The Arab World, International Companion Encyclopedia of Children's Literature, Peter Hunt, P 790.

المؤتمرات والندوات وورشات العمل المتعددة على مستوى المحلي والدولي بهدف إعداد جيل جديد من الكتاب والرسامين العرب وتحسين مستوى كتب الأطفال شكلا ومضمونا. وتمت الاستفادة من خبرات الرسامين والكتاب الأجبيين في إنتاج كتب الأطفال. تقول الكاتبة اللبنانية أبو نصر جولندا: "شهد العراق تطورا ملحوظا في العقد القادم بعد الستينات من القرن العشرين حيث دعي الخبراء الأجبيون إلى العراق لتقاسم خبراتهم الطويلة في مجال أدب الأطفال وكيفية إنتاجه شكلا ومضمونا مع الكتاب المحليين العرب".⁴⁶⁹

بعد ظهور "دار الفتى العربي" في لبنان عام 1975م، و"دائرة ثقافة الأطفال" في العراق عام 1977م "كأول مؤسستين عربيتين متخصصتين بأدب الأطفال"⁴⁷⁰ شهدت كتب الأطفال نقلة نوعية في الرسوم والنصوص معا حيث ساعدت كلتا المؤسستين مع المبدعين من مختلف الدول العربية في كتابة النصوص ووضع الرسوم فجاءت إنتاجاتهما لاسيما الرسوم منها بشكل متقدم ومبدع. تمت ترجمة العديد من إنتاجاتهما المتميزة إلى عدة لغات كما فازت بجوائز عالمية. ومع إنشاء جائزة عربية في مجال أدب الأطفال في الثمانينات من القرن العشرين على يد السيدة سوزان مبارك التي كانت رئيسة لفرع المجلس الدولي لكتب الأطفال بمصر، مال الرسامون الشباب إلى ابتكار وحداثة في الرسوم والصور لكتب الأطفال بعد أن نهلوا واستلهموا من زملائهم الأجانب في دور النشر الغربية والعربية. تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور حول تقدم مثير ومدعش في رسوم وصور كتب الأطفال: "وينطبق هذا على الرسم الذي خاض غماره رسامون كبار ورسامون ناشئون. لقد ساهم هؤلاء، لاسيما الشباب منهم بأخذ أدب الأطفال إلى حيز الحيوية والحداثة مستفيدين من اطلاعهم على التطورات العالمية في هذا الحقل"⁴⁷¹.

ومن خلال استعراض حالة كتب الأطفال العربية المتغيرة من حيث الشكل والمظهر الخارجي بين العشرينات والثمانينات من القرن العشرين، يكتب الدكتور علي الحديدي هذه الكلمات: "نلاحظ أن هناك اختلافا كبيرا بين ما كان يقدم للجيل الماضي وما يقدم للجيل الحاضر من الأطفال، فأطفال اليوم تتوفر لهم كتب كثيرة، متنوعة في مادتها الأدبية ومختلفة في موضوعاتها، بينما لم يحصل الجيل السابق إلا على بعض القصص التي يحصرها العد، فقيرة في

⁴⁶⁹ - Abu Nasar, Julinda, The Arab world, Encyclopedia of Children's Literature, Peter Hunt, Page 790.

⁴⁷⁰ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، 20.

⁴⁷¹ - نفس المصدر، ص 24.

الشكل والمظهر، سيئة الطبع ورديفة الورق، وكانت كتب الجيل السابق خالية من الصور الجميلة التي توضح ما كتب. وأطفال اليوم تزخر كتبهم بالصور البديعة الألوان التي رسمها الفنانون، فعبروا عن الفكرة المكتوبة".⁴⁷²

ورغم أن العديد من النقاد والباحثين⁴⁷³ يعتقدون بأن أدب الأطفال العربي لا يزال يعاني من مشكلات وتحديات في إنتاج أدب نوعي للأطفال من حيث شكله الخارجي حتى الآن - وهم على صحة في اعتقادهم إلى حد كبير - ولكن السنوات الأخيرة خاصة منذ الفترة قبل مستهل القرن الحادي والعشرين بأعوام قليلة تشهد اتجاهات متغيرة وتقفز قفزات نوعية تدريجيا في أشكال أدب الأطفال الخارجية والداخلية. تقول الكاتبة الألمانية بيترا دونغيس: "وبالرغم من عراقيل كبيرة، شهد أدب الأطفال الحديث مؤخرا تطورات استثنائية فيما يتعلق بالنص والرسومات التوضيحية وموضوعاته ومضامينه".⁴⁷⁴ إن إنتاج كتب الأطفال في العالم العربي قليل جدا بالنسبة إلى الدول الغربية ولكنه زاد بصورة كبيرة في بعض البلدان العربية في السنوات الأخيرة. وقد أدى كل من المناخ الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، واهتمام الحكومات بشكل خاص تجاه أدب الأطفال وظهور المنظمات غير الحكومية وارتفاع مستوى الدخل للأسرة العربية ومفهوم جديد لرعاية الأطفال وتغير نظرة المجتمع العربي تجاه الطفل وتحسين تعليم المرأة والحملات الترويجية للقراءة على المستوى العالمي والعربي لمحو الأمية مثل برنامج "التعليم للجميع" في مصر عام 1991م إلى تغير يبشر بالخير لأدب الأطفال العربي.

أنشأت دور النشر الهامة العربية قسما خاصا لكتب الأطفال مثل المعهد العربي للبحوث والنشر في لبنان، ودارالشروق ونهضة مصر في مصر، كما تساهم دور النشر الصغيرة مثل الكلمات في الإمارات العربية المتحدة والخيط الصغير في لبنان والسلوى في الأردن ومؤسسة تامر للتعليم المجتمعي في فلسطين وغيرها في البلدان العربية المختلفة في تطوير أدب الأطفال شكلا ومظهرا. إن مشاركة الناشرين العرب لكتب الأطفال في معارض الكتب في العالم العربي وأوروبا قد ازدادت في السنوات الأخيرة مما ساعد كلا من دور النشر العربية والكتاب والرسامين العرب في

⁴⁷² - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، 273.

⁴⁷³ - مقدادي، موفق رياض، أدب الأطفال العربي: واقع وتحديات، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، العدد 1، ص 130.

⁴⁷⁴ - Duges, Petra, Arabic Children's Literature Today: Determining factors and tendencies, PMLA, Vol. 126, No. 1, P 170, January 2011.

الاستفادة من الخبرات الغربية.⁴⁷⁵ في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ظهر جيل جديد من الرسامين العرب الذين تخصصوا في مجال فن الرسم وتصميم كتب الأطفال وحصلوا على الشهادات من الجامعات الأجنبية والعربية واختاروا مجال أدب الأطفال كمهنتهم المستقلة. وأنجوا بعض كتب الأطفال ذات النوعية العالية التي تتماشى إلى حد كبير مع معايير أدب الأطفال المقدم للناشئين في الدول المتقدمة شكلا ومظهرا. إن الفنانة اللبنانية القبرصية منى يقطان التي حصلت على شهادة الرسم والتصميم الجرافيكي وفن التحريك من جامعة فريديريك في قبرص ثم أكملت دراستها العليا في إنكلترا، قامت برسم عدة كتب نوعية للأطفال وحازت على عدة جوائز⁴⁷⁶، كما قدم الرسام المصري الشاب وليد طاهر مساهمته الخصبية في إعطاء مظاهر كتب الأطفال الخارجية أفقا جديدا.

لعب إنشاء الجوائز المحلية والعالمية المتعددة في الدول العربية للأعمال المتميزة في مجال أدب الأطفال دورا كبيرا في ارتفاع مستوى أدب الأطفال العربي.⁴⁷⁷ ومن أهم الجوائز التي أسست لأدب الأطفال في السنوات الأخيرة تشمل جائزة سوزان مبارك في مصر عام 1988م، وجائزة الشارقة عام 1996م وجائزة عبد الحميد شومان لأدب الأطفال في الأردن عام 2006م وجائزة الدولة لأدب الطفل في قطر وجائزة مؤسسة الفكر العربي المسماة بـ "جائزة كتابي" عام 2014م. أسست مؤسسة أنا ليند اليورو متوسطة للحوار بين الثقافات جائزة "اقرأ هنا وهناك" لأدب الأطفال العربي. وفي عام 2009م، أسست أكبر جائزة عربية دولية باسم "جائزة اتصالات لكتاب الطفل" بالمجلس الإماراتي لكتب اليافعين تحت رعاية شركة اتصالات. تعطى هذه الجائزة في الفئات المختلفة ولكن منذ عام 2013م تمت إضافة فئة أخرى وهي جائزة أفضل كتاب إخراجا ورسوما⁴⁷⁸، مما شجع الرسامين والناشرين على أخذ كتب الأطفال مأخذ الجد وابتكار وإبداع في إنتاج كتب الأطفال شكلا ومظهرا. إن المقارنة البسيطة بين كتب الأطفال المطبوعة في يومنا هذا وقبل التسعينات من القرن العشرين تقريبا تظهر لنا بسهولة أن كتب الأطفال الصادرة في الأعوام الأخيرة أحرزت تقدما وتطورا في شكلها ومظهرها الخارجي حيث تمتاز بطباعة أنيقة ونوعية الورق

⁴⁷⁵ - Ibid, 171.

⁴⁷⁶ - الكتيب التمهيدي لركن الرسامين، معرض أبو ظبي الدولي للكتاب، 25 أبريل 2018م.

⁴⁷⁷ - Duges, Petra, Arabic Children's Literature Today: Determining factors and tendencies, P 171.

⁴⁷⁸ - موقع جائزة اتصالات الرسمي (<http://etisalataward.ae/ar/editions/2013.aspx>)

والغلاف المتين والسميك وحجم الكتاب المناسب وجودة الخط والرسوم التوضيحية والصور الخلابية كما يحدد معظم دور النشر الآن الفئة العمرية لكتب الأطفال.

وبشأن هذا الاتجاه المتغير الإيجابي والتقدم المحرز في أشكال أدب الأطفال الخارجية خلال السنوات القليلة الماضية تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور: "من حيث الشكل هناك تطور هام في كتاب الطفل حيث نرى الرسوم الأكثر جاذبية وخيالا، البعض منها يستقي من التراث العربي والإسلامي كمصدر له، والبعض يعتمد على الثقافة الغربية، والبعض الآخر يعتمد مزيجا من الإثنين معا. أما الألوان فباتت أكثر جاذبية وتداخلا مع النص بشكل يجعل من الصفحة فيها لوحة متكاملة، بل إن العديد من الرسوم تحكي القصة بشكل متواز مع تلك المكتوبة وتكملها. حتى شكل الكتاب أصبح متنوعا، يكسر قالب التقليدي، فهناك المربع والمستطيل عرضا، والكبير والصغير. كما اعتمدت أنواع أكثر جودة من ذي قبل، حتى أن بعضها اعتمد ورقا فنيا مميزا"⁴⁷⁹. ورغم أن الناقد الكبير الدكتور سماح إدريس يعتبر أن أدب الأطفال مازال أسير التقليد والاقْتباس من حيث المضامين والأساليب بشكل عام ولكنه يعترف أيضا بتطوره في مجال الرسم والتصميم والطباعة بصورة أساسية حيث يقول: "هناك من سيقفز الآن ليقول إن السوق العربية قد شهدت انفجارا جديدا في أدب الأطفال والناشئة العرب في العقد الأخير، لست من أنصار هذا القول إلا فيما يخص مجال الرسوم والطباعة والتصميم بشكل رئيس"⁴⁸⁰.

تأثير على الشكل الداخلي:

يراد بالشكل الداخلي لكتب الأطفال موضوعات ومضامين تعالج الأعمال الأدبية الموجهة للأطفال. وهناك موضوعات متعددة ومتنوعة لا يمكن عدّها. وفي معظم الأحيان تحمل قصة واحدة في طيها مضامين متعددة. تقول الدكتورة إيمان البقاعي: "من النادر أن يقتصر مضمون قصة ما على لون واحد، وإن كان تصنيفها تحت مضمون معين حسب المضمون الغالب"⁴⁸¹. إن التنوع في موضوعات أدب الأطفال حسب مراحل الأطفال العمرية وحاجاتهم النفسية يوفر فرصة للأطفال لزيادة الخبرات واكتساب المعرفة والمعلومات عن كل ما يحدث حولهم كما يلعب دورا كبيرا في إثراء قاموس الأطفال اللغوي حيث يجد الأطفال ألفاظا وكلمات كثيرة حول الموضوعات

⁴⁷⁹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص: 30.

⁴⁸⁰ - السماح، الدكتور إدريس، السياسة في أدب الأطفال والناشئة العرب: عود على بدء، افتتاحية مجلة الآداب، نوفمبر 2016م.

⁴⁸¹ - البقاعي، د. إيمان، قصة الأطفال والناشئة في لبنان، ص 100.

المتنوعة ويستخدمونها للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم أو عما يجول في خواطرهم من الأفكار المتنوعة.

منذ بداية أدب الأطفال العربي حتى السبعينات من القرن العشرين كانت موضوعات أدب الأطفال تدور عامة حول موضوعات تقليدية محدودة من مواضيع دينية وأخلاقية وتعليمية كان يعتبرها الكاتب مناسبة وكافية للأطفال بأسلوب وعظي وتعليمي وبدون رعاية اهتمامات الأطفال وحاجاتهم ورغباتهم وقضاياهم. يقول الدكتور هادي نعمان الهيتي: "إن أدب الأطفال خلال النصف الأول من القرن العشرين كان ذا صفة وعظية ولم تظهر الكتابات الأدبية الرفيعة - على قلتها - إلا خلال العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن".⁴⁸² ويقول أيضا حول موضوع وأسلوب أدب الأطفال: "إن أساليب عديدة قد ظهرت في العالم في كتابة القصص والمقالات والشعر للأطفال كما أن مضامينها تناولت جوانب متعددة. ومع هذا فإن أساليب ومضامين أدب أطفالنا لا تزال تلف في دائرة مغلقة لا بد لها من أن تتسع وتتفتح".⁴⁸³ وكان هذا بسبب قلة الخبرة في مجال أدب الأطفال والنظرات الخاطئة تجاه الطفل. يقول عميد أدب الأطفال العربي يعقوب الشاروني: "إن جيل كامل كيلاني وما بعده حتى عام 1970م كانوا يرون أن الطفل رجل صغير أو امرأة صغيرة، وكل ما يفعلونه خارج عن سلوك الكبار يعد خطأ، أما الجيل التالي للكيلاني فاهتم بأن يعبر عن البيئة المحلية وقضايا الإنسان المعاصر مثل تنمية الإبداع والتفكير العلمي وقبول الآخر وعدم التمييز بين الفتى والفتاة، وتنمية الشعور بالانتماء إلى الوطن والمحافظة على البيئة وقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة والطفل العامل وأطفال الشوارع مع الاهتمام بالمستقبل"⁴⁸⁴.

إن موضوعات الكتب الغربية المترجمة إلى العربية تأثر بها الطفل العربي. ولاريب في أن هذا التأثير ذو وجهين: وجه إيجابي تجلى في اطلاع الطفل العربي على عادات الأمم الأخرى وتقاليدها، وعلاقة أطفالها بمجتمعهم وأسره وأوطانهم. وهذا ما عزز لدى الطفل العربي مجموعة من القيم المعرفية والاجتماعية والوطنية والإنسانية، بالإضافة إلى المتعة الفنية. أما الوجه السلبي

⁴⁸² - الهيتي، الدكتور هادي نعمان، ثقافة الأطفال، ص 225.

⁴⁸³ - نفس المصدر، ص 226.

⁴⁸⁴ - فتحي، مروة، الكتابة للطفل: كتب الرواد لا تناسب أطفال الكمبيوتر، جريدة التحرير الإخباري المصرية، 30 يناير، 2018م.

فقد تجلى في التركيز على العوالم العجيبة والغريبة، والشخصيات المستمدة من الأساطير والحكايات الشعبية، وخصوصا الجان والسحرة والكائنات الغريبة.⁴⁸⁵

وأما فيما يتعلق بتأثيرات الأدب الغربي على موضوعات كتب الأطفال العربية الأصيلة فبدأت تظهر هذه التأثيرات بوضوح في السنوات الأخيرة عندما برز جيل جديد من الكتاب العرب الذين تخصصوا في مجال أدب الأطفال واختاروه كمهنتهم. إن احتكاك الجيل الجديد العربي من المؤلفين بالكتاب الغرب المبدعين عن طريق المؤتمرات والندوات ومعارض كتب الأطفال واهتمام المنظمات الدولية بالطفل وكل ما يهمه لعب دورا رئيسيا في تغيير نظرة الكتاب العرب تجاه الطفل فيرونه كفرد مستقل يتمتع بعالم خاص، يفرح ويحزن ويقلق ويواجه المشاكل والتحديات مثل الرجال. تكتب الدكتورة نجلاء نصير بشور أنه تغيرت نظرة الوطن العربي إلى مرحلة الطفولة، وذلك بتأثير من نظرة العالم الغربي المتقدم، واهتمام المنظمات العالمية بالطفل وكل ما يهمه.⁴⁸⁶

شهد أدب الأطفال في السنوات الأخيرة اتجاها جديدا فيما يتعلق بموضوعاته حيث تنوعت مضامينه وتم التطرق إلى موضوعات لم يعالجها الكتاب العرب من قبل، وذلك تحت التأثير الغربي. تقول الدكتورة صباح عيسوي: "قبل عقد ونصف عقد لم نكن نجد كتب أطفال بالمستوى المطلوب سواء من حيث الكتابة أو الإخراج والطباعة، لكن الأمر اختلف في الوقت الحالي، حيث بدأ الاتجاه للاستفادة من التجربة الغربية سواء في المحتوى أو شكله".⁴⁸⁷ بدأ الكتاب العرب من الجيل الجديد يختارون موضوعات أعمالهم الأدبية من بيئة الطفل ومحيطه وكل ما يتعلق بفرحه وحزنه وقلقه. برزت المواضيع الاجتماعية الواقعية مثل الطلاق والموت والحرب والفقر والمساواة والإعاقة والمحافظة على البيئة والتنم وغيرها الكثير من الموضوعات التي هي جديدة بالنسبة إلى أدب الأطفال العربي. وأخيرا نالت الموضوعات المحرمة طريقها إلى صفحات أدب الأطفال. كتبت سمر محفوظ براج حول قضية التحرش الجنسي لتوعية الأطفال. يقول الناقد الكبير وال كاتب المصري الشهير في مجال أدب الأطفال يعقوب الشاروني: "لقد أصبح أدب الأطفال قادرا على

⁴⁸⁵ - الفيصل، الدكتور سمر روجي، أدب الأطفال وثقافتهم: قراءة نقدية، ص 81.

⁴⁸⁶ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 24.

⁴⁸⁷ - الشرابي، الدكتورة سلام نجم الدين، الحوار مع الدكتورة صباح عيسوي عن أدب الطفولة، لها اون لاين، 19 فبراير، 2007م.

تناول كل ما يخطر على البال من موضوعات، وتكمن موهبة الكاتب في طريقة وأسلوب هذا التناول، بما يتناسب مع قدرة الطفل على الفهم والاستيعاب".⁴⁸⁸

وبالإضافة إلى هذه التأثيرات الغربية المباشرة وغير المباشرة في السنوات الأخيرة، استوحى أدب الأطفال العربي أيضا من المنهل الغربي في إدخال بعض الأنواع الأدبية على منوال الكتاب الغرب في أدب الأطفال العربي مثل قصص الخيال العلمي بمعناه الفني والكتب المعلوماتية والقصص الموجهة للفئة الخاصة ما بين 12 سنة إلى 18 سنة. إن أدب الخيال العلمي أدب له خصوصياته واستقلالته، والقصة العلمية أهم مكونات هذا الأدب، فهي ليست مغامرات أو خرافات أو شطحات لأضابط لها، وإنما هي أدب يتخذ من الظواهر العلمية مقدمات نحو اكتشافات علمية جديدة، إنها تمهد الطريق للعلماء والباحثين للبحث والتقيب في عالم الفضاء اللامحدود.⁴⁸⁹ وحول نقص الثقافة العلمية في مجال قصص الخيال العلمي التي تحفل بها مكاتب الأطفال الغربية تقول سميحة خريس: "كما تغيب في الوقت ذاته كتب الخيال العلمي المكتوبة بمزوجة بارعة بين العلم والأدب. قد يكون هناك من الترجمات لهذا النوع من الكتابة أكثر من المؤلفات، ربما كان ذلك طبيعيا في مجتمع عربي يستورد العلوم والتكنولوجيا ويستهلكها ولا يعرف أسرار إنتاجها... بهذا الحال أطفالنا مظلومون أيضا".⁴⁹⁰

ومع ذلك، ظهر بعض قصص الخيال العلمي للأطفال العرب في السنوات الأخيرة. في عام 1997م، نشر الكاتب المغربي عبد السلام البقالي قصة "الطوفان الأزرق" التي توقع فيها التغيير البيئي ومشكلة الأوزون.⁴⁹¹ وحاليا فازت رواية "أجوان" للكاتبة الإماراتية الشابة نورة أحمد النومان بجائزة اتصالات المرموقة لأدب الأطفال في فئة الخيال العلمي لعام 2013م. تقول النومان التي تأثرت بكاتب الخيال العلمي الأمريكي الشهير فرانك هيربرت (1920م-1986م) إنها كتبت الرواية لأنها لم تتمكن من العثور على رواية الخيال العلمي في اللغة العربية لابنتها للقراءة، مشيرة إلى أن المواد المناسبة من الخيال العلمي لسن المراهقة كانت غير موجودة تقريبا باللغة العربية.⁴⁹²

⁴⁸⁸ - الشاروني، يعقوب، أدب الأطفال: فن وعلم، ص 6.

⁴⁸⁹ - الهابط، طلعت أبو اليزيد، أدب الطفل لماذا؟ ص 109.

⁴⁹⁰ - خريس، سميحة، نكتب للطفل وكأنه نحن، مجلة الجوبة، ص 11، العدد 32، صيف، 2011م.

⁴⁹¹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، 27.

⁴⁹² - جمعة، مريم، "نورة النومان: رواية الخيال العمي الإماراتية قادمة"، جريدة البيان، 3 مايو، 2018م.

وطبقا لعلماء النفس والتربويين، تعتبر مرحلة الطفولة الأخيرة أو المراهقة فترة الضغط والاحتكام. خلال هذه الفترة، يخضع اليافعون لتغييرات جسدية ونفسية وعاطفية وشخصية بشكل كبير، ويواجهون التحديات المختلفة والأزمات النفسية والعاطفية بسبب الصراع الداخلي والخارجي. لم تكن المكتبات العربية تضم بين جنباتها قسما خاصا بأدب اليافعين. لكن العقد الأخير شهد في العالم العربي زيادة كبيرة في الإنتاج العربي الذي يخاطب الناشئين العرب. وبدأ الكتاب يكتبون روايات تناسب لهذه الشريحة من اليافعين. فروايات "فاتن" للكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين، و"غدي وروان" للكاتبتين المشاركتين من لبنان فاطمة شرف الدين وسمر محفوظ براج، و"ست الكل" للكاتبة الأردنية تغريد عارف النجار هي البعض من الروايات الشهيرة التي تخاطب جمهور الشباب والشابات. في عام 2013م، أطلق المجلس الإماراتي لكتب اليافعين "جائزة أفضل كتاب لليافعين" ضمن "جائزة اتصالات لكتاب الأطفال"⁴⁹³. وبذلك القول إن أدب الأطفال العربي ضمن تأثره بأدب الأطفال الغربي والاستفادة منه يقدم الآن بعض كتب الأطفال ذات النوعية العالية التي تتماشى إلى حد كبير مع معايير أدب الأطفال المقدم للناشئين في الدول المتقدمة شكلا ومضمونا إذ يقول بطران: يبدو صعبا في معظم الأوقات أن نميز بين كتب الأطفال اللبنانية وكتب الأطفال المنشورة في معظم البلدان الغربية.⁴⁹⁴ وفوق كل ذلك، فازت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي في رام الله بفلسطين لمحاولاتها الإبداعية في مجال أدب الأطفال بجائزة أستريد ليندجرين في عام 2009م، وهي أكبر جائزة عالمية لأدب الأطفال. وهذا يشير إلى ارتفاع مستوى الجودة والنوعية لأدب الأطفال العربي في السنوات الأخيرة.

وفيما سبق يمكننا أن نقول إنه ولو أن الاحتكاك وقع وجرى بين الآداب والثقافات ذات الألوان والحضارات بغض النظر عن القلة والكثرة، فكما أن الشرق تأثر بالغرب في سبيل احتكاك الأفكار والتقنيات والموضوعات حديثة الظهور كذلك تأثر الغرب بالشرق في أول مبادرته نحو إنشاء القصص الخرافية وإنتاج أدب الأطفال مستمدا من حكاية "ألف ليلة وليلة" و "بانشانترا" هندية الأصل. وخير شاهد على ذلك ماكتبه الدكتور علي الحديدي في كتابه "في أدب الأطفال" حيث يقول: "وقد ظهر أثر الشرق العربي في الأدب الفرنسي خاصة وكتب في هذا التأثير كثير من الباحثين. وكان ممن ألف في أثر الشرق في الأدب الفرنسي في القرنين السابع عشر والثامن

⁴⁹³ - قائمة الجوائز في الفئات المختلفة، موقع جائزة اتصالات الرسمي، (تاريخ الاطلاع على الموقع: 1 يناير 2016م).
⁴⁹⁴ - Cednil, Valentina, A magic carpet trip to the children's book of the middle east, P 29-30.

عشر المستشرق "مارتينو". وكان القصص الشرقي بعامة والعربي بخاصة من أهم ما استلهمته أوروبا في هذه الفترة لتستمتع به وتنتج على منواله".⁴⁹⁵

⁴⁹⁵ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 46.

الباب الرابع

دراسة تحليلية انتقائية لموضوعات معاصرة في أدب الأطفال العربي

الفصل الأول: موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في النثر

الفصل الثاني: موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في الشعر

الفصل الثالث: تحليل موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي من النثر والشعر

الفصل الأول

موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في النشر

الفصل الأول

موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في النثر

بدأ أدب الأطفال العربي بمفهومه الجديد والإطار الفني بمصر في العصر الحديث في معرض التعليم المدرسي من خلال ترجمة الكتب والقصص من الآداب الأجنبية خاصة الفرنسية والإنجليزية إلى العربية على يد رفاة الطهطاوي ومحمد عثمان جلال في القرن التاسع عشر. وقبل ظهور الرائد الحقيقي لأدب الأطفال العربي كامل الكيلاني والشاعر الكبير محمد الهراوي في العشرينيات من القرن العشرين، كان أدب الأطفال يقتصر على الأهداف التعليمية المحضة من خلق المهارات اللغوية وغرس القيم الخلقية والصفات الحميدة في الأطفال داخل المدارس بأسلوب وعظي وتعليمي. وحسب ما ذكره الدكتور زكي مبارك، بدأت الكتابة للأطفال في جو التسلية والمتعة بعيدة من البيئة التدريسية لأول مرة من الكيلاني والهراوي حيث يقول: "أشهر المؤلفين في هذا الباب رجلا: محمد الهراوي وكامل كيلاني، وهما بعيدان عن التدريس"⁴⁹⁶.

ورغم اعتراف الباحث وكل من يهتم بأدب الأطفال العربي بالخدمات الجليلة التي قدمها الكيلاني والهراوي ومن جاءوا بعدهما في تطوير أدب الأطفال في العالم العربي، فما زال يعاني أدب الأطفال في العالم العربي من أزمة الجودة والنوعية من حيث شكله الداخلي والخارجي لوقت طويل بأسباب عديدة مثل عدم الاهتمام بالطفولة وحقوقها واستهانة واستخفاف أدب الأطفال بالمجتمع العربي وعدم الجدية تجاه أدب الأطفال من قبل الأدباء وغيرهم.⁴⁹⁷

في السنوات الأولى من بداية أدب الأطفال كان المجتمع العربي مجتمع الرجل، ولم يكن للطفل أو الطفلة مكان فيه إلا في ظلال الرجال. وكان الأطفال يعتبرون أنهم صورة مصغرة للرجل، ولم تتمتع رعاية الأطفال بنصيب من الناحية النفسية أو العاطفية أو الترفيهية. يقول الأستاذ يعقوب الشاروني: "إن جيل كامل الكيلاني وما بعده حتى عام 1970م كانوا يرون أن الطفل رجل صغير أو امرأة صغيرة وكل ما يفعلونه خارج عن سلوك الكبار يعد خطأ"⁴⁹⁸. كان

⁴⁹⁶ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص: 12.

⁴⁹⁷ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 256-257.

⁴⁹⁸ - الشاروني، يعقوب، الكتابة للطفل: كتب الرواد لا تناسب أطفال "الكيبورد"، جريدة التحرير، 30 يناير، 2018م.

الأدباء في تلك الفترة يكتبون للأطفال كل ما يرونه مناسباً للأطفال بدون النظر إلى حاجات الأطفال الخاصة من الناحية النفسية والعقلية والعاطفية والترفيهية. وكان اللون التعليمي والإرشادي سائداً على محتويات أدب الأطفال، وكانت الموضوعات تدور حول المضامين المحدودة المتكررة حول القيم الأخلاقية والتعليمية والدينية والوطنية. أما الكتب الموجهة إلى الأطفال من ناحية الطباعة فكانت فقيرة في الشكل والمظهر، سيئة الطبع، رديئة الورق، وخالية من الصور الجميلة التي توضح ما كتب. وظلت حالة كتب الأطفال هكذا حتى أنشئت دار الفتى العربي في بيروت عام 1974م، وبدأ وضع أدب الأطفال يتحسن منذ الثمانينيات من القرن العشرين وأخذ يزدهر في أنحاء العالم العربي.

شهد أدب الأطفال في العالم العربي بعد التسعينيات من القرن العشرين عدداً ملحوظاً من التغيرات والاتجاهات الجديدة في أشكاله الداخلية والخارجية. وقد أدى كل من المناخ الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، واهتمام الحكومات بشكل خاص تجاه أدب الأطفال⁴⁹⁹، وظهور المنظمات غير الحكومية، والازدهار الهائل في قطاع النشر، ومفهوم جديد لرعاية الأطفال وعوامل أخرى مختلفة، إلى هذه التغيرات في أدب الأطفال. في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ظهر جيل جديد من الكتاب العرب الذين تخصصوا في مجال أدب الأطفال واختاروه كمهنتهم وأنتجوا بعض الأدبيات ذات النوعية العالية التي تتماشى إلى حد كبير مع معايير أدب الأطفال المقدم للناشئين في الدول المتقدمة كما تراعي الجوانب النفسية للأطفال وتقوم بترويج تنميتهم الشاملة. إن الكتب المصورة الجذابة، وتأليف الكتب وتصنيفها حسب المراحل العمرية المختلفة للأطفال، واستخدام الألوان الجذابة، والرسوم التوضيحية الجيدة، هي بعض اللحاحات من التغيرات الخارجية في أدب الأطفال العربي بعد التسعينيات من القرن العشرين.

تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور: "من حيث الشكل هناك تطور هام في كتاب الطفل حيث نرى الرسوم الأكثر جاذبية وخيالاً. أما الألوان فباتت أكثر جاذبية وتداخلت مع النص بشكل يجعل من الصفحة فيها لوحة متكاملة، بل إن العديد من الرسوم تحكي القصة بشكل متواز مع

⁴⁹⁹ - عبد الفتاح، الدكتور اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص: 37.

تلك المكتوبة وتكملها".⁵⁰⁰ وهذا الاتجاه المتغير في أدب الأطفال العربي سيظهر بسهولة لكل من يقارن بين كتب الأطفال المطبوعة في القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين.

بالإضافة إلى التغيرات في الشكل الخارجي لأدب الأطفال، ظهرت بعض الاتجاهات الجديدة المتعلقة بموضوعات ومحتويات أدب الأطفال في العالم العربي في السنوات الأخيرة. تغيرت وجهات نظر الأدباء والكتاب تجاه الطفل وبدأوا ينظرون إليه كفرد مستقل، له عالمه الخاص والحاجات الخاصة. انتشرت دراسة علم نفس الطفل في الدول العربية كدراسة مستقلة خاصة، وأجريت البحوث والدراسات حول أدب الأطفال وطريقة كتابته في المؤتمرات والندوات العلمية، وأدخل أدب الأطفال كفن مستقل في الجامعات والكليات العربية. برز جيل جديد من الكتاب وأخذوا ينتجون الكتب الموجهة إلى الأطفال من ناحية وجهة نظر الأطفال وحاجاتهم النفسية والعاطفية بهدف التسلية والتربية معاً. ظهرت المواضيع حول الطفل ومشاكله العاطفية، بالإضافة إلى الموضوعات المتنوعة الجديدة التي تتسم بالاتجاه الواقعي في أدب الأطفال. قد أخذت تلك الموضوعات والمضامين التي كانت تعتبر في بداية الأمر من القضايا المحرمة والحساسة للأطفال والناشئين تجد طريقها إلى أدب الأطفال. وفي السطور الآتية نحاول تسليط الضوء على الموضوعات والمضامين المعاصرة لأدب الأطفال في النثر من القصة والرواية. وجدير بالذكر أن هناك موضوعات لا يزال يعالجها الكتاب في جميع مراحل أدب الأطفال بغزارة ولكنها تغيرت الطريقة والأسلوب لمعالجة تلك الموضوعات. وهناك موضوعات تعد جديدة على الإطلاق، لم يتطرق إليها الأدباء إلا في السنوات الأخيرة.

الموضوعات المعاصرة لأدب الأطفال العربي في النثر

ورد معنى كلمة الموضوع في المعجم الوسيط: "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"، وجمعها الموضوعات والمواضيع.⁵⁰¹ الموضوع وهو يتعلق بالفكرة الرئيسية والرسالة التي تبني عليها الأعمال الأدبية خاصة القصة، وتمثل العمود الفقري لكل منها، ويرى البعض⁵⁰² أنها

⁵⁰⁰ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص: 30.

⁵⁰¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 1040.

⁵⁰² - الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائطه، ص 136.

تشبه الجنين الذي تضمه النبتة الكاملة". والأديب الناجح هو الذي يعرف كيف يختار موضوعه، ويكتشف الفكرة المناسبة التي تتضمنها أعماله الأدبية، ولا ننسى في هذا المجال أن أدب الأطفال - أكثر من غيره - مرتبط بأهداف وغايات. ومن هنا تأتي أهمية تحديد الفكرة واختيارها لأنها تكشف هدف المؤلف وغايته، وتحقق ما يريده من القصة. يقول محمد حسن بريغش: "القصة التي تخلص من موضوع وهدف فإنها ضارة للطفل".⁵⁰³

والفكرة الجيدة هي التي تهتم بالأمور الأساسية التي نهدف إليها في تربية الطفل، فضلا عن إثارة انتباهه وجذب اهتمامه للقصة، ومن المهم أن تتسم الفكرة بالصدق الذي يترك أثره في الطفل خلال قراءته أو سماعه لها. والفكرة ليست أمرا غائما وإنما هي مما يتعلق بمستوى الطفل، ويلائم خبراته واهتماماته مع الحذر من إقحام الموضوعات أو الأفكار بشكل مفتعل، أو استخدام طريقة التلميح الذي يؤدي إلى الغموض بل يلجأ الكاتب إلى مراعاة قدرات الطفل العقلية في ذلك كله، واستخدام الطريقة المناسبة في عرض الفكرة بحيث تستثير عند الطفل التفكير وتدفعه لتلمس الحلول واستنباط الحكمة.

ويمكن أن تدور الفكرة والرسالة التي يريدها كاتب أدب الأطفال نقلها إلى الأطفال حول موضوعات كثيرة ما دام الهدف واضحا عند الكاتب. ولا يمكن تحديد موضوعات ومضامين أدب الأطفال في دائرة خاصة أو محدودة بل تتسع دائرته و تتناول كل أنواع المضمون والموضوع في عصرنا هذا مع رعاية عقلية الطفل. يقول الناقد الكبير والكاتب المصري البارز لأدب الأطفال يعقوب الشاروني: "لقد أصبح أدب الأطفال قادرا على تناول كل ما يخطر على البال من موضوعات، وتكمن موهبة الكاتب في طريقة وأسلوب هذا التناول، بما يتناسب مع قدرة الطفل على الفهم والاستيعاب".⁵⁰⁴ ويقول الدكتور أحمد زلط: "ومن الخطأ البين، القول بأن مضامين أدب الأطفال منفصلة عن أدب الكبار، أو أنها نشأت منعزلة عن التيار الأدبي العام، أو يظن أنها تقوم بمقاييس تختلف عن أدب الكبار، فقد يختلف أدب الصغار عن أدب الكبار في تلك

⁵⁰³ - بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، 217.
⁵⁰⁴ - الشاروني، يعقوب، أدب الأطفال: علم وفن، ص 6.

الأمر التي لا مفر منها من أن تختلف فيها العقليتان والإدراكان، ومن ثم فنتاج الذهن من أدب الأطفال، يستحق أن يواجه نفس المستويات من النقد".⁵⁰⁵

وعندما ننظر إلى محتويات ومضامين أدب الأطفال العربي، نجد أن الموضوعات قد تكون مأخوذة من كتاب الله عز وجل، أو حديث رسول الله ﷺ، أو من الموضوعات المستمدة من السيرة النبوية، أو التاريخ الإسلامي والعربي، أو من الموضوعات الخاصة بالقضايا الاجتماعية والسلوكية كالتعاون، والأثرة، والأخوة، والإخلاص وحب العمل وغيرها من الموضوعات اللامتناهية. وقد تدور الفكرة حول تصرفات الإنسان أو الحيوان والنباتات أو حول موضوع علمي أو قصة اختراع أو حول بلدة من البلدان. وقد تدور حول موضوعات خرافية وشعبية وغيرها. ومع تطورات العصر وانتشار الوعي الاجتماعي في الدول العربية حول حقوق الطفل وتعليمه تدخل الموضوعات الجديدة بصورة تدريجية حول ذات الطفل وسلوكه، وحرزته وفرجه، ومشاكله في أدب الأطفال، ونجد الموضوعات حول الأطفال المعاقين وأطفال الشوارع وشمولهم في التيار الرئيسي مع الأطفال الأسوياء. والموضوعات حول المحافظة على البيئية ومشاكل المجتمع، والمساواة بين الجنسين، وقصص الحيوانات مع الصفات البشرية، والقصص التوعوية حول التحرش الجنسي والتدخين والمخدرات وغيرها تجد رواجاً في أدب الأطفال العربي.

يقول الدكتور علي الحديدي: "وإذا نقوم باستعراض أدب أطفال في اللغة العربية منذ طلوع فجره في العشرينات من القرن العشرين حتى الآن، فنلاحظ أن هناك اختلافاً كبيراً بين ما كان يقدم للجيل الماضي وما يقدم للجيل الحاضر من الأطفال"⁵⁰⁶. ويمكننا أن نشير إلى بعض أهم الموضوعات المعاصرة المكتوبة في أدب الأطفال العربي وهي كما يلي:

- الموضوعات الأخلاقية
- الموضوعات الدينية
- الموضوعات السياسية
- الموضوعات الوطنية
- الموضوعات التعليمية

⁵⁰⁵ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 16.

⁵⁰⁶ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 273.

- الموضوعات المبنية على الأسرة
- الموضوعات المبنية على الحياة المدرسية
- الموضوعات المبنية على الصداقة
- الموضوعات المبنية على تنمية الخيال
- الموضوعات المبنية على الأمانة
- الموضوعات المبنية على نمو الأطفال
- الموضوعات المبنية على الشفقة والمحبة
- الموضوعات المبنية على المساواة
- الموضوعات المبنية على فكرة الموت
- الموضوعات المبنية على الإنصاف والعدالة
- الموضوعات المبنية على الأمن والسلام
- الموضوعات المبنية على الاختلافات الفردية
- الموضوعات المبنية على التعاون
- الموضوعات المبنية على الشجاعة والجرأة
- الموضوعات المبنية على المشاكل الاجتماعية
- الموضوعات المبنية على الولاء والإخلاص
- الموضوعات المبنية على التفاؤل والأمل
- الموضوعات المبنية على اللطف والإحسان مع الآخرين
- الموضوعات المبنية على محافظة البيئة
- الموضوعات المبنية على شمول الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة
- الموضوعات المبنية على توعية الأطفال عن التحرش الجنسي

وبالإضافة إلى الموضوعات المذكورة أعلاه، هناك موضوعات أخرى لاتعد ولا تحصى. وجدير بالذكر أن بعض الموضوعات تتداخل بعضها البعض، وأن القصة الواحدة قد تحمل في طياتها مضامين ورسائل عديدة. تقول الدكتورة إيمان البقاعي: "من النادر أن يقتصر مضمون قصة ما

على لون واحد، وإن كان تصنيفها تحت مضمون معين حسب المضمون الغالب".⁵⁰⁷ ويقول محمد حسن بريغش: "أيا كان الموضوع فالأطفال يستفيدون منه ما دام هادفاً يمتاز بمادة مثيرة ومؤثرة، ويتسم بالصدق والوضوح، ويتناسب مع اهتمامات الطفل ومدركاته المختلفة"⁵⁰⁸. ومن المناسب أن نسلط الآن الضوء على تلك الموضوعات التي يتناولها الكتاب المعاصرون لأدب الأطفال في البلاد العربية المختلفة في عصرنا هذا بموجب بعض التصنيفات لكي نتعرف على اتجاهات متغيرة في أدب الأطفال من حيث الموضوع والكتابة.

الموضوعات الدينية

إن الموضوع الديني من أبرز المواضيع التي مازال يتناولها الكتاب في أعمالهم الأدبية الموجهة إلى الأطفال في جميع مراحل أدب الأطفال بوفرة وكثرة. تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور: "أما القصص الديني فقد أنتج بكثافة، وقد استمر في باقي المراحل".⁵⁰⁹ وجد الكتاب الذين عالجوا الموضوعات الدينية مصادراً خصبة لأخذ فكرة قصصهم، لأن هذا النوع من الموضوع يشتمل على قصص القرآن وسير الأنبياء والرسل والصحابة والخلفاء والأبطال الخالدين الذين دافعوا عن قضية الدين حيث يجد الطفل الموعظة الحسنة والمثل الأعلى. وتعرف القصة الدينية بأنها هي كل ما يستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين والفتوح الإسلامية وقيم الدولة الإسلامية. وما يستمد من القرآن في شكل قصص الأنبياء والأمثال التي يضربها القرآن في شكل قصصي. أما السيرة والسنة فتعطينا الغزوات ومواقف الصحابة المشاهير والتابعين البارزين، وقصص الفتوح تقدم البطولات والتضحيات المثالية.⁵¹⁰ وتشرح القصة الدينية للأطفال أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وتعزز في نفوسهم الإيمان بالله، وبرسله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر، كما تحثهم على المعاني الفاضلة.⁵¹¹

من المعلوم أن الدين هو جزء لا يتجزأ من حياة وثقافة العرب، ويعتمد عليه نجاح الدنيا والآخرة. فالآباء والأمهات وأولياء الأمور يرغبون أولاً في الحفاظ على عقائد أطفالهم الدينية

⁵⁰⁷ - البقاعي، د. إيمان، قصة الأطفال والناشئة في لبنان، ص 100.

⁵⁰⁸ - بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، ص 218.

⁵⁰⁹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 18.

⁵¹⁰ - بلقاسم، وسيلة شيخه، الخصائص الأسلوبية في أدب الأطفال: قصة أطفال أوفياء نموذجاً، ص 40.

⁵¹¹ - المعال، الدكتور عبد الفتاح، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ص 75.

وتربيتهم الصحيحة على الثقافة العربية والإسلامية، ويبحثون عن الكتب التي تغرس في أطفالهم القيم العربية الأصيلة. ورغم أن شهد أدب الأطفال في السنوات الأخيرة تطورات جديدة من ناحية المضمون والموضوع، ولكنه لم يضمحل لون الموضوعات الدينية، بل بدأ الكتاب يقدمونها في ثياب جديد وحلة قشبية للأطفال. وفي هذا المجال اكتسب الكاتب المصري عبد التواب يوسف (1928م-2015م) سمعة كبيرة على المستوى المحلي والعالمي، وفاز بجائزة معرض بولونيا عام 2000م عن كتابه الشهير "حياة محمد في عشرين قصة"⁵¹².

طبعت هذه القصة في عام 2005م، ونشرت سبعة ملايين نسخة. يحكي الكاتب الموهوب عبد التواب يوسف للأطفال سيرة النبي ﷺ من الولادة السعيدة إلى الهجرة النبوية بأسلوب طريف ومبتكر. ورغم أن جاءت القصص على أسنة الحيوانات والطيور والشجرة والليله والحجر والبئر وغيرها التي يحبها الأطفال إلا أنها حكايات واقعية وحقيقية تتسم بالصدق والأصالة. اعتمد الكاتب في كتابة القصة على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والكتب التي تحكي حياة النبي صلى الله عليه وسلم ليقدّم للأطفال الطيبين والأبرياء قصة حياة النبي الحبيب بهذه الطريقة الجديدة. وبالإضافة إلى هذه القصة الشهيرة، كتب عبد التواب يوسف العشرات من القصة الدينية ومنها: "محمد خير البشر ﷺ"⁵¹³، وهي مجموعة قصصية تشتمل على خمس عشرة قصة، وتتحدث كل قصة صفة من صفات الرسول ﷺ ذكرها القرآن الكريم، وقصة "عمر بن الخطاب" التي تتحدث عن شخصية عمر رضي الله عنه وواقعة دخوله في الإسلام، وقصة "العدل أساس الملك"⁵¹⁴ وغيرها.

والهدف الأساسي وراء معالجة الموضوعات الدينية هو زرع القيم الدينية وترسيخ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله في الأطفال. يقول عبد التواب يوسف نفسه: "نحن نستهدف فيما نكتب أن نضع أقدام الناشئة على طريق الإيمان بالله، ورسوله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر".⁵¹⁵

⁵¹² - عبد التواب يوسف، حياة محمد في عشرين قصة، القاهرة، 2005م

⁵¹³ - عبد التواب يوسف، محمد خير البشر ﷺ، القاهرة، 1994م.

⁵¹⁴ - عبد التواب يوسف، العدل أساس الملك، القاهرة، 1991م.

⁵¹⁵ - شفاء بنت عبد الله، قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال، دراسة تحليلية فنية، ص 119.

وبالإضافة إلى عبد التواب يوسف، كتب الكاتب السعودي الشهير يعقوب إسحاق في السنوات الأخيرة قصصاً دينية في حلة جديدة ضمن سلسلة "ديننا يأمر بالرحمة وينهى عن الإرهاب" عام 1430هـ. وفي هذه السلسلة نجد قصصاً عديدة بما فيها "إيهاب والإرهاب" و "دين واحد لإله واحد" و "المسلم من سلم الناس أذاه" وغيرها⁵¹⁶ من القصص الدينية. عالجت الكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين الموضوعات الدينية في كتاباتها الموجهة إلى الأطفال لمساعدتهم على فهم معاني العادات والتقاليد الدينية في هذا العصر المادي فقدمت قصتين "رمضان في الإمارات"⁵¹⁷ و "حذاء العيد"⁵¹⁸، كما كتبت حول سيرة الأنبياء عليهم السلام في كتب عديدة مثل: محمد وعيسى ونوح وموسى ويوسف وغيرها⁵¹⁹، لكي يطلع الطفل على حياتهم وخدماتهم الجليلة تجاه الإنسانية ويحتذي بهم في حياته القادمة. وكتبت الأدبية اللبنانية نبيهة محيدلي (1962م-...) قصصاً دينية غير مباشرة في قالب جميل جديد مليء بالصور البديعة والجزابة باسم "سبحان الله" و "إن شاء الله" و "شكراً" في إطار الحياة الحديثة.⁵²⁰

الموضوعات الوطنية

تحتل الموضوعات الوطنية والقومية حيزاً كبيراً في أدب الأطفال العربي وتعد من أبرز المواضيع التي يتطرق إليها كتاب أدب الأطفال في قصصهم ومسرحياتهم النثرية الموجهة إلى الأطفال. تعد قضية حب الوطن والحفاظ عليه جزءاً من الإيمان عند المسلمين. ومن المعلوم أن البلاد العربية في السنوات الماضية شهدت نضالات قومية وحروباً سياسية واحتلالات أجنبية على الأراضي العربية، خاصة ما وقع في فلسطين عام 1948م على يد القوات الصهيونية هز الكيان العربي. إن القصص الوطنية والقومية تعتمد على ترسيخ حب الوطن والدفاع عنه، وتعبر عن بطولة شعب أو بطولته يقوم الأطفال أو الكبار بأداء الأدوار فيها دفاعاً عن حق أو قضية إنسانية نبيلة أو التضحية من أجل الوطن. تؤدي القصص الوطنية دوراً هاماً في غرس الفكر والاتجاهات الوطنية عند الأطفال، وتعمل على تركيز انتماؤهم إلى الوطن العربي وعلى توحده وصور كرامته والدفاع عنه ضد الطامعين والمحتلين. وترسخ هذه القصص من خلال الفكر التي ترد في

⁵¹⁶ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 47-57.

⁵¹⁷ - شرف الدين، فاطمة، رمضان في الإمارات، دار كلمات، الإمارات، 2015م.

⁵¹⁸ - شرف الدين، فاطمة، حذاء العيد، دار كلمات، الإمارات، 2010م.

⁵¹⁹ - شرف الدين، فاطمة، جميع الكتب حول سيرة الأنبياء، دار كلمات، الإمارات، 2014م.

⁵²⁰ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 28.

مضامينها التضحية والدفاع عن الوطن ومقاومة الاحتلال وتحرير الأرض وخلق الوحدة والوئام بين الدول العربية. تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور: "الهم الوطني الفلسطيني مادة أدبية غزيرة عند الأدباء العرب المعاصرين منذ الخمسينيات من القرن العشرين، إلا أنه انتعش في المراحل اللاحقة، بحيث وجدت القصة والقصيدة الوطنية الفلسطينية طريقها إلى مدارس عدد من البلدان العربية".⁵²¹ ولما كان أدب الأطفال يعكس واقع الحياة الاجتماعية وهمومها وتطلعاتها فأصبحت القضية الوطنية موضوعاً هاماً لأدب الأطفال. وتطرق الأدباء في البلاد العربية المختلفة إلى الموضوعات الوطنية لخلق الوعي الوطني بين الأطفال وغرس القيم الوطنية فيهم. وفي هذا الباب نجد قصة جميلة باسم "أجمل الأوطان" للكاتب السعودي يعقوب إسحاق.

الموضوعات البيئية

لا يخفى على أحد أن العالم في عصرنا الراهن يمر بمرحلة صعبة فيما يتعلق بالقضايا البيئية. تسبب التقدم الصناعي و التكنولوجيا والإهمال الشديد على مستوى الحكومات والشعب في خلق الكثير من المشاكل البيئية مثل الاحتباس الحراري وتلوث الهواء واستنفاد طبقة الأوزون وتلوث المياه وتغير المناخ وغيرها، التي تؤثر على كل البشر والحيوانات والأمة على هذا الكوكب الأرضي. وتتفق مليارات دولار على المشاريع والسياسات لتخفيف التأثيرات البيئية التي يقف ورائها الإنسان مباشرة، وتطوير فكرة التنمية المستدامة من أجل الحفاظ على ثروات الأرض للأجيال القادمة. الأطفال هم رجال الغد وقادة المستقبل، وأكبر وسيلة كامنة للتغيير بالمجتمع في الأيام القادمة. فمسئولية إثارة إحساس الأطفال بالجمال والطبيعة وبتث الوعي البيئي بينهم منذ نعومة أظفارهم تقع على كواهل الكتاب لأدب الأطفال.

ومعرباً عن قلقه حول عدم وجود الموضوعات والمضامين المتعلقة بالمحافظة على البيئة يقول الدكتور اسماعيل عبد الفتاح: "الكثير من مضامين الكتب لا يلتفت إلى المشكلات السلوكية الشائعة في مجتمعاتنا مثل التلوث البيئي والخروج عن التقاليد".⁵²² ولكن السنوات الأخيرة شهدت اتجاهات متزايدة عند كتاب أدب الأطفال حول معالجة القضايا التي تشجع الأطفال على محافظة البيئة وإنقاذ العالم من تحديات البيئة والتلوث. وفي هذا الباب، نجد كتاب "سر الحياة" لهديل غنيم يعالج موضوع أزمة

⁵²¹ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 17.

⁵²² - عبد الفتاح، الدكتور اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 40.

الماء، ويسلط الضوء على أهمية الماء كوسيلة هامة في حياة الإنسان، ويلقي درس التنمية المستدامة، ويحرض الأطفال على استخدام الماء وفق حاجاتهم والحفاظ عليه للأجيال القادمة ويمنعهم من الإسراف فيه.

عالج الكاتب السعودي يعقوب إسحاق قضية البيئة التي أصبحت مجالا خصبا للكتابة للأطفال في هذه الأيام نظرا لخطورة الموضوع وتهديداته لوجود الإنسان وبقائه، فحرص الكاتب على استخدام القصص ذات المضامين البيئية ضمن سلسلة "التوعية البيئية للأطفال" لبث الوعي البيئي بين الصغار والناشئين، وتشجيعهم على الاهتمام بالمحافظة على البيئة. كتب قصصا عديدة حول الموضوع بما فيها قصة "أُمَّنا الأرض مريضة"⁵²³ و"أضرار البيئة الملوثة"⁵²⁴ و"كلنا أطباء للأرض المريضة"⁵²⁵ وغيرها. وتناول فيها موضوعات بيئية كالتلوث المائي والهوائي وأضرارهما، وارتفاع درجة الحرارة في الغلاف الجوي، والتأثيرات السلبية لعدم نظافة المدخرات الشخصية.⁵²⁶

وعالج الكاتب المصري يعقوب الشاروني في قصتي "معجزة في الصحراء"⁵²⁷ و "مغامرة زهرة مع الشجرة"⁵²⁸ قضية المحافظة على البيئة وتنمية الصحراء العربية ومشكلة المياه والتفكير العلمي والتنمية المستدامة لغرس القيم البيئية في الأطفال والناشئين وتشجيعهم على الحفاظ على الطبيعة من التلوث الذي يسببه الإنسان.

الموضوعات السياسية

التنشئة السياسية هي إحدى العمليات الاجتماعية التي يكتسب الأفراد عن طريقها المعلومات والقيم والاتجاهات التي تتعلق أو ترتبط بالنسق السياسي لمجتمعهم. إن التنشئة السياسية للطفل منذ سنواته الأولى تلعب دورا هاما في إيقاظ إحساس الطفل بالمسئولية تجاه أمور وطنهم ومستقبل بلدهم كما تساعده على تطوير آرائه الخاصة ومعرفة كيفية الدفاع عنها باحترام.

⁵²³ - إسحاق، يعقوب، أمنا الأرض مريضة، دار أبي حسن، مكان النشر غير مذكور، 1428هـ.

⁵²⁴ - إسحاق، يعقوب، أضرار البيئة الملوثة، دار أبي حسن، مكان النشر غير مذكور، 1428هـ.

⁵²⁵ - إسحاق، يعقوب، كلنا أطباء للأرض المريضة، دار أبي حسن، مكتن النشر غير مذكور، 1428هـ.

⁵²⁶ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 121.

⁵²⁷ - الشاروني، يعقوب، معجزة في الصحراء، دار نهضة مصر، القاهرة، 2013م.

⁵²⁸ - الشاروني، يعقوب، مغامرة زهرة مع الشجرة، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، 2012م.

يكتب الدكتور يعقوب الشاروني أنه في ضوء التطورات السياسية الحالية في مصر من الضروري والمهم أن تلعب المدرسة والأسرة دورهما في تربية الأطفال السياسية بواسطة تعويدهم على التعبير عن آرائهم واحترام رأى الآخرين والمشاركة في إبداء الرأى حول ما يهم مجتمعهم لأنها هي المقدمة الأساسية لاختيار من يمثلهم في مجلس الشعب.⁵²⁹

هناك عدد لا يستهان به من القصة والمسرحية والأنواع الأدبية الأخرى التي تحاول غرس حب الوطنية والقومية والعروبة في نفوس الأطفال والناشئين. ولكنه كان هناك نقص كبير فيما يتعلق بوجود القصص أو المواد الأدبية الأخرى التي تتحدث أو تحاول غرس القيم الديمقراطية والتنشئة السياسية في أدب الأطفال. وبعد محاولات شاقة بذلها الباحث في تصفح المكتبات الرقمية ومواقع المتاجر الإلكترونية عثر على بعض القصص العربية الموجهة للأطفال، تهدف إلى التنشئة السياسية وغرس القيم الديمقراطية في الأطفال منذ نعومة أظفارهم.

في عام 2017م، نشر الكاتب الفلسطيني سهيل كيوان قصة "في بلدنا انتخابات"⁵³⁰. تعالج القصة موضوع الانتخابات في قرية عربية لانتخاب السلطة المحلية. يصف الكاتب كيف تزداد نشاطات أهل القرية بعد إعلان تاريخ يوم الانتخابات حيث يخوض المرشحان أبو شاهر وأبو نادر في المعركة الانتخابية، وارتفعت هتافات ونعرات في تأييد كل منهما وظهرت اللافتات على قارعة الطريق وسطوح الشرفات وبدأ الناس يناقشون ويحاورون ويحللون الانتخابات الوشيكة. يعقد المرشحان حلقات واجتماعات انتخابية ويقدمان برنامجهما الانتخابية المعسولة من فتح المدارس وتمكين المرأة والعدل الاجتماعي لإغراء الناس على الإدلاء بأصواتهم في حقهما. وفي النهاية، كان يوم عطلة رسمية في يوم الانتخابات. وكانت صناديق الاقتراع موجودة في المدارس الحكومية، أقبل الناخبون على مراكز الاقتراع بأعداد كبيرة حتى كبار السن منهم. وبعد فرز الأصوات أعلنت النتائج وبشكل مفاجئ يفوز أبو نادر بانتخابات الرئاسة بفارق أربعين صوتا بعد زحفه في الاتجاهات البدائية. وهنا ارتفعت نعرات الحزب الفائز ويتقبل الحزب الخاسر نتيجة برحابة صدر ويحترم قرار الأغلبية ويرسل وفدا لتقديم التهاني والتبريكات للفائز.

إن القصة تهدف إلى التربية السياسية للأطفال منذ نعومة أظفارهم و نشر الوعي السياسي بينهم من خلال تقديم مفهوم الانتخابات وعمليتها والأمور الأخرى التي يجب رعايتها عند عقد

⁵²⁹ - الشاروني يعقوب، حكاية الديمقراطية للطفل المصري، مدونة حي بن يقظان، 1 يونيو، 2012م.
⁵³⁰ - كيوان، سهيل، في بلدنا انتخابات، مؤسسة الأسوار، عكا، اسرائيل، 2017م.

الانتخابات بصورة ديموقراطية. يفهم الطفل من القصة أن الانتخابات هي سرية وعلى الناخبين أن يستخدموا حق تصويتهم بحرية كاملة بدون أي ضغط سياسي واجتماعي كما يطلع الأطفال على أن احترام رأى الآخرين وقبول الهزيمة الانتخابية برحابة صدر وتقديم التهاني والتبريكات إلى الطرف الفائز أمر ضروري وأخلاقي للحفاظ على روح الديمقراطية والانسجام الاجتماعي.⁵³¹ ورغم أن القصة موجهة للأطفال في الدول العربية ولكنها أشبه بالانتخابات التي تعقد في المدن الفاضلة بعيدا من الواقع المرير في الدول العربية كما لا تشمل قائمة المرشحين على امرأة، وذلك يعكس حالة المرأة السياسية في الدول العربية. يكتب الناقد الشاب في مجال أدب الأطفال سهيل عيساوي حول أهمية التطرق إلى موضوع الانتخابات في أدب الأطفال العرب أن الأديب سهيل كيوان تناول موضوعا هاما بالنسبة إلى العرب، ومن الواجب أن يطلع الأطفال العرب على هذا الموضوع منذ نعومة أظفارهم لأنهم قادة المستقبل وعماده، والتربية الصحيحة منذ الصغر ستؤدي إلى زيادة قدراتهم لأخذ القرار في صالح الوطن والتصدي للتحديات والمشاكل في المستقبل.⁵³²

الموضوعات الاجتماعية

شهد أدب الأطفال العربي في السنوات الأخيرة تطورا كبيرا في محتوياته خاصة فيما يتعلق بالمضامين والموضوعات الاجتماعية. كانت تعتمد القصص الاجتماعية في أدب الأطفال على أسرة الطفل وروابطه الأسرية، والعلاقة بين الأب والأم والأبناء والأخوة والجيران، وعلاقة الطفل بالمدرسة وزملائه وأساتذته والمناسبات المختلفة ومظاهر الحياة المختلفة المحيطة بالطفل.⁵³³ والآن بدأ اتجاه جديد حول معالجة القضايا الاجتماعية التي لم تكن شائعا في أدب الأطفال. وهو معالجة المشاكل الاجتماعية بهدف تربية الأطفال وتوعيتهم لخلق قدراتهم على مواجهة المشاكل في حياتهم القادمة. ويرجع فضل إدخال القصة الاجتماعية إلى الأستاذ يعقوب الشاروني الذي كتب كثيرا حول القضايا الاجتماعية المصرية في القصص الموجهة للأطفال.⁵³⁴

عالج يعقوب الشاروني في قصة "تائه في القناة" قضية اجتماعية مصرية. تدور القصة حول زمن مهم من التاريخ المصري، وهو زمن حفر قناة السويس، وإنها تدور في إطار قصصي اجتماعي جذاب لتعكس جميع جوانب المعاناة والاستغلال والعدوان والظلم على الشعب المصري

⁵³¹ - عيساوي، سهيل، قراءة في قصة "في بلدنا انتخابات" للأديب سهيل كيوان، مجلة صوت العروبة الإلكترونية، 6 أغسطس، 2018م.

⁵³² - نفس المصدر، 6 أغسطس، 2018م.

⁵³³ - شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، ص 62.

⁵³⁴ - ألبانو، الدكتورة ماريان، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 13.

وخاصة الفلاحين بالاستعمار البريطاني في زمن حفر قناة السويس وتكسير الصخور. تعكس القصة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تلك الفترة بواسطة تنامي الأحداث الدرامية، كما تظهر القصة روح التمرد والمقاومة عند المزارعين، فإن روح المقاومة لم تهدأ ضد عدوان السلطة واستغلالها، فمنذ بداية القصة، تحاول أم الولد الصغير مسعود البالغ الثانية عشرة من عمره الذي اقتنصه ليعمل مع العاملين الآخرين في حفر قناة أن تقاوم ضد السلطة حيث تخفي ابنها الصغير مسعود في صومعة، ولكنها اضطرت في الأخير إلى الاستسلام، لأنها أدركت مدى سطوة السلطة التي لا مفر منها.⁵³⁵

وهكذا عالج الشاروني في قصة "أسرار بيت الطالبات"⁵³⁶ قضية نسوية حيث تمكنت رجاء بطلة القصة والطالبة في كلية التربية بحسن تفكيرها، وشجاعتها، وإقدامها من التخلص من قبضة ابن عمها الماكر الذي كان يرغب في الزواج معها، ومواصلة دراستها وانطلاق إلى تحقيق ذاتها.⁵³⁷ يعالج الشاروني مثل هذه الموضوعات في قصصه لكي يتمكن الأطفال من مواجهة المشاكل العصرية وتغييرها في حياتهم المستقبلية. كتب الكاتب السعودي يعقوب إسحاق قصة "الوهم"⁵³⁸ ضمن القصص الاجتماعية وعالج فيها بعض الاعتقادات الخاطئة السائدة على المجتمع بأن العلاج في المستشفيات الحكومية غير مفيد وأن الذهاب للمستشفيات الخاصة مما تستدعيه الواجهة الاجتماعية.

عالجت الكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين في روايتها الشهيرة "فاتن"⁵³⁹ الموجهة لليافعين مشكلة اجتماعية أسرية يواجهها الكثير من اليافعين واليافاعات في حياتهم. تدور أحداث الرواية حول فتاة قروية طموحة تدعى "فاتن" التي تزعم على قطع الدراسة وترك المدرسة والانتقال إلى بيروت للعمل كخادمة. بعزمها القوي تصمم فاتن خطة للخروج من هذا المأزق الذي تجد نفسها فيه. وبمساعدة بعض الأصدقاء ومثابرتها على قرارها للتحرر والنهوض بنفسها إلى مستقبل أفضل، تنجح فاتن أخيراً في تحقيق طموحاتها وتصبح ممرضة في أحد المستشفيات.

⁵³⁵ - جادو، الدكتورة أميمة، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 55.

⁵³⁶ - الشاروني، يعقوب، أسرار بيت الطالبات، دار المعارف، مصر، عام 2010م.

⁵³⁷ - الدكتور زراقت، عبد المجيد، الواقعية الاجتماعية في قصص يعقوب الشاروني، مدونة حي بن يقظان الإلكترونية، 3 ديسمبر، عام 2017.

⁵³⁸ - يعقوب إسحاق، الوهم، دار أبي حسن، مكان النشر غير مذكور، 1425هـ.

⁵³⁹ - شرف الدين، فاطمة، فاتن، دار كلمات، الإمارات، 2010م.

موضوعات واقعية وحساسة

قفز أدب الأطفال العربي قفزات نوعية في السنوات الأخيرة من ناحية المحتوى حيث تنوعت موضوعاته ومضامينه بسبب تغير نظرة المجتمع العربي تجاه الطفل وحاجاته وبروز الواقعية في الأدب. وأدى هذا إلى تناول كل ما يهمه الأطفال من الموضوعات التي لم يتم التطرق إليها سابقا مثل الطلاق والمرض والموت والتحرش الجنسي والإعاقة وتساؤلات الأطفال الحرجة ومشاعرهم المختلفة من الفرح والحزن والخوف وغيرها الكثير من الموضوعات المحرمة والجديدة بهدف توفير الفرصة للأطفال للتعبير عن أنفسهم وتقليل قلقاتهم ومخاوفهم وتشجيعهم على مواجهة حقائق العالم الذي يعيشون فيه. وحسب ما قاله الأستاذ يعقوب الشاروني يشبه هذا التنقل من الاعتناء بالحكايات الخيالية إلى الواقع الاجتماعي إلى حد كبير ما وقع من تغيرات وتطورات في أدب الأطفال على المستوى العالمي.⁵⁴⁰ وفي السطور الآتية نذكر بعض الموضوعات الواقعية والحساسة التي وجدت طريقها إلى صفحات أدب الأطفال العربي في السنوات الأخيرة ضمن الاتجاه الواقعي والتأثر بالأدب الغربية.

الطلاق

يعتبر الطلاق و الانفصال بين الزوجين من أكبر المشاكل الاجتماعية وتسود هذه الظاهرة جميع مجتمعات العالم شرقا وغربا. وبدون ريبة، يعد الطلاق أمرا مؤلما للغاية كما هو مدمر لكل من يتأثر به مباشرة أو غير مباشرة. ويحدث في معظم الأحيان بسبب علاقة مريرة بين الزوجين ويؤدي إلى تفكيك الأسرة والبينونة فيها. ولكنه من الحقائق التي لا تنكر أن بعض الزوجين ربما ينتهيان في حياتهما الزوجية إلى نقطة حيث لا يبقى لهما خيار سوى الطلاق والانفصال. إن الطلاق يؤثر سلبا على تنمية الأطفال الشاملة من ناحية عديدة فيمرون بمشاكل عاطفية مثل الشعور بالحزن والعار والذنب والخوف والغضب والارتباك أو يشعرون بقلق بشأن من يقوم بالاعتناء بهم بعد الطلاق. وهنا يأتي دور الأسرة والمربين في توفير المواد الدراسية للأطفال يمكن من خلالها تقليل قلقاتهم وتنمية قدراتهم العقلية وذكائهم العاطفي للتعامل مع مشاكلهم.

⁵⁴⁰ - الشاروني، يعقوب، الكتابة للطفل: كتب الرواد لا تناسب أطفال "الكيوبورد"، جريدة التحرير، 30 يناير، 2018م.

تكتب فاطمة أنور اللواتي أن الطلاق يترك أثرا بالغا على ذهن الأطفال لأنهم يتأثرون بصورة كبيرة بتبعات طلاق الوالدين وانفصالهما. وبسبب ذلك، يعتبر الطلاق من الأمور الهامة التي لقيت انتباه كتاب أدب الأطفال الغربيين منذ أعوام عديدة. ونظرا لأهمية الموضوع، بدأ الكتاب العرب أيضا في السنوات الحالية معالجة موضوع الطلاق في كتاباتهم الموجهة للأطفال ولكن على استحياء.⁵⁴¹

في عام 2017م، نشرت الإعلامية والشاعرة اللبنانية لوركا سبيتي قصة باسم "لي بدل البيت بيتان"⁵⁴² لمعالجة موضوع الطلاق في أدب الأطفال العربي. تعتبر هذه القصة جديدة من نوعها في أدب الأطفال العربي ولقيت استحسانا كبيرا لمضمونها بين الأوساط العلمية والأدبية، وفازت بجائزة اتصالات لكتاب الطفل في فئة أفضل كتاب الطفل. تتحدث القصة عن طفل يُدعى آدم الذي يعيش مع أبوين ويشهد المشاجرة بينهما كل يوم وبعد وقوع الطلاق بينهما عاش آدم مع الاثنين في بيتين منفصلين بهدوء وسلام. تسلط القصة الضوء على إحدى القضايا الاجتماعية الهامة التي قد تواجه أية أسرة وتجيب على تساؤلات الطفل حول الأشياء العديدة مثل: ما معنى الطلاق؟ وأين يسكن بعد الطلاق؟ ومع من؟ وكيف؟ ولماذا؟ وماذا يقول لأصدقائه في الصف؟ وتنتهي القصة بهذه الكلمات: "أمي تقول: "والدك إنسان مميز وأب جيد ويحبك كثيرا، وأبي يقول: أمك إنسانة مميزة وأم حنون وتحبك كثيرا، وكلاهما يقول: لسنا زوجين جيدين ولكننا صديقان جميلان".⁵⁴³

الموت

إن أدب الأطفال العربي كان يتحاشى في السنوات الماضية عن الكثير من الموضوعات الصعبة والمعقدة مثل الموت والتربية الجنسية والطلاق والإعاقة الجسدية وغيرها ولكن الآن تجد هذه الموضوعات طريقها إلى صفحات أدب الأطفال بحرية وجرأة للمناقشة مع الأطفال في الدرس أو مع الأبوين عند وقت النوم ولتوفير العلاج للأطفال عبر القصص.⁵⁴⁴ وحدث هذا التغيير في أدب الأطفال العربي بسبب ظهور الاتجاه الواقعي في الأدب وتطورات في مجال التربية والتعليم

⁵⁴¹ - اللواتي، فاطمة أنور، الانفصال بين الزوجين في أدب الأطفال، جريدة السفير العربي، 28 فبراير، عام 2018م.

⁵⁴² - سبيتي، لوركا، لي بدل البيت بيتان، دار الساقى، بيروت، 2017م.

⁵⁴³ - نفس المصدر، بدون رقم الصفحة.

⁵⁴⁴ - حنان، كركبي و يحيى، رافع، التعامل مع الموت في قصص الأطفال، ص 87.

كما لعبت وسائل الإعلام دورا كبيرا في تشجيع كتاب أدب الأطفال على معالجة مثل هذه الموضوعات في كتاباتهم الموجهة للأطفال.⁵⁴⁵

من الحقيقة أن الموت هو موقف مؤلم جدا لكل من الكبار والصغار ولكنه أمر حتمي لا مفر منه حيث ورد في القرآن الكريم "كل نفس ذائقة الموت"⁵⁴⁶. قد يتألم الطفل بموت أحد أعضاء الأسرة من الجد والجدة أو يسمع عن موت أحد أفراد الأسرة من أصدقائه أو يعاني من موت حيوان أليف في الأسرة. فالتهرب الكامل من تناول موضوع الموت وتقبله مع الطفل وعدم الإجابة على تساؤلات عديدة وعدم اتخاذ التدابير للتغلب على حزنه وعاطفته المكبوتة بصورة صادقة وحقيقية، سيؤدي إلى إلحاق الأضرار بتنمية الأطفال العاطفية والعقلية. ورغم صعوبة الموضوع وخطورته، من الضروري أن يطرح الموضوع بأمانة وواقعية أكبر بهدف تقديم الحياة مع حلوها ومرها في العالم الحقيقي أمام الأطفال، وتوفير الحلول لمشاكل الأطفال بواسطة استخدام "العلاج بالقراءة" في أدب الأطفال. تقول الكاتبتان المشتركتان غبسون وزيدمان: "ورغم تحذيرات (الموت) نعتقد بشدة أن الموت هو من أهم الموضوعات في أدب الأطفال وينبغي أن لا يتجنب الكتاب من معالجته في كتاباتهم الموجهة للأطفال بسبب صعوبة الموضوع لأن الأطفال والناشئين سيتخذون من خلال قراءة القصص ذات المضامين والموضوعات المبنية على الموت دروسا قيمة حول التقنيات والاستراتيجيات لعبور الصدمات العاطفية".⁵⁴⁷

في عام 2008م، نشرت الكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين قصة "جدتي والقمر"⁵⁴⁸ لمعالجة موضوع الموت في أدب الأطفال. تتحدث القصة عن طفلة ماتت جدتها. فتسأل البنات وهي تمشي مساء مع أمها عن القمر وعن جدتها المتوفية، فتشرح لها أمها فكرة الموت. هذه قصة لطيفة ألقت بأسلوب سلس تساعد الصغار على فهم معنى الموت وتقبل فكرة الموت والفرق. يفهم الصغار بواسطة هذه القصة أن الموت هو جزء من دورة الحياة. وبالإضافة إلى هذا، نشرت الكاتبة الفلسطينية ميسون أسدي قصة "أبي لم يموت"⁵⁴⁹ سنة 2017م وتناولت موضوع الموت في أدب الأطفال. تتحدث القصة عن طفلة صغيرة من الصف الثاني مات أبوها غرقا في بركة الماء للقرية. في بداية الأمر يخبرها البعض أن والدها سافر. فتنتظر عودته من السفر ولكن في ختام

⁵⁴⁵ - نفس المصدر، ص 87.

⁵⁴⁶ - سورة الأنبياء، الآية 35.

⁵⁴⁷ - Gibson, Lois Rauch and Zaidman, Laura M., *Death in Children's Literature: Taboo or Not Taboo*, p 233.

⁵⁴⁸ - شرف الدين، فاطمة، جدتي والقمر، كلمات للنشر والتوزيع، الإمارات، 2008م.

⁵⁴⁹ - أسدي، ميسون، أبي لم يموت، دار الهدى، الجزائر، 2017م.

القصة يخبرها عمها توفيق أن والدها قد مات. فتقبل الطفلة فكرة الموت. يقول الدكتور ماهر اسماعيل صبري : "إذا لاحظ الطفل غياب أحد الأشخاص، وسألك أين فلان؟ فإذا كان هذا الشخص قد مات فلا تضلل فتقول له إن هذا الشخص سافر؛ لأن الطفل قد يبقى على أمل عودة هذا المسافر الذي لن يعود، وسوف يسألك عنه بين الحين والآخر. بل عليك أن تجيب الطفل بصراحة، فتقول له: إن هذا الشخص مات".⁵⁵⁰

وفذلكة القول إن موضوع الموت قد بدأ تناوله في أدب الأطفال في السنوات الأخيرة في بيئة متأثرة من الآداب العالمية ولكنه هناك حاجة مزيدة للتحسن خاصة فيما يتعلق بالأمانة والصدق وتقديم الطقوس والثقافة العربية عند موت شخص في القصة لكي يمكن تعليم الأطفال العادات الدينية من صلوة الجنازة والدعاء والدفن وغير ذلك بالإضافة إلى مساعدتهم على التعامل مع الأوضاع الصعبة. يكتب الناقد الشاب سهيل ابراهيم عيساوي أن الموت جزء من الحياة ومن الطبيعي أن يتم طرح الموضوع في أدب الأطفال بجسارة وأمانة حيث لا يمكن إهمال الموضوع في عصر العولمة لأن الأطفال مطلعون على كل ما يحدث في العالم الواقعي والافتراضي.⁵⁵¹

التحرش الجنسي

من الحقيقة أن كلمة التحرش الجنسي أو الاعتداء الجنسي أو الإساءة الجنسية للأطفال تعتبر صاعقة على مسامع أولياء الأمور العرب الذين يواجهون صعوبة كبيرة في التحدث عنها مع الأطفال والصغار. ويعتبر موضوع التحرش الجنسي قضية حساسة للغاية بالنسبة إلى أدب الأطفال العربي، ولكنه من الحقيقة أن ظاهرة التحرش الجنسي توجد في كل مجتمعات العالم، ولايزال الأطفال دائما على إمكانية تعرضهم لهذا الخطر في الأسرة والمدرسة والجوار إذا لم تتم توعية الأطفال عن التحرش الجنسي منذ الصغر وبشكل صريح بعيدا عن الابتذال. وطبقا للبحوث العلمية الحالية التي أجريت في مجال العلوم الاجتماعية يشهد العالم ارتفاعا في نسبة التحرش الجنسي بالأطفال، ومعظم الصغار يتعرضون للتحرش أو الاعتداء الجنسي على يد الذين يختلطون بهم دون رقابة مثل: الأقارب وأبناء الجيران والأصدقاء والسائقين والخدم وغيرهم.⁵⁵²

⁵⁵⁰ - صبري، ماهر اسماعيل، ص 107.

⁵⁵¹ - عيساوي، سهيل ابراهيم، الموت في قصص الأطفال، منير ديوان العرب الإلكتروني، 3 أكتوبر، 2012م.

⁵⁵² - د.مرجان، عبلة، التربية الجنسية للأطفال حق لهم واجب علينا، ص 101.

يرغب كل الآباء والأمهات دائما في تربية أطفالهم وأولادهم تربية صالحة ويحاولون بذل كل ما في وسعهم لحمايتهم من كل أنواع المشاكل والمخاوف والأذى والأضرار الممكنة سواء أكانت نفسية أو جسمية وبدنية. ولكن هناك بعض الأخطار بما فيها التحرش الجنسي يمكن تفاديها ومحاربتها حتى القضاء عليها تماما بواسطة توعية الأطفال عنها وتثقيفهم وتزويدهم بالمعلومات الصحيحة حولها في جو من الصداقة مع الأطفال منذ نعومة أظفارهم، ومنحهم الثقة بأنفسهم وبأولياء أمورهم، وإشعارهم بالأمان في أن يسألوا ويعرفوا ويتقاسموا كل أنواع من الموضوعات والمشاكل مع والديهم.⁵⁵³

كان أدب الأطفال في العالم العربي خاليا من مواد تعالج موضوع التحرش الجنسي بالأطفال لتوعية الأطفال وحمايتهم من هذا الخطر المحدق. في عام 2014م، شهد أدب الأطفال قصة "الخط الأحمر" التي تناولت موضوع التحرش الجنسي بأسلوب بسيط وبشكل ذكي. فازت القصة بجائزة "كتابي" في عام 2015م، ونالت استحسانا كبيرا لدى المربين والأوساط العلمية بسبب تناول موضوع حساس بشكل طريف وأسلوب بسيط، نشرت القصة عدة مرات منذ طبعتها الأولى ولا تزال. تعتمد القصة على حوار دائر بين طفل صغير "مازن" وأمها التي تجيب على بعض تساؤلات مازن وتشرح له أن جسمه خط أحمر مثل الإشارة الحمراء للسيارات ولا يجوز لأحد أن يقترب منه بطريقة مزعجة. تشجع القصة الأطفال على التحدث بدون خوف وخجل إذا حدث هذا الشيء معهم. وبالإضافة إلى القضية المتعلقة بالتحرش الجنسي واستغلال الأطفال بدأ بعض الكتاب العرب معالجة قضية التربية الجنسية في كتب الأطفال. ورغم أن هناك قلة الثقافة بين الكتاب العرب حول هذا الموضوع، بدأ هذا الاتجاه في كتب الأطفال. اطلع الباحث على كتاب للكاتبة الفلسطينية ميسون أسدي باسم "هل الأولاد يعرفون"، هذا الكتاب يتناول موضوع التربية الجنسية في أدب الأطفال العربي.

الحرب والعنف والاحتلال والهجرة

في ضوء الاتجاهات العامة والقواعد الثابتة لكتابة أدب الأطفال عند كتاب أدب الأطفال ونقاده، كانت توجد هناك تقاليد عامة في كتب الأطفال لحماية الأطفال من مشاهد العنف والهول والرعب والوحشية والبربرية وسفك الدماء الناتجة عن الحروب والنزاعات والاشتباكات والهجمات والقتالات. ولكن القارئ أو الباحث في مجال أدب الأطفال، سيفاجئ بأن الكتب حول الحروب

⁵⁵³ - د.مرجان، عبلة، التربية الجنسية للأطفال حق لهم واجب علينا، ص 104.

والنزاعات تشكل نوعا شعبيا في الأيام الراهنة في الدول الغربية. وحسب مايقوله الكتاب والنقاد، تعود الأسباب وراء هذا التغير والاتجاه الجديد في أدب الأطفال والناشئين إلى أمر بسيط من تركيز على الواقعية في الأدب والمعرفة. يقول الرسام الفيتنامي للحرب والطفولة المثالية إدوارد أريزونني (1979م-1900م): " أعتقد أننا ربما نميل في قراءة الطفل إلى إيوائه أكثر مما ينبغي من الحقائق الصعبة للحياة. إن الحزن والفشل والفقر وربما حتى الموت إذا تم التعامل مع هذه القضايا بأسلوب شعري وعاطفي، فمن المؤكد أنه يمكن تقديمها للطفل بدون إلحاق أي أذى به، وإذا لم تكن هناك أي إشارة إلى العالم الصعب في الكتب الموجهة للطفل، فأنا لست متأكدا من أننا نلعب بشكل عادل".⁵⁵⁴

في هذه الأيام، يواجه الأطفال في البلدان العربية المختلفة معاناة الحرب وصعوبتها في بلدانهم ويمرون بتجارب الحرب الصعبة مباشرة أو يشاهدونها على التلفزيون حيث يعيش الأطفال الآخرون حياة صعبة مثلهم في ظلال الحرب والاحتلال بصورة غير مباشرة. وبعد تغير نظرة المجتمع العربي تجاه الطفل وظهور الاتجاه الواقعي في أدب الأطفال في السنوات الأخيرة، نلاحظ أن كتاب أدب الأطفال العربي أيضا يتناولون موضوعات الحرب والاحتلال والهجرة في كتاباتهم الموجهة للأطفال بهدف إتاحة الفرص للأطفال للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم تجاه الحرب والاحتلال والخوف. تقول مديرة "دار أصالة" وباحثة في مجال أدب الأطفال شيرين كريدية: "نحن في "دار أصالة" نرى أن نشر كتب الأطفال متجه نحو تغييرات جذرية، فإذا كان أدب الأطفال سابقا يتحاشى الإضاءة على موضوع الحرب إلا قليلا، فإننا نشهد اليوم أدب الأطفال يتحدث عن معاناة البشر لاسيما الأطفال من الحروب، أو من تداعيات الحروب كالفقر والهجرة والنزوح والخوف... إلخ".⁵⁵⁵

وفي عام 2008م، كتبت الكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين حول موضوع الحرب قصة باسم "في مدينتي حرب". تتحدث القصة ببساطة عن تجربة الطفل الصغير اليومية خلال أيام الحرب في لبنان حيث يسمع الطفل صوت القذائف صباحا ومساء وعند اشتداد القصف تقفل مدرسته ويخاف كثيرا عندما يدخل الجنود بيوت الناس ويأخذون معهم أحد أفراد الأسرة، وتنتهي القصة على لهجة متفائلة ووطنية بهذه الكلمات: "في مدينتي حرب، تخيفني الحرب، ولكنني حين أكبر سوف أصير قويا. سوف أحمي أمي وأبي وأخي ومدينتي. سوف أصرخ بالجنود: إرحلوا! هذه

⁵⁵⁴ - Carol Fox and Peter Hunt, War, International companion Encyclopedia of children's Literature, peter Hunt,

P 599.

⁵⁵⁵ - كريدية، شيرين، سوق كتاب الطفل العربي في ظل المتغيرات الحاصلة، مجلة الملتقى، ص 28، العدد السادس، نوفمبر، 2014م.

مدينتنا ونحن نحبا كثيرا".⁵⁵⁶ وفي عام 2005م، نشر الكاتب اللبناني الآخر "سماح إدريس" رواية للفتيان والفتيات باسم "الملجأ"⁵⁵⁷ وعالج فيها موضوعا محرما مفروضا من الحرب والحب. تتحدث الرواية عن معاناة الناس خلال الحرب في الثمانينات من القرن العشرين. واستعراضا الرواية تكتب جريدة النهار العربية اللبنانية: "يخترق سماح إدريس محرمين مفروضين على أدب الفتان والفتيات الحرب والحب... إنها قصة مليئة بالحيوية والتشويق".⁵⁵⁸ وبالإضافة إلى هذا، ظهر العديد من كتب الأطفال حول الحرب مثل قصة "ثلاث قصص من ثورة العشرين" عن الاحتلال البريطاني وقصة "الأشجار تورق من جديد" عن الاحتلال الأمريكي لجاسم محمد صالح. وكتبت الكاتبة وفاء توفيق قصة "طائرة تمطر حبا"، تقدم القصة معنى وأسباب وقوع الحرب لطفل "سامر" الذي يريد أن يفعل شيئا لنشر الحب والسلام في وطنه العزيز، فيعتزم على أن يكون طائرا حربيا عندما يكبر، سيقطف الورود والأزهار وينثرها من طائرته ليكون وطنه جميلا. وفي قصة "لو كنت طائرا"⁵⁵⁹ عالجت فاطمة شرف الدين موضوع الهجرة الناتجة عن الحرب والاحتلال. يرغب الطفل الصغير الفلسطيني في أن يكون طائرا لكي يطير إلى بيته الجميل على الجانب الآخر من الحائط ويؤكد والد الطفل من أن الأمل في العودة إلى الوطن العزيز لن يموت أبدا.

الإعاقة والأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة

كان أدب الأطفال العربي خاليا من الموضوعات مثل الإعاقة مع سائر أنواعها، والفروق الفردية بين الأطفال، ووجود الأطفال المعاقين في القصص كأبطالها. الطفل ذو الاحتياجات الخاصة (المعوق) هو طفل ككل الأطفال الآخرين يحلم ويضحك ويبكي، قد ينقصه شيء ما لا دخل له بهذا النقص، ولكنه رغم إعاقته يتميز عن الطفل العادي دوما بالعديد من المميزات. إن الطفل المعاق هو بطل أول وليس ثانويا فيستطيع أن ينجح في كل المجالات رغم إعاقته ويستطيع أن يندمج في المجتمع فيبهر الجميع بأدائه وذكائه. وهناك أمثال كثيرة للعابرة من فئة المعوقين الذين قاموا بإنجازات استثنائية وبلغوا قمة الكمال والنجاح في مختلف المجالات لم يتمكن الأسوياء من القيام بها أو الوصول إليها. هذه حقيقة لا مفر منها أن الطفل العربي المعاق تعرض لإهمال شديد من قبل كتاب أدب الأطفال ولم يجد تمثيلا مناسباً لفئة الأقلية في صفحات أدب الأطفال.

⁵⁵⁶ - فاطمة، شرف الدين، في مدينتي حرب، بدون رقم الصفحة.

⁵⁵⁷ - إدريس، سماح، الملجأ، دار الآداب، بيروت، 2005م.

⁵⁵⁸ - جريدة النهار العربية اللبنانية، 27 فبراير، 2005م.

⁵⁵⁹ - شرف الدين، فاطمة، لو كنت طائرا، دار كلمات، الإمارات، 2009م.

يقول حمدي هاشم حسنين: "تظل ثقافتنا العربية مخاطبة الأكثرية والسواد الأعظم وإغفال الأقلية، وهذا خطأ شائع في مجتمعاتنا".⁵⁶⁰

في السنوات الأخيرة، بدأ بعض الكتاب كتابة القصص التي تتحدث عن الاختلافات الفردية والأطفال المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة ونضالهم في الحياة. وكيف لا يمكننا أن نجعل مجتمعا شاملا بدونهم. في عام 2002م، ظهرت قصة "حكاية طارق وعلاء" للأستاذ يعقوب الشاروني لمعالجة قضية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في أدب الأطفال العربي. تدور القصة حول مقابلة علاء مع طفل آخر طارق في المدرسة ويصبح علاء صديقا لطارق ويتعاونان مع بعضهما البعض. كان طارق يعاني من احتياج خاص ويواجه المشكلة في النطق ولكن وهبه الله قدرة فائقة في الرسم والتصوير. وفي نهاية القصة يفوز طارق بالجائزة الأولى في مسابقة الرسم. إن القصة تدعو إلى شمول الأطفال المعوقين وذوي الاحتياجات الخاصة في التيار الرئيسي للمجتمع وقبول الآخرين. برع الكاتب الشاروني في معالجة قضية الإعاقة حيث لا يتكلم أبدا بشكل صريح عن الإعاقة بل يصور شخصية طارق الموهوب جدا في الرسم بصورة إيجابية. تكتب الأستاذة الدكتورة ماريا ألبانو تعليقا على أهمية هذه القصة أن القصة لها جانب تربوي كبير حيث تركز على اكتشاف المهارات والإيجابيات بدلا من الإعاقات في الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة.⁵⁶¹

وبالإضافة إلى هذا، ظهرت في السنوات الأخيرة قصصا عديدة حول الإعاقة والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مثل قصة "رسالة من نور" لبشرى محمد البيومي⁵⁶²، تتحدث القصة عن الطفل نور الذي يصيب بالإعاقة البصرية بعد تعرضه لحادث ومساعدة إدارة المدرسة والمعلمين والطلاب لنور في المدرسة. علاوة على ذلك، هناك قصة "مغني المطر" لمحمد زكريا⁵⁶³ و"هي، هما، هن" لنهلة غندور⁵⁶⁴ وغيرهما، تدور كلها حول الأطفال المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة الذين يؤودون دور البطل الرئيسي في القصة، ورغم إعاقتهم يحققون انجازات كبيرة بقدراتهم الفائقة

⁵⁶⁰ - حسنين، حمدي هاشم، أجنحة للأطفال، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 603، أغسطس-سبتمبر، عام 2015م.

⁵⁶¹ - ألبانو، الدكتورة ماريا، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 13.

⁵⁶² - البيومي، بشرى محمد، رسالة من نور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2011م.

⁵⁶³ - زكريا، محمد، مغني المطر، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، فلسطين، 2010م.

⁵⁶⁴ - غندور، نهلة، هي هما هن، دار النشر - الخياط الصغير، لبنان، بيروت، 2010م.

الموهوبة. ركز كتاب هذه القصص عنايتهم البالغة على شمولهم في التيار الرئيسي للمجتمع، وترويج فكرة قبول الآخرين وفهم أكبر للاختلافات الفردية والإعاقة.

التسامح وقبول الآخرين

إن التسامح وقبول الآخرين من القيم الهامة التي يجب غرسها في الأطفال منذ نعومة أظفارهم لكي يتمكنوا من فهم الآخرين واحترام آرائهم وهوياتهم. ونظرا للأوضاع المتوترة السائدة في كل مكان في عصرنا الراهن بدأ بعض الكتاب يكتبون القصص التي تروج فكرة التسامح وقبول الآخرين بين الأطفال. فقصّة "مختار أبو أذنين كبار" للكاتبة سونيا نمر تعالج موضوع قبول الآخرين وتحكي عن الطفل الموهوب مختار الذي كان ذكيا ونشيطا وبارعا في عزف عود. ورغم ذلك يبقى مختار حزينا لأن أذنيه كبيرتان، وبالتالي كثيرا ما كان يتعرض لمضايقات أولاد حارته، ورغم محاولاته لتغطية أذنيه إلا أنه يفشل في ذلك، لكن القرية تعرف قيمة مختار وأهميته لاحقا بعد أن فاز بجائزة في مسابقة عزف عود وبدأ أولاد القرية ينظرون إليه بنظرة الاحترام والتقدير⁵⁶⁵.

كذلك هناك قصة "خفة حمودي" للكاتبة عايذة خطيب التي تعالج قضية الإعجاب بالنفس وتتحدث عن الطفل حمودي الذي كان يعاني من قصر قامته، فيشعر بعقدة نقص وبخجل من المشاركة في الصف رغم ذكائه. وبحيلة من أستاذه ووالدته وجدته يضعون في موقف ينقذ فيه جدته لكونه قصير القامة وهو الوحيد القادر على الدخول من نافذة بيت جدته وإنقاذها لقصر قامته. وهذه التجربة تجعله يدرك أن الله ميز كل إنسان بشئ قد يختلف فيه عن الآخر، وعلى الإنسان أن يعرف أن بمقدوره أن يكون الأفضل والأحسن إذا وثق بنفسه وبإعطاء الله له. دخل معلم الحساب إلى الصف وبدأ في شرحه وحل المسائل، متطرقا إلى ذكاء الصينيين واليابانيين في الحساب وشارحا أدوارهم في مجال الرقي الإنساني بفضل اختراعاتهم وابتكاراتهم، رغم أنهم قصار وضئال الأجسام وحتى أنهم سبقوا وفاقوا أصحاب القامات الطويلة من الشعوب العديدة.⁵⁶⁶

وقصة "الخراف لا تأكل القبط" لخالد جمعة⁵⁶⁷ تعالج موضوع التسامح الذي يجب أن يفهمه ويتعود عليه كل الأطفال منذ نعومة أظفارهم. تشجع القصة الأطفال والصغار على قبول

⁵⁶⁵ - نمر، سونيا، مختار أبو أذنين كبار، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، فلسطين، عام 2011م.
⁵⁶⁶ - الخطيب، د. جهينة، أدب الأطفال في فلسطين، كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية بجامعة كيرالا، ص

⁵¹ - جمعة، خالد، الخراف لاتأكل القبط، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، عام 2005م.
⁵⁶⁷

التنوع في المجتمع، والعلاقة الاجتماعية الإيجابية والتسامح. تدور هذه القصة حول عائلة قطة تشعر بالخوف من جارها الجديد وهو أسرة غنم. وكان والد عائلة القطة قلقا جدا خاصة ويمنع عائلته من أي اختلاط مع أسرة الغنم. ومع ذلك، فإن حب استطلاع القط الأصغر قد يؤدي إلى تبادل الحديث مع الأغنام التي تؤكد أن الأغنام لا تعني ضررا للقطط. فالمغزى من القصة يؤكد على عدم تشويه الآخرين وأن الشباب يجب عليهم أن يتجاوزوا المخاوف والصور النمطية التي يعيشها جيل والديهم.

الغيرة بين الإخوة

هذا النوع من الموضوع جديد على الإطلاق في أدب الأطفال العربي، وبدأ الكتاب يكتبونه نظرا إلى الدراسات الحديثة في مجال علم نفس الطفل والتربية. والغيرة بين الإخوة قضية شائعة بين الأطفال في سائر المجتمعات ويشعرها الأبوان اللذان رزقهما الله بولدين. عالجت الكاتبة الفلسطينية عايدة خطيب هذا الموضوع بهدف تربية الأولاد، وكتبت ضمن سلسلة براعم الزيتون قصة "أحب أخي ولكن"⁵⁶⁸. وهي قصة تخاطب الأهل بأن يكفوا عن المقارنة بين الأبناء، لأن المقارنة تترك في نفس الطفل شرخا يلزمه طوال حياته، ولأن الطفل ونفسيته وشخصيته تتشكل في أول خمس سنوات، والمقارنة السلبية كأن نقول له: أخوك كان أكثر تفوقا منك أو أدكى، أو يسمع الكلام، وهذا الكلام يؤذيه نفسيا، ويؤثر على شخصيته، ويجب على الأهل مراعاة الفروق الفردية بين أطفالهم، فيجوز أن ينجح طفل في تحصيله العلمي، وآخر ينجح في صنعة يتقنها ويحبها، فأصابع اليد لا تساوي كأسنان المشط. تقول الكاتبة عايدة خطيب: "أنا ككاتبة أقول: الحذر الحذر أيها الأهل وأيها المربون من المقارنة، فهي بداية الطريق للغيرة بين الأخوة، وبالتالي إلى كره بعضهم البعض، هكذا حيث كلمة التربية تسبق التعليم، فالتربية أولا ثم التعليم"⁵⁶⁹.

موضوع الولادة

تكشف الدراسات أن الأطفال يسألون حوالي ثلاث مائة إلى أربع مائة سؤال في يوم واحد على معدل متوسط. تتنوع تساؤلات الأطفال بتنوع الموضوعات والمجالات التي يتساءلون عنها،

⁵⁶⁸ - خطيب، عايدة، أحب أخي ولكن، مكتبة كل شئ، حيفا، عام 2015.
⁵⁶⁹ - أبو فنه، د. محمود، تجربة عايدة خطيب في مجال أدب الأطفال، مجلة المرايا، العدد الثاني، ص 107.

وتتباين هذه التساؤلات في طبيعتها، فمنها التساؤلات المرحجة، ومنها التساؤلات الصعبة، ومنها التساؤلات التافهة، ومنها التساؤلات الغريبة وغير المنطقية، ويتوقف ذلك على عوامل عديدة. يقول الدكتور ماهر اسماعيل صبري: "قد يتساءل الطفل عن الأمور المتعلقة بالحمل والولادة، فعندما يشاهد أمه الحامل ذات البطن المنتفخ فإنه قد يتساءل: لماذا بطنك كبيرة هكذا يا أمي؟ وكيف دخل النونو في بطنك؟ وكيف يخرج منها؟ وأين كنت أنا قبل مولدي؟ ولابد من الإجابة بشكل علمي مناسب عن مثل هذه التساؤلات.⁵⁷⁰ ويرى الخبراء في مجال علم نفس الطفل أن صدور هذه الأنواع من الأطفال في سنواتهم المبكرة هو نتيجة فضولهم وحب استطلاعهم وميل نقي يتجه إلى المعرفة الخاصة وليس سلوكا سيئا، فيجب على الوالدين أن يجيبوا عن أسئلة الأطفال المرحجة إجابة صريحة صحيحة.⁵⁷¹

في عام 2015م، نشرت فاطمة شرف الدين كتابا باسم "سम्म في بطن ماما"⁵⁷². يتناول هذا الكتاب موضوع الولادة والحمل ويجيب على عدة تساؤلات الطفل حول موضوع الولادة بشكل دقيق ومرح. تشرح الأم للطفلة سما كيفية نمو الطفل وحجمه من الشهر الأول إلى الشهر التاسع من الأشياء المحسوسة من سम्म وبطيخة، وتساعد الطفلة على فهم الموضوع.

وبالإضافة إلى هذه الموضوعات المذكورة آنفا نجد موضوعات عديدة جديدة من نوعها ظهرت في أدب الأطفال العربي في السنوات الأخيرة. وهذه الموضوعات تظهر أن نظرة الكتاب العرب تجاه الأطفال قد تغيرت حيث تتخذ شخصية الطفل والقضايا المتعلقة به مكانا مركزيا في القصة بأسلوب سهل وممتع بعيدا من الوعظ والنصيحة. ويتخذ أدب الأطفال العربي تحولا كبيرا تجاه خلق التنوع والجودة فيما يتعلق بمحتويات ومضامين أدب الأطفال العربي الذي كانت دائرة موضوعاته ضيقة وغير متسعة. قدمت الكاتبة الإماراتية نورة أحمد النومان قصة الخيال العلمي بمعناها الفني على غرار قصة الخيال العلمي التي تصدر في الدول المتقدمة. وفازت روايتها "أجوان" بجائزة اتصالات المرموقة لكتاب الطفل في عام 2013م. ومن خلال هذه الرواية وجد الطفل العربي فرصة للسفر إلى عالم الفضاء بعيدا عن كوكبه الأرضي ويطلع على الكواكب والمحطات الفضائية والكائنات الفضائية. وهكذا، عالج الكاتب السعودي يعقوب إسحاق موضوع الإرهاب في أدب الأطفال من خلال قصته "إيهاب والإرهاب".

⁵⁷⁰ - صبري، ماهر اسماعيل، طفلك يسأل وأنت تجيب، ص 57.

⁵⁷¹ - الجبالي، حمزة، مشاكل الطفل والمراهق النفسية، ص 199.

⁵⁷² - شرف الدين، فاطمة، سम्म في بطن ماما، دار الساقى، بيروت، 2015م.

كتبت فاطمة شرف الدين قصصا عديدة تعبر عن عواطف الأطفال ومشاعرهم المختلفة مثل قصص "كيف أشعر" و "أفرح أحزن" و "لأخاف". وهكذا تعالج قصة "هكذا أمور تحصل" لفاطمة شرف الدين موضوع التنمر الذي يعتبر مشكلة كبيرة في هذه الأيام حيث يواجه الأطفال التنمر داخل المدرسة وخارجها. وتعالج قصة "البنات مثل الولد" للكاتبة المصرية فاطمة معدول قضية المساواة بين الجنسين وحقوق الأطفال. وقصة "عندما مرضت صديقتي" لسمر محفوظ براج تناقش موضوع مرض السرطان في الأطفال، كما تعالج قصة "جدتي ستذكركني دائما" الفائزة بجائزة معرض بيروت الدولي مرض الزهايمر للجدّة وتعزز علاقة الحب والمحبة بين الجيلين. وهكذا، تتناول قصة "أمي والتدخين" لنفس الكاتبة موضوع المخدرات والتدخين لتوعية الأطفال عن الحياة الصحية. وفضلكة القول إن قضايا الأطفال ومشاكلهم وكل ما يهمهم بدأت تتخذ مكانا مركزيا في أدب الأطفال العربي خاصة القضايا المتعلقة بذوات الأطفال وعواطفهم ومشاعرهم، تجد طريقها إلى صفحات أدب الأطفال في السنوات الأخيرة.

الفصل الثاني

موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في الشعر

الفصل الثاني

موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في الشعر

إن الشعر فن جميل يلمس الوجدان ويخاطب المشاعر ويجسد أحلام الإنسان وأشواقه إلى عالم أفضل. وحينما نقدم الشعر لمرحلة الطفولة فنحن نقف أمام عالم من البراءة والعفوية والأسئلة المحيرة. ونحن أمام كيانات صغيرة تتطلب أن نأخذ بأيديها ونوجهها ونرشدها ولكن بأسلوب وجداني يتسم بالبساطة ويتعد عن النصح والإرشاد، ولهذا، كان الشعر أنسب الأجناس الإبداعية لمخاطبة وجدان الطفل، فنحن أمام لوحات تصور مجموعة من القيم التي تعدل سلوكيات الطفل وتغرس قيمة حب الوطن وحب الغير والتسامح والوعي والمواطنة وغيرها من المفاهيم التي يحتاج إليها الطفل في مرحلة التنشئة والتنمية.

لقد بدأ أدب الأطفال في العالم العربي مع الشعر وليس مع القصة أو الحكاية كما هو الحال في أغلب البدايات لأدب الأطفال في العالم. إن بدايات شعر الطفل العربي اعتمدت من حيث نشأتها الأولى في أساسها الفني على الترجمة والاقتراس والتأثر بالأدب الغربي الحديث بعامة وبحكايات لافونتين خاصة. وقد كان الشاعر والمترجم محمد عثمان جلال (1838م-1898م) رائداً لحركة الترجمة والتعريب في أدب الطفل العربي. ويعد ديوانه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" منظومة شعرية متنوعة ومبتكرة، فالحكايات الشعرية التي تضمنها الديوان متنوعة، فقد ترجم الشاعر عدداً منها عن حكايات لافونتين وصاغها شعراً بحيث تتناسب مع الطفل العربي كما واقتبس الشاعر من الأدب الوعظي عديداً من الأمثال الحكيمة والأقوال الشعرية المأثورة فضمنها حكاياته ولجأ أيضاً إلى تضمين بعض مفردات الآيات القرآنية وبعض أقوال الرسول ﷺ في عدد غير قليل من منظومات الديوان. وبالإضافة إلى ذلك فإنه نظم من فيض خواطره بعض المنظومات الشعرية في لغة فصحة سهلة تارة ولغة عامية تارة أخرى لجأ فيها إلى بث الأمثال الشعبية والأقوال الحكيمة بهدف النصح والإرشاد والتعليم.⁵⁷³

⁵⁷³ - زلط، الدكتور أحمد، أدب الطفل بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 98.

وبعد عثمان جلال جاء أمير الشعراء أحمد شوقي وقام بتأصيل أدب الأطفال في العالم العربي عن طريق قرض القصائد والمنظومات الشعرية للأطفال. وقد دعا أحمد شوقي إلى العناية بأدب الأطفال. وربما كانت دعوته هذه هي السبب المباشر الذي جعل بعض الأدباء يعتبر كتابات شوقي للأطفال بمثابة بداية حقيقية لحركة التأليف الأدبي للأطفال حيث قيل إن: "أحمد شوقي هو المؤصل لهذا الجنس الأدبي المستحدث لأنه كان صاحب أول دعوة عربية لإرساء أدب الطفل العربي، كما وأسهم في تطبيق ما دعا إليه بالكتابة للطفل العربي من وحي تجاربه".⁵⁷⁴

وبعد شوقي ظهر العديد من الشعراء مثل إبراهيم العرب الذي أصدر كتاب "آداب العرب" عام 1911م، وهو يحتوي على منظومات شعرية متنوعة للأطفال، سار فيها مؤلفها في فلك الاتجاه التعليمي بتلقي القيم والمعارف والآداب الحميدة والعظات المباشرة. ونشر علي الفكري عام 1916م كتابه "النصح المبين في محفوظات البنين" وغيرها. ولكن معظم هؤلاء الشعراء كانوا يكتبون من ناحية الرجال حول موضوعات تهدف إلى غرس القيم الدراسية والخلقية والتعليمية بأسلوب وعظي وتعليمي بعيدين من بيئة التسلية والمتعة التي تعد جزءا أساسيا لأدب الأطفال.

ثم جاء الشاعر المصري محمد الهراوي، وأوجد أول شمعة عربية في الكتابة المستقلة الناضجة للأطفال ليعبد الطريق للمبدعين فيتوفروا على الإبداع للطفل العربي، ويعد الهراوي أحد الرواد الأوائل الذين تركوا علامات بارزة على الكتابة للأطفال انطلاقا من قناعاته وإيمانه برسالته التربوية والأدبية التي كرسها للأطفال، فأبدع منظومات وقصائد في شتى الموضوعات متوخيا فيها سهولة العبارة ووضوح المعنى وبأوزان غنائية رقيقة⁵⁷⁵، بعيدا عن بيئة التدريس والتعليم.⁵⁷⁶

ومنذ أواخر السبعينات خاصة في التسعينات بدأ أدب الأطفال العربي يتخذ منعطفًا جديدًا من حيث المضمون والموضوع. بدأ الكتاب والشعراء يكتبون من ناحية ميول الطفل وحاجاته العقلية والنفسية والترفيهية. لعبت التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على مستوى الوطن العربي والعالم دورا كبيرا في دفعة عجلات أدب الأطفال العربي إلى الأمام. برز الشاعر السوري

⁵⁷⁴ - سلوت، نور السيد، مفاهيم القيم المتضمنة في الأناشيد المقدمة لطلبة المرحلة الأساسية، ص 85.

⁵⁷⁵ - مصطفى، خليفة، ثقافة الطفل العربي: واقع وآفاق، ص 73.

⁵⁷⁶ - زلط، الدكتور أحمد أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص 12.

سليمان العيسى بعد نكسة حزيران عام 1967م في مجال شعر الأطفال كأكبر شاعر للأطفال من حيث الكم والكيفية، وتعد أعماله الشعرية من أغنى التجارب الشعرية للأطفال، وهو الرائد الأول في ميدان الكتابة الشعرية للأطفال في سورية وفي الوطن العربي. وبرزت ظواهر التجديد في قصائد الأطفال في العالم العربي حيث دخلت القصيدة عالم الأطفال وحركت ميولهم ووقفت على اهتماماتهم كما تطرقت القصيدة إلى الموضوعات الجديدة من المضامين الوطنية والاجتماعية والثقافية والترفيهية والجمالية. وتناولت القصيدة هوايات الأطفال وعلاقاتهم العائلية والاجتماعية كما عالجت الموضوعات الجديدة مثل البيئة وضرورة الحفاظ عليها من التلوث واتخذت قضية فلسطينية والهيم القومي حيزا كبيرا في الدواوين العربية الموجهة للأطفال والصغار.⁵⁷⁷

وفي السطور الآتية نحاول إبراز الموضوعات والمضامين التي لا يزال يعالجها شعراء الأطفال في أيامنا المعاصرة خاصة بعد شهود أدب الأطفال دفعة وقفزة نوعية في شكله الداخلي والخارجي بعد التسعينيات من القرن العشرين. ورغم أن هذا الموضوع واسع جدا ولكنه حاول الباحث كل ما في وسعه لدراسة قصائد وأشعار بعض الشعراء الرواد المعاصرين من البلدان العربية المختلفة في مجال أدب الأطفال خاصة الذين فازت محاولاتهم الأدبية ودواوينهم الشعرية للأطفال بالجوائز العربية والعالمية، وتعتبر شخصياتهم الأدبية محاور رئيسية يتمحور حولها أدب الأطفال العربي لكي يمكننا التعرف على الموضوعات المعاصرة والاتجاهات الحديثة في مضامين شعر الأطفال.

الموضوعات الوطنية وقضية العروبة والوحدة العربية

يظهر الإحساس الوطني بصورة واضحة في الأشعار الموجهة للصغار والناشئين، ويتخذ الشعر سواء كان حرا أو عموديا أشكالا مختلفة، فأحيانا يركز على التعبير عن وجود الوطن وصورته في ذهن الطفل، وتارة يجسد القضية الوطنية والقومية من خلال حركة الكفاح والنضال ضد العدو الصهيوني، حيث تبرز القضية المحورية وهي القضية الفلسطينية. ومن هذا المنطلق تتشكل الرؤية الوطنية، التي ترصد كل ما يمس الوطن وقضيته وشعبه. ومن الشعراء الذين منحوا

⁵⁷⁷ - محمد قرانيا، ظواهر التجديد في قصيدة الأطفال في سورية، ص 233.

الأطفال جزءاً من المعرفة الوطنية ووسع مداركهم حول قضايا وطنهم بلغة سهلة ومعان واضحة الشاعر السوري سليمان العيسى، ومن أشعاره في هذا المجال قصيدة "فلسطين داري" ويقول فيها:

فلسطين داري ودرب انتصاري
تظل بلادي هوى في فؤادي
وجوه غريبة بأرضي السليبية
تبيع ثماري وتحتل داري
وأعرف دربي ويرجع شعبي
إلى بيت جدي إلى دفء مهدي
فلسطين داري ودرب انتصاري⁵⁷⁸

فيحاول الشاعر السوري سليمان العيسى في هذه الأبيات غرس قيم حب الوطن والدفاع عنه لا سيما فلسطين التي تعتبر طريقاً للانتصارات على مدى التاريخ الإسلامي، وينفر الأطفال من الغاصبين، ويغرس فيهم كراهية وبغض الاحتلال مبيناً لهم بأن هؤلاء هم الذين سلبوا الأرض واحتلوا الدار ونهبوا خيراتها وثوراتها. بالإضافة إلى هذه القصيدة، نظم سليمان العيسى قصيدة أخرى بعنوان "وطني"⁵⁷⁹، يتحدث فيها عن أهمية أرض الوطن وحبه له حيث يقول إنه يحب الوطن وأرضه وأشجاره وظلاله وترابه وقمحه وغلاله وأنهاره حتى كل شيء يوجد في الوطن لأنه أرض آباءه وأجداده. ومن خلال هذه القصيدة يحاول سليمان العيسى غرس القيم الوطنية في الأطفال والصغار.

وفي قصيدة "قوس قزح" يلح سليمان العيسى على ضرورة الوحدة العربية وأهميتها في هذا الوقت العصيب ويقدم مفهومها إلى الأطفال الذين يعتبرونهم الشاعر نور الأمل والتفاؤل في المستقبل بمثابة رائع حيث يقول للأطفال إن جميع الدول العربية المختلفة وشعبها مثل قوس وقزح يحمل ألواناً زاهية متعددة وكما تتحد فيه الألوان المنثورة المختلفة فستتحد الدول العربية المختلفة رغم تغيرها في اللون والجنسية في الأيام القادمة. ويخاطب الشاعر الأطفال عن طريق توجيه هذا السؤال إليهم. هل رأيتم أيها الأعداء الصغار قوساً عظيماً ينتصب في الجو بألوانه السبعة الزاهية،

⁵⁷⁸ - ديوان سليمان العيسى، فلسطين داري، ص 47-49.

⁵⁷⁹ - نفس المصدر، وطني، ص 77-79.

فيملاً الفضاء بهجة وجمالاً؟ إن وجودكم على أرض وطننا الكبير يحمل معنى هذا القوس العظيم،
إنكم أمل هذه الأرض وبهجتها وجمالها. وإليكم بعض الأبيات من هذه القصيدة الرائعة:

"ففي قبلة السماء
سمائنا الزرقاء
وفوق أرض الخالدين، أرضنا الخضراء
عقدنا عرس فرح
نصنأنا قوس قزح
بأيدي الصغار
بأيدي الكبار
بأيدي الجيل القادم مثل أغاني الفرحة
نصنأنا قوس قزح⁵⁸⁰"

ويضيف الشاعر قائلاً إن الألوان الموجودة المختلفة في قوس وقزح تتمثل وتدل على معانٍ
معينة، فمثلاً يدل اللون الأحمر على دم الشهداء الذين خسروا حياتهم في سبيل الحرية والمقاومة
ضد العدو الاستعماري والصهيوني. بينما اللون الأخضر هو لون الأطفال والصغار الذين
سيملأون الفضاء غداً بالحب والأمن والسلام. وهكذا تشير الألوان الأخرى من الأزرق والأصفر
إلى المعاني المعينة الأخرى. ورغم اختلاف اللون يتحد القوس والقزح، فالدول العربية، ستتحد في
المستقبل مثل القوس والقزح، وسيلعب الأطفال والناشئون دوراً هاماً في هذه الوحدة العربية لأنهم
ضياء الأمل والحياة والأمن والسلام والحب والوحدة، فيقول الشاعر:

"الأحمر لون الشهداء
الأخضر لون الأولاد
الأزرق لون سماء العز
الأصفر رمل الأجداد

⁵⁸⁰ - ديوان سليمان العيسى، قوس وقزح، ص 267-271.

ينضم غدا وطني العربي فكل مرابعه جسد

بملايين الآتين غدا

وملايين البسمات غد⁵⁸¹

ولا يخفى على أحد ما تعرضت له الأمة العربية في القرون الماضية ولاتزال في السنوات الحالية من المخاطر الرهيبة والتحديات الصارخة والحملات العنيفة من أجل انفصالها واختلافها وانشقاقها الداخلي، ومن أجلها عانت الدول العربية من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتدهورت حالة العرب بصورة أكبر في الأيام الراهنة. إن الأطفال هم رجال الغد وقادة المستقبل، فتربيتهم وتنشئتهم على الخطوات السليمة وبث أقدار الوحدة العربية والعروبة فيهم من نعومة أظفارهم ضرورة جدا. وفي الأيام المعاصرة، نجد مثل هذه الموضوعات في قصائد الأطفال وأشعارهم لكي يشب الأطفال مع فكرة إنقاذ الأمة العربية من مخالب القوة الاستعمارية والصهيونية ونعرات الوحدة العربية والعروبة. ويبدلون جهودهم المضنية لجمع شمل العرب وطرد العناصر الاستعمارية الشريرة من ديارهم في الأيام المقبلة.

وفي قصيدة "أحلى لغة"⁵⁸² والقصائد الأخرى المتعددة حاول سليمان العيسى لغرس قيم الوحدة والعروبة في الأطفال. وبالإضافة إلى سليمان العيسى هناك شعراء كثيرون في مجال أدب الأطفال نجد في أعمالهم الشعرية الموجهة إلى الأطفال موضوعات ومضامين ترسل رسالة الوحدة العربية والعروبة إلى الأطفال. وفي قصيدة "عروبتى" للأطفال يقول الشاعر المصري أحمد سويلم إن تاريخ العروبة طويل وقديم ومجدها العريق هو أصيل وحقيقي فلا بد للأطفال أي يفتخروا بها ويحافظوا عليها لأن العروبة هي علامة الحضارة والضياء والنور، ودائما تدعو إلى طريق السلام والأمن والمحبة والوئام. وفي آخر القصيدة يدعو الشاعر الله أن يحمي الأوطان والبلاد العربية وشعبها من الصغار والكبار من جميع المشاكل والصعوبات والأعداء. وإليك بعض الأبيات من تلك القصيدة:

"عروبتى حضارة عروبتى منارة

⁵⁸¹ - ديوان سليمان العيسى، قصيدة "قوس وقزح" ص 271.
⁵⁸² - ديوان سليمان العيسى، قصيدة "أحلى لغة"، ص 222.

تاريخها طويل ومجدها أصيل
ودينها الإسلام يدعو إلى السلام
الله يحميها لنا كبارنا وصغارنا⁵⁸³

الموضوعات الدينية:

إن الموضوعات الدينية من المضامين الأكثر شيوعاً في شعر الأطفال العربي منذ ابتداء أدب الأطفال في العالم العربي. ولا نجد أي شاعر عربي نظم شعراً للأطفال إلا تناول الموضوعات ذات الطابع الديني والإسلامي لغرس القيم الدينية والإسلامية في الأطفال والناشئين. ترتكز الموضوعات الدينية على الجوانب المرتبطة بالخالق عز وجل، وبالأنبياء والرسل والملائكة، بالإضافة إلى أركان الإسلام والإيمان والأدعية وشعائر الإسلام وكل ما يجسد علاقة العبد بربه، ولأن الطفل حاضر الأمة ومستقبلها فيجب أن تكون تربيته على النهج الإسلامي والديني من خلال زرع بذور الإيمان في داخله من نعومة أظفاره. وتناول الشعراء من بزوغ أدب الأطفال في العالم العربي جوانب دينية بغزارة في أعمالهم المنظومة الموجهة إلى الأطفال. فقد بدأ أدب الأطفال في العالم العربي مع الشعر وليس مع القصة أو الحكاية كما هو الحال في أغلب البدايات في العالم. ومن الشعراء الذين عالجوا الموضوعات الدينية في أشعارهم للأطفال الشاعر الأردني راشد عيسى الذي تناول في أكثر من قصيدة هذا الموضوع، ومنها قصائد "دعاء" و "خير البشر". ففي قصيدة "دعاء" يتوجه الشاعر إلى الخالق سبحانه وتعالى، ويتضرع هو وكل البشر لله عز وجل، فيحمد الله على نعمه وكرمه ورحمته وعدله كما يدعو الله عز وجل بتنوير قلوب المسلمين. ومن خلال هذا التوجيه إلى الدعاء، يلفت الشاعر الطفل إلى أن باب الله مفتوح، وهو يستجيب للدعاء، كيف لا وهو القادر والكريم والعاقل والخالق والناصر والرزاق، وهنا يبرز الجانب التعليمي بتعليم الطفل أسماء الله الحسنى، فيقول الشاعر:

"ما أرحمك يا خالقي
صليت لك يا قادر
ما أكرمك يا رزاق
تعطي لكل من سعى
ما أعدك يا ناصر
تجيب كل من دعا⁵⁸⁴"

⁵⁸³ - أحمد سويلم، ديوان الطفل العربي، قصيدة "عروبتني"، ص 46.
⁵⁸⁴ - راشد عيسى، هيا إلى العربية، ص 23.

ويبرز المغزى الأساسي للشاعر في حث الطفل على الإيمان وشكر الله فهو غفار للذنوب والقادر على كل شيء وهذا ما نجح الشاعر في إيصاله للطفل بأسلوب قريب من مرحلته العمرية. ولكي يكتمل إيمان الطفل لا بد من الإيمان بنبيه العظيم وبرسالته الخالدة. فقصيدة "خير البشر" للشاعر تربط الطفل بالرسول الكريم وتحفزه إلى التعرف على خير البشر سيدنا محمد عليه السلام وعلى صفاته، فهو الصادق والمنذر وهو من نسب كريم وشريف، عطوف على الفقراء، مرشد للإيمان، فيقول الشاعر عن النبي ﷺ:

من أسرة شريفة وسادة كرام	"نبينا عظيم وسيد كريم
محمد خير البشر	الله فيه قد أمر
والخير والفلاح كي ينصر الإسلام	يهدي إلى الصلاح
هو الرسول المرشد	نبينا محمد
فهو العطوف المنصف لأمتي إمام ⁵⁸⁵	على الفقير يعطف

وبالإضافة إلى هذا، تناول الشاعر محمد جمال عمرو موضوعا دينيا في أعماله المنظومة الموجهة إلى الأطفال لترسيخ عقائد التوحيد وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف في الأطفال والناشئين ليصنع منهم أفرادا أسوياء ينهضون بمجتمعاتهم. وقد ظهر ذلك في عنوانات مجموعاته الشعرية مثل مجموعة "طه الحبيب" وسلسلة "نبي الرحمة".

"أشهد أنك أنت الله
ربي لا أعبد إلاه
أنت الواحد يارباه
أشهد أنك أنت الله
أشهد أنك أنت الله⁵⁸⁶"

⁵⁸⁵ - راشد عيسى، خير البشر، هيا إلى العربية، 36.
⁵⁸⁶ - محمد جمال عمرو، أحلى الأنغام، ص 8.

الموضوعات الاجتماعية:

تتخذ الموضوعات والمضامين المرتبطة بالقضايا الاجتماعية صورة خاصة في شعر الأطفال، وذلك يعود إلى طبيعة العمل الشعري المقدم للطفل، فغالبا ما تركز القضية الاجتماعية على العنوان، فتبرز الظاهرة الاجتماعية، والغاية منها بشكل مباشر وقريب للطفل. ولقد وقف مجموعة من الشعراء عند المظاهر التي تخص الطفل، وتعكس علاقته بأسرته ومدرسته ومجتمعه وبقضاياه وعاداته السلبية والإيجابية. وتعليقا على الموضوع الاجتماعي في أدب الأطفال يقول الشاعر الأردني راشد عيسى: "وهو يحتوي القصيدة من فكرة أو أفكار تتعلق بإحدى القيم الاجتماعية كطاعة الوالدين وحقوق الجار ومجموعة الأعراف والعادات السائدة في المجتمع".⁵⁸⁷

وهناك العديد من الشعراء الذين تناولوا هذه الظواهر الاجتماعية في أشعارهم الموجهة للأطفال. ونخص منهم بالذكر الشاعر الأردني راشد عيسى حيث وقف على أكثر القضايا التي تمس بالطفل، وخاصة في المراحل الأولى من عمره. عندما بدأ أدب الأطفال في العالم العربي، كان الشعراء والكتاب يهدفون فئة خاصة من الأطفال في مراحل طفولتهم الأخيرة، ولكن مع مرور الزمن بدأ يتغير هذا الاتجاه، ويقدم الآن الشعراء والكتاب أعمالهم الأدبية لجميع مراحل الطفولة مع رعاية مستواهم العقلي والنفسي. وفي قصيدة "بيتي ومدرستي" يتناول الشاعر راشد عيسى العلاقة بين الطفل والمدرسة، هذه العلاقة القائمة على المحبة والفرح، فالمدرسة بيت للطفل. وإلى جانب ذلك، هي محطة للتعلم وتكوين العلاقات مع الزملاء الذين ينظر إليهم الطفل كإخوان، وحلم الطفل في مدرسته حلم بالتقدم للصف الأعلى، فيقول الشاعر:

"أنا مسرور في بيتي
في فرح أقضي وقتي
وأغني في مدرستي
أغنية الورد الأعلى
مدرستي مثل البستان
ما أجملها بالألوان
ندرس فيها كالأخوان
نحلم بالصف الأعلى"⁵⁸⁸

⁵⁸⁷ - عيسى، راشد، مضامين القصيدة الموجهة للأطفال في الأردن، ص 4.

⁵⁸⁸ - راشد عيسى، هيا إلى العربية، ص 7.

وبالإضافة إلى العلاقة بين الطفل والمدرسة تناول الشعراء علاقته بين الأم والأب والأفراد الآخرين من أسرته، فوجد كثيرا من القصائد والمنظومات لدى كل شاعر الأطفال تقريبا يتناولون هذا الجانب الاجتماعي في أشعارهم. حيث تناول الشاعر محمد جمال عمرو في قصيدته "عيد الأم" الروابط الاجتماعية بين الطفل وأسرته، إذ يعرف الطفل بمناسبة عيد الأم في شهر مارس. ومن خلال الارتباط بين الطفل وأمه، والتقدير لعيدها والاهتمام بها، تتجلى طاعته ومساعدته لها. ومما لا شك فيه أن العيد ظاهرة اجتماعية محببة للأطفال تبث داخلهم الفرحة.⁵⁸⁹

"عيد الأم عيد الأمل
فهي الأمل وهي الأعلى
أسمع منها وأطوعها
وأساعدتها وأعونها
عيد الأم في آذار
يملاً بيتي بالأنوار"⁵⁹⁰

ومن خلال هذه العلاقة الاجتماعية، يعكس الشاعر سلسلة من القيم كالتعاون بين الطفل وأمه واحترامها ومحبتها، فالشاعر هنا نبه الطفل إلى أهمية احترام الأم وتقدير تضحياتها. وهذه الظاهرة من المضامين الاجتماعية حول علاقة المحبة والحب والبر وغيره بين الطفل وأسرته ومدرسته وأصدقائه عامة في أشعار الأطفال وتوجد في أعمال الشعراء الكلاسيكيين والمحدثين على حد سواء. ولكن الموضوعات الاجتماعية التي تعالج المشاكل الشائعة في المجتمع هي ظاهرة جديدة في أدب الأطفال لا نجدها في أعمال الشعراء القدامى من الهراوي وشوقي وغيرهما. في المجتمع الشرقي يفضل الذكر على الأنثى، كما توجد ظاهرة التمييز بين الابن والابنة في تعليمهم وتربيتهم وحرمتهم. ورغم المجهودات الرامية إلى القضاء على هذه المشكلة الاجتماعية من قبل الحكومات والمؤسسات التعليمية والحقوقية على مستوى البلاد العربية والعالمية، لا تزال تبقى هذه الظاهرة في المجتمع العربي. ويمكن القضاء عليه فقط من خلال نشر الوعي والتعليم

⁵⁸⁹ - راشد عيسى، مضامين القصيدة الموجهة للأطفال في الأردن، 10.

⁵⁹⁰ - محمد جمال عمرو، عيد الأم "أغنيات للأطفال"، ص 74.

في المجتمع وتغيير عقلية الناس بهذا الصدد. فشعراء الأطفال يعالجون مثل هذه الموضوعات في أدب الأطفال يعبرون عن إحساسات الأطفال وأحزانهم وأفراحهم وآلامهم. وتعتبر طفلة تعيش في المجتمع الشرقي عن ألمها حول وجود هذه الظاهرة في المجتمع التي تؤلمها فتقول على لسان الشاعر إن أمها تبقى دائما حزينة وحائرة لأنها أنجبت أختا لي بدل إنجاب أخ يفضله المجتمع وأسرتي على أختي. تقول الدكتورة جهينة الخطيب: "ودخلت أشعار الأطفال إلى أعماق الطفل العربي الذي يعيش في مجتمع شرقي يفضل الذكر على الأنثى، والطفلة تعيش هذا الأمر ويؤلمها هذا".⁵⁹¹ تقول الشاعرة عايدة الخطيب على لسان طفلة:

"يظل فكري حائرا
أياماً كثيرة
فأمي تبدو دائماً
تعيسة حزينة
لأن أُمِّي أنجبت
أختي أُمينة
ولا أخ في بيتنا
ونشتهي البنينا"⁵⁹²

قبل انتشار الدراسة المكثفة في مجال علم النفس الطفلي في العالم العربي، كان الطفل يعيش الحياة ضمن ظلال الرجال، ويعد صورة مصغرة للرجال. فالأدباء والشعراء كانوا يكتبون لهم من ناحية نظرهم دون رعاية وجهات نظر الأطفال وبدون إجراء الدراسات المكثفة في ميول الأطفال وحاجاتهم النفسية والوجدانية. يقول الدكتور علي الحديدي: "إن المجتمع العربي آنذاك كان مجتمع الرجل، ولم يكن للطفل أو المرأة مكان فيه إلا في ظلال الرجال، أو بوصفها وسيلة ترضى غريزة البنوة ومتعة الرفقة عندهم، ومن ثم فكل الفنون والآداب الجادة لا بد أن تدور في فلك الرجل وحده ترضى عواطفه وتقوم بمهمة الترفيه عنه".⁵⁹³ وفي السنوات الأخيرة خاصة بعد

⁵⁹¹ - الخطيب، الدكتورة جهينة، أدب الأطفال في فلسطين، كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية، الجزء الأول،

ص 51.

⁵⁹² - عايدة خطيب، أشعار للأطفال، ص 8.

⁵⁹³ - الحديدي، الدكتور علي، في أدب الأطفال، ص 256.

اقرار اتفاقية حقوق الطفل عام 1989م من قبل الأمم المتحدة ورعاية كتاب الأطفال نفسيات الأطفال في كتاباتهم الموجهة لهم نجد اتجاها جديدا حول معالجة الموضوعات المتعلقة بعواطف الأطفال ومشاعرهم وذواتهم. وفي قصيدة "خدي كالورد" يتناول الشاعر الفلسطيني فاضل علي مضمونا متعلقا بحقوق الأطفال المختلفة بما فيها الحق التعبيري وشخصيته الخاصة. فيقول الشاعر معبرا عما يجول في خاطر الأطفال والصغار على لسان الطفل:

"إنني ياناس طفـل
أصعد الـدنيا
ولـي قلب وعقـل
فـافهموني
إن لـي شـأني وأمـري
رغـم أنـي
لـم أزل فـي فـجر عمـري
اسـمعوني حـيـث أحـكي
لا تصـيحوا بـي: كفايـة!
إن ما عندي مهم كله حتى النهاية"⁵⁹⁴

كما لاحظنا في القصيدة أن الشاعر يحاول أن يعبر عن إحساسات الأطفال ووجدانهم ومواقفهم وحقوقهم في الحياة. فالطفل له حياة مستقلة، وله أفكار وأخيلة ومواقف حول كل شيء يجب على الكبار أن يستمعوا إلى ما يقوله الصغار بدون فقد صبرهم ويحاولوا فهم قولهم، لأنهم يتميزون بالعقول والأفكار الخاصة حول شيء ما يحدث في الأسرة والمجتمع المحيط به، ويجب عليهم أيضا أن يوفرُوا للأطفال فرصا للإبداع وحرية الفكر والتخيل والعمل بالمناسبات المختلفة مع القلوب المفتوحة والمراقبة الحكيمة عليهم في بيئة ودية بدون اختيار الطريقة الوعظية والمسيطرة في تربية الأطفال. وفي الأبيات التالية التي كتبتها الشاعرة الفلسطينية عايدة الخطيب بعنوان "أكره الحمام" تتناول موضوعا هاما متعلقا بنفسية الطفل وإحساساته ووجدانه. ونلاحظ من خلال

⁵⁹⁴ - علي، فاضل جمال، قصيدة "خدي كالورد"، مدونة حي بن يقظان الإلكترونية، 10 أكتوبر، 2011م..

القصيدة أن الشاعرة قد درست موضوع أدب الأطفال وتفهمت نفسية الطفل وحاجاته الذاتية والجسدية والفكرية وبما يفكر وماذا يريد، وتوغلت في نفسية الأطفال ودرست عالمهم الملائكي. تنظم الشاعرة قصيدة باسم "أكره الحمام" وتذكر فيها ما يفكر الطفل حول الحمام والصابون وما يشعر بالخوف والقلق والتردد عندما يجيئ وقت الحمام، ولماذا لا يحب الطفل الصابون عند الحمام. والبكاء عند وقت الحمام في أيام الطفولة هو ظاهرة عامة توجد في سائر المجتمعات عبر العالم، فتقول الشاعرة:

"لا أكره الحمام بل أكره الصابون
يسري على الجفون ويحرق العيون
فيملاً الحمام بكائي الحزين
أمي تضميني لصدرها الحنون
تقبل الخدين وتمسح الصابون
تقول في حنان تسلم العيون"⁵⁹⁵

الموضوعات السياسية وقضية الحرب

إن الأدب هو مرآة الحياة الاجتماعية ويعكس صورة حقيقية ما يحدث في المجتمع من القضايا المختلفة سواء أكانت إنسانية، واجتماعية أو سياسية أو غيرها. في هذه الأيام نلاحظ اتجاهها سياسيا جديدا واقعيا في شعر الأطفال في بعض البلدان العربية. ونجد خاصة هذا الاتجاه في أدب الأطفال الفلسطيني، فهناك عديد من القصائد والمنظومات الموجهة للأطفال تسلط الضوء على الأوضاع السياسية القائمة في البلدان العربية. ومن المعلوم أن الفلسطينيين في الضفة والقطاع يعيشون ظروفًا تحتم عليهم في كثير من الأحيان الوقوع تحت قرارات تعسفية من الاحتلال كحظر التجول، والحياة في المخيمات، وتكاد لا تخلو عائلة من شخص شهيد فيها، الأب، الأم، الابن والأخ. والطفل يعيش في ظل هذه الظروف يرى الدم والقتل بشكل شبه يومي، ويحتك مباشرة مع الجنود، وصراع الفلسطيني اليومي معهم سواء أمام الحاجز الذي يفرض عليه عند عبوره إلى مكان عمله، أو في المظاهرات جراء استشهاد شخص من البلدة. وفي قصيدة "الفتى

⁵⁹⁵ - جو عيه، حاتم، دراسة لمجموعة قصائد للأطفال للأديبة الشاعرة عابدة خطيب، ص 10.

يبذل حذاه⁵⁹⁶ يذكر الشاعر إياد البلعاوي معاناة طفل يلاحقه جنود الاحتلال واضطراره للاختباء في بيت، فيقدم أعضاء الأسرة له يد التعاون ويحتالون على الجنود بأن يرتدي حذاء آخر لكي لا يميزه الجنود، وهذه واحدة من معاناة الأطفال في فلسطين.

إن أدب الأطفال يهدف أساساً إلى تربية وتنقيف الأطفال في جميع مجالات الحياة لكي يتمكن الأطفال من قضاء الحياة السليمة والأمنة في الأيام المقبلة وتحمل المسؤولية تجاه أسرهم ومجتمعهم وتقديم دور فعال في بناء المجتمع في المستقبل. ونشر الوعي السياسي والتنفر من الحروب والنزاعات بين الأطفال هو من القضايا الرئيسية في تربية الأولاد والصغار في العالم والمجتمع العربي خاصة لوجوه متعددة معروفة. وتقع هذه المسؤولية على عواتق أولياء الأمور والمربين عامة وأدباء الأطفال خاصة. ومن أجل ذلك، نجد قصائد مختلفة تدور مضامينها حول المواضيع السياسية والحروب. يكتب الشاعر المصري أحمد فضل شبلول أن العديد من الشعراء العرب المعاصرين قد بدأوا تناول الحديث عن الحروب ومعاناتها سواء في أشعارهم المكتوبة للأطفال أو عن الأطفال خاصة معاناة الأطفال الفلسطينيين وانتهاكات حقوقهم الأساسية على يد الجيش الإسرائيلي.⁵⁹⁷

الموضوعات التربوية

تتداخل الموضوعات التربوية مع الموضوعات الاجتماعية والتعليمية. وذلك لارتكاز كل منها على توجيه الطفل وحفزه بشكل تربوي، إلى السلوك السليم وإلى التحلي بالخلق الكريم من خلال ربطه بقضية ما، ثم توجيهه إلى أخذ الإيجابيات منها. تعكس قصيدة "مكتبتي" لراشد عيسى العلاقة بين الطفل والمكتبة التي هي جزء من تعليمه وتربيته، وفائدتها لا تقتصر عليه فقط فهي له ولاخوته، لكن ما يريده الشاعر هو حفز الطفل على النظافة من خلال المحافظة على نظافة مكتبته وترتيبها وتنظيمها، ثم محبة العلم والمعرفة والسعي لتحقيق الدرجات العلمية الفضلى. فيقول الشاعر على لسان الطفل:

"أختار منها قصتي ودفترتي ولعبتي
نظيفة نظيفة يفيد منها إخوتي"

⁵⁹⁶ - الخطيب، الدكتورة جهينة، أدب الأطفال في فلسطين، كتاب المؤتمر الدولي، الجزء الأول، ص 49.
⁵⁹⁷ - شبلول، أحمد فضل، الطفل والحرب في فناء الشعر العربية المعاصرة، ص 6.

زجاجها مزين صغيرة أدراجها
وشكلها ملون ودائماً أحتاجها⁵⁹⁸ "

ومن القيم التربوية مراعاة آداب الطعام، ويتناول راشد عيسى هذه القيمة في قصيدته "آداب الأكل" ويحث الشاعر الطفل على احترام هذه العادات المستحبة، فلا يأكل وهو شبعان، أو يشرب وهو تعبان وعليه أيضاً أن ياكل بانتظام و قدر حاجته، ثم يغسل يديه بعد الانتهاء من طعامه، وبهذا يكون الطفل قدوة لإخوته الصغار:

"أجلس بهدوء ونظام وأسمي في بدء طعامي
لا أسرع في بلع اللقم كي يسهل جدا في الهضم
أكل دوما ما يكفيني فالأكل الزائد يؤذيني
أشكر ربي بعد الأكل وأخي سامي يفعل مثلي
أغسل بالصابون يديا أمسح بالماء شفتيا⁵⁹⁹ "

الموضوعات الجمالية:

ومن الموضوعات التي اهتم بها شعر الأطفال لفت أنظار الأطفال إلى الطبيعة ومظاهر الجمال فيها لتعمق إحساسهم بالجمال والفن وقدرة الخالق وحب الطبيعة والمحافظة عليها، فالطبيعة لوحات فنية جميلة تشهد بقدرة الخالق المبدع المصور. ومن ذلك ما قاله الشاعر السوري سليمان العيسى في قصيدته "أغنية الفصول الأربعة"⁶⁰⁰. وفي هذه القصيدة يذكر سليمان العيسى الفصول الأربع للسنة من الربيع والصيف والخريف والشتاء مع ميزات المتنوعة التي يتسبب بعضها في هطول المطر وملاً الأرض خضرة وجمالاً، وبعضها سبب لإيناع الغلات والثمار في صلاح المخلوقات من البشر والحيوانات. ويذكر الشاعر أيضاً أن الفصول الأربعة تكمن فيها حكمة وعبرة للناس، يقول الشاعر:

⁵⁹⁸ - راشد عيسى، مكتبتني، هيا إلى العربية، ص 53.

⁵⁹⁹ - راشد عيسى، هيا إلى الإيمان، ص 18.

⁶⁰⁰ - ديوان سليمان العيسى، أغنية الفصول الأربعة، ص 622.

"الربيع:

للأمطار والأزهار

وللظل الخضر

الصيف:

للرحلات وللغلات

وللحقل المعطاء

الخريف:

للأوراق المنتثرة

للغيومات المنهمرة

للريح الهوجاء

الشتاء:

يانار السهرات

ياقصص الجدات

يجمد فيك الماء"

الموضوعات الترفيهية:

إن الموضوعات الترفيهية في شعر الأطفال تشمل القصائد والأشعار التي تعالج موضوعا فكاهيا وترفيهيا وتسعى إلى إدخال البهجة والسرور إلى قلوب الأطفال بهدف التسلية والترفيه والإمتاع⁶⁰¹ ودفع السامة والملل من وجوه الأطفال ونشر بعض علامات البسمة والضحك على شفاه الأبرياء ذوي الصفات الملكية من خلال القصة أو الحكاية الفكاهية أو حادثة واقعية تجلب ابتسامة خفيفة على شفاه الأطفال. وهذا النوع من القصائد على ألسنة الحيوانات والطيور نالت رواجاً كبيراً في أدب الأطفال العربي من بداية أدب الأطفال في العالم العربي، ولجأ كثير من الشعراء إلى كتابة شعر للأطفال العرب في الاتجاه الترفيهي، فنظموا قصائد وأناشيد بهدف تسلية الأطفال، وإمتاعهم والترفيه عنهم بأسلوب قصصي ليزيدوا إقبال الأطفال على ما كتبوا، ويسهلوا عليهم فهم المعاني المراد تعلمها، كما لجأ بعضهم الآخر إلى حيك هذه القصص على ألسنة الطيور والحيوانات المألوفة للأطفال العرب، وفي كثير من الأحيان الموجودة في بيئتهم.

⁶⁰¹ - الديك، نادي ساري، في أدب الأطفال، ص 195.

ومن خلال دراستي لعدد من القصائد والأناشيد في دواوين الشعراء البارزين في مجال أدب الأطفال خلال السنوات الماضية القريبة بعد التسعينيات من القرن العشرين، اخترت مجموعة منها صنفتها في الاتجاه الترفيهي. وهنا نقدم ما نظمه الشعراء المعاصرون حول الموضوعات الترفيهية. إن الأطفال ميالون إلى اللعب واللهو والمرح مع الأقران والزملاء، ولهم حقوق في هذا الصدد. تكشف الدراسات الحديثة أن الألعاب الرياضية تلعب دورا هاما في تنمية الأطفال جسديا وكما تلعب الألعاب الإلكترونية والحاسوبية دورا بارزا في تنمية وتنشئة القدرات العقلية والإبداعية عند الطفل.

ومن القصائد المهمة التي يمكن الإلماع إليها هنا على سبيل المثال، قصيدة الشاعر الأردني محمد جمال عمرو "قف لا تلعب"⁶⁰² التي جاءت تؤكد أهمية هذا الجانب من الترفيه والتسلية في حياة الطفل اليومية لإحداث نوع من التوازن النفسي عنده، وخاصة أنه في طور التربية والتنشئة وفي ميدان الوعي بالحياة والاستعداد لحمل أعبائها الثقيلة. ومن العنوان نصيحة إلى صوت الوالدين الذين لا يكفان عن أمر الطفل بالتوقف عن اللعب، والعودة إلى الدراسة والكتب دائما، يقول الشاعر:

"عجبي عجبي عجبي
كم تأمرني أمي وأبي
قف لا تلعب كي لا تتعب
عد للكتب عد للكتب"

ولكن مثل هذه الأوامر هي أشد ما يؤلم الطفل ويخنقه، وإن لم يظهر ذلك لهما كفاحا، مؤثرا الصمت وكظم الغيظ في نفسه الغضة، وهو ما يمكن أن يندر بعواقب وخيمة، ويؤدي إلى نتائج عكسية، سببها حرمانه هذا الحق البسيط من حقوقه في هذه المرحلة:

"وأنا دوما أكتم غضبي
أبدي لهما كل الحب
ربي ربي ما ذنبي"

⁶⁰² - عمرو، محمد جمال، نسيومات الطفولة، ص 20.

هذي نفسي تهوى الفرحا
وبه أمضي وقتي مرحا
إنني أستتكر بالهمس
سرا أستتكر في نفسي⁶⁰³

وبالإضافة إلى هذه القصيدة التي تؤكد على أهمية الموضوعات الترفيهية في أدب الأطفال لتنمية الأطفال الشاملة في شعر محمد جمال عمرو، هناك العديد من أمثلة القصائد الترفيهية في الشعراء المعاصرين الآخرين مثل سليمان العيسى وأحمد سويلم وعائدة خطيب وراشد عيسى وغيرهم. وهنا نقدم مثالا آخرًا للشاعر أحمد سويلم الذي كتب قصائد عديدة ذات المضامين الترفيهية. وفي قصيدة "كلمي"⁶⁰⁴ يقول الشاعر إن كلبنا الوفي والمطيع في بيتنا هو مصدر الفرح والسرور لكل منا حيث نلعب معه الكرة ويدور حول دائرة، وعندما ندعوه فيجئ إلينا سريعا حيث يقول الشاعر:

"كلمي لنا مطيع
يجبه الجميع
يلاعبونه معا
وإن دعوه أسرع
يحب ألعاب الكرة
والجري حول دائرة
وهو وفي حارس
وهو ذكي مؤنس"

⁶⁰³ - عمرو، محمد جمال، نسيومات الطفولة، ص 21.
⁶⁰⁴ - أحمد سويلم، ديوان الطفل العربي، ص 45.

الموضوعات التعليمية والعلمية

بدأ أدب الأطفال في العالم العربي في إطار التعليم المدرسي بالشعر، فالموضوعات والمضامين التعليمية كانت تسود محتويات أدب الأطفال. وتبدأ المضامين التعليمية والعلمية بتدريس الأطفال في مراحل أعمارهم الابتدائية الحروف الهجائية وقواعد اللغة العربية أو تقديم المعلومات العلمية من اختراعات الآليات أو الأسباب العلمية حول المظاهر الطبيعية من طلوع الشمس وغروبها وهطول المطر وغيرها من المظاهر الطبيعية. تقول الباحثة عبير جراد إبراهيم: "إن المضامين التعليمية تركز على تعريف الطفل بالعالم المحيط به من طبيعة وأماكن وصور وظواهر مختلفة لإيصاله إلى الهدف وهو الوقوف إلى حقائق الأشياء وتكوين صورة خاصة في ذاكرة الطفل لما يحيط به وإن كانت هذه المضامين تتداخل مع المضامين التربوية".⁶⁰⁵

وللشاعر راشد عيسى جهد كبير في هذا المجال حيث يتناول في قصيدة "حروفي"⁶⁰⁶ جانبا مهما للطفل في المراحل العمرية الأولى، فيعرفه بالحروف الهجائية من جهة، ثم بالطبيعة بأرضها وشجرها وأزهارها وسماؤها وبحرها وواديها. وجاءت القصيدة على مسارين، أولهما ذكر الحروف ثم تصويره بمشهد يبدأ بنفس الحرف، فيقول الشاعر:

"ألف أرض الأجداد

باء بلدي ما أغلاه

تاء تين في الوادي

ثاء ثوبي ما أحلاه

جيم جسر فوق النهر"

وتناول الشاعر السوري سليمان العيسى العديد من الموضوعات حول المظاهر الطبيعية، فنظم قصائد "الشتاء" و "الثلج" و "الخريف" و "الربيع" و "الماء" وغيرها من القصائد ذات المضامين التعليمية والعلمية. في قصيدة "الماء"⁶⁰⁷ يقدم سليمان العيسى مضمونا تعليميا وعلميا للأطفال حيث يذكر أن الماء هو نعمة خاصة للحياة البشرية من الله عزوجل ووسيلة هامة لقضاء الحياة في العالم. والماء هو سبب هام لقدوم الربيع وبه تخضر الأشجار والحقول وتكون حياة الإنسان والحيوانات والنباتات سعيدة على وجه الأرض. يقول الشاعر للأطفال إننا ننظر الماء في

⁶⁰⁵ - النوايسة، عبير جراد، أدب الأطفال في الأردن: فنونه وأساليبه، ص 185.

⁶⁰⁶ - راشد عيسى، هيا إلى العربية، ص 78.

⁶⁰⁷ - ديوان سليمان العيسى، قصيدة "الماء"، ص 742.

الأماكن المختلفة من العيون والبحور والسواقي وغيرها من الأماكن، وبدون الماء ومصادرها الهامة من العيون والبحور والأنهار لا يمكن قضاء الحياة في هذه الدنيا حيث يقول الشاعر: "تكون إذ تكون". ويعلم الشاعر الأطفال أهمية الماء في حياة الإنسان والحفاظ عليه، ويوجه معلومات علمية إلى الأطفال حول الماء، فيقول هو قديم، ومعنى ذلك الإشارة إلى أقوال العلماء ودراساتهم العلمية أن الماء الموجود في حمامنا في يومنا هذا كان موجودا في العصور القديمة قبل مليون عام في أشكال الغطاءات الجليدية أو المحيطات أو تحت الأرض. وقدم نظرية التبخر العلمية التي أصبحت من المسلمات في عصرنا هذا، وإليكم بعض الأبيات من تلك القصيدة الرائعة:

"ترقـرق الينبـوع
وغنـت الميـاه
وأقـبل الـريـع
واخضـرت الحـيـاة
تحية يا ماء!
يا نعمة السماء
أراك في المطر
أراك في العيون
في البحر، في السواقي
نكون إذ تكون
وتملاً الماء
يا ماء من قديم"

الفصل الثالث

تحليل موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي من النثر والشعر

الفصل الثالث

تحليل موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي من النثر والشعر

في السطور السالفة لقد تناولت الحديث من خلال الفصول المندرجة تحت أبوابها ذات الصلة عن الموضوعات والمضامين المستجدة التي قد تم تناولها من قبل الكتاب المهتمين بأدب الأطفال العربي في الدول المختلفة. وهذه الموضوعات إلى جانب كونها تعليمية وتقليدية متبعة عليها من عصور، قد تزامنتها موضوعات معاصرة حديثة النشأة ومهمة للغاية في ضوء التطورات البشرية وسلوكياتها ومقتضياتها ولاسيما بعد قرار أصدرته الأمم المتحدة في عام 1989م، والذي نص على تعميم التعليم للجميع. فمن بين الموضوعات المعاصرة نالت الموضوعات البيئية والاجتماعية والدينية والوطنية والتاريخية حظوة كبيرة كما حظيت الموضوعات الاجتماعية الواقعية وكل ما يهمه الطفل شعبية متزايدة فيما بين الأدباء والكتاب لأدب الأطفال، من أمثال الطلاق والانفصال بين الزوجين والإعاقة والموت والحرب والإرهاب والتنمر والتدخين والتحرش الجنسي وما إلى ذلك كثير.

في السطور الآتية، سوف نقدم تفصيلا موجزا استعراضا بعض القصص والقصائد من النثر والشعر الذي أنتجه الكتاب وأدباء الأطفال. ولابد من الإشارة هنا أنه فيما يلي سيتم تناول الإنتاجات التي تناولت في متناول العامة بعد التسعينات من القرن العشرين ومنها:

موضوعات اجتماعية في أدب الأطفال العربي من النثر:

كانت الموضوعات الاجتماعية في أدب الأطفال تركز على أسرة الطفل وعلاقته الأسرية والعلاقة بين الأب والأم والأبناء والإخوة والجيران وعلاقة الطفل بالمدرسة وزملائه وأساتذته والمناسبات المختلفة ومظاهر الحياة المحيطة بالطفل. إلا أن القضايا الأكثر خطورة وأثيرة لم يأخذها الأدباء بعين الاعتبار من أمثال حقوق الطفل وعمالة الأطفال وأطفال الشوارع والمساواة بين الطفل والطفلة والتحرش الجنسي والحرب وغيرها. فمع ازدياد اهتمام الدول والمجتمعات الدولية بشئون الأطفال وما يعانون منه، توجه الأدباء العرب إلى تناول أمثالها من الموضوعات والقضايا ذات الاهتمام الاجتماعي والقومي. وبالتالي، أكثروا فيها الإنتاجات والمؤلفات القيمة مع التركيز الخاص على الأطفال ومعالجة معاناتهم والتحديات والمشكلات التي يواجهونها في حياتهم اليومية.

فهذا هو عميد أدب الأطفال العربي الأستاذ يعقوب الشاروني، الذي تناول قضية اجتماعية مصرية في قصته للأطفال بعنوان "تائه في القناة". تتحدث القصة للأطفال من الجيل الجديد عن ظاهرة الفساد والرشوة ومعاناة المصريين خاصة طبقة الفلاحين في زمن حفر القناة وكيف أرغم الأطفال مع الشباب على أعمال الحفر وكسر الصخور وحمل الأثقال من صخور ورمال عند حفر قناة السويس. أصبح الأستاذ الشاروني بقصته هذه أول من أدخل القضايا الاجتماعية في أدب الأطفال وأثار اهتمام الكتاب الآخرين نحوها. وهي من أروع قصة وأجملها التي تدور حول حقبة من الزمان وفترة معينة في تاريخ مصر. وتلك هي فترة "حفر قناة السويس" في عهد الخديو سعيد.⁶⁰⁸

والقصة تصور آلام المصريين ومعاناتهم واستغلالهم في إطار قصصي شيق بأسلوب جميل وتصف اضطهاد الفلاحين وعامة الشعب بحيث أنهم يجعلون مضطرين على بذل الجهود الشاقة من قبل الاستعمار البريطاني. فهو تقديم جريء بالنسبة للأطفال والناشئين الذين تنفسوا في العصر المعاصر، عصر العلوم والتكنولوجيا والمخترعات حديثة الظهور على عكس ما عاشه الآباء والأجيال السابقة. ومن اللافت أن القصة كما هي تثير فضولنا عن ظاهرة عامة ومتفشية عبر المجتمعات كذلك هي تدل على عدم اهتمام الإنسان المعاصر ببناء حياة الأطفال الذين هم قادة غد وبذور المستقبل.⁶⁰⁹

تكتب الدكتورة أميمة جادو: "الشاروني ليس مجرد كاتب للأطفال ولكنه باحث في الطفولة وقضاياها. وهو عالم نفس طفل محنك مدرب صقلته الخبرات الحياتية الواسعة. وهو كاتب ملتزم، شديد الاحترام لقلمه ولقارئه وجمهوره من الأطفال".⁶¹⁰

أما الشكل والبنية القصصية والقاموس اللغوي الذي استمد منه الشاروني في إنتاج قصته هذه، فهي بنية متينة بأسلوب ميسور ومرغوب فيه لدى الأطفال لاتشوبه صعوبة الكلمات ولا تحول دونه مشكلة التعبير، إلى جانب الإيقاع الفني والشعوري الذي تجده بشكل متوافر مادامت تُقدم القصة في سردها وحكايتها بجانب المتعة والتسلية والناحية الناعمة نحو المجتمع والاستكراه بما يجري فيه من طقوس بالية أو فساد. فالظواهر المخربة للإنسان وقيمه وكرامته الأدمية فردا

⁶⁰⁸ - الشاروني، هالة، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني، ص 55.

⁶⁰⁹ - نفس المصدر، ص 55.

⁶¹⁰ - الشاروني، يعقوب، قصص و روايات الأطفال: فن وثقافة، ص 5.

وجماعة، راجت وسادت على مستوى المدن والقرى والأكواخ والبلاد بصورة وأخرى. فتأتي قصة الأستاذ يوسف الشاروني ضربة عنيفة على الأفكار والسلوكيات والممارسات الخاطئة التي تنقص من المجد الطبيعي للإنسان وتضعه للذل والخسران والاستهتار كما وتجعله مهبط الاستغلال والظلم.

وهنا تأتي قصة اجتماعية أخرى كتبها الأستاذ يعقوب الشاروني بعنوان "أسرار بيت الطالبات". وهي إحدى قصصه الواقعية الجميلة الموجهة للأطفال والتي تعكس معاناة الفتاة المصرية في التعليم والحرية وتحقيق ذاتها وتهدف إلى كشف الفساد الاجتماعي والسلوك المسيئ من خلال تناول عناصر الفساد، والذي يؤثر سلباً على أعضاء آخرين في الأسرة والمجتمع والقرية.

والقصة بأسرها تمثل بيت من البيوت المصرية التي تسكنها الطالبات. فهي دائماً محفوفة بالخطر. وكذلك تؤكد على مؤامرة يصوغها الناس بعامة لنيل أهدافهم والحصول على ما يشتهون في الحياة. فكانت البطلة "رجاء" الطالبة في كلية التربية حافظت نفسها بأن تكون فحاً لإبن عمها، الذي كان يرغب في الزواج معها، بحسن تدبير وشجاعته وإقدامها على التخلص من قبضة ابن عمها الماكر مع مواصلة دراستها وانطلاق إلى تحقيق ذاتها. لقد حاول الشاروني من خلالها بث روح التمكين في الأطفال ليستطيعوا من مواجهة المشاكل المستجدة والحوادث التي تحاك من حين لآخر، ولا سيما في المجتمعات الشرقية.

وبما أن أمثال هذه الموضوعات لم تكن في متناول القراء الناشئين والأطفال العرب ولم يجدوا في قراءاتهم ما يشجعهم على التعامل مع القضايا والشئون الاجتماعية ويجعلهم قادرين على دفع معاناتهم وتحدياتهم التي تراودهم. وفيما يتعلق بالمبنى القصصي والسرد الروائي، فهو متمثل في بنية رواية متخيلة لها عناصرها وفكرتها الناصعة التي قلما تخطر ببالنا من بين المهمات الأدبية خاصة بالنسبة لأدب الأطفال.

ولا شك في أن إدخال الموضوعات المماثلة والتعامل معها يقتضي الجدية والنضوج في الفكر والسلوك وصدق المحاولة نحو إزاحة الستار عن وجه المفاصد السائدة في المجتمع. وقد برز

الأستاذ الشاروني عالي الكعب قادر الكلام في إتيانها. وتمتاز الرواية في اتخاذ عنوان مثير وأخاذ تدور بنيتها حول معرفة السر مع إجادة الحبكة والسرد المشوق الفائق.

وهذا هو الكاتب السعودي يعقوب إسحاق، الذي تأثر بمدى شيوع اعتقاد خاطئ بين الشعوب العامة منهم والخاصة وأنتج قصة للأطفال بعنوان "الوهم". نالت هذه القصة شعبية كبيرة بفضل أهميتها فكريا ومضمونا. وذلك بهدف تمكين الأطفال من التغلب على المزاعم والتوهيمات الشائعة بين المجتمعات. ومن المهم أن الأستاذ يعقوب إسحاق أصبح هو الآخر الذي اهتم بتناول الموضوعات الاجتماعية في أدب الاطفال شوقا ورغبة في الإصلاح الاجتماعي.

والقصة تتمثل بقوة في معالجة فكر شائع على مستوى المجتمعات بأن المستشفيات الحكومية هي منحة المستوى كما هي تنقص المعيار العلاجي كذلك لا تتوفر فيها المعدات عالية الجودة ولا توجد هناك أطباء ذوو الكفاءة والخبرة والتجارب على عكس ما تتحلى به المستشفيات الخاصة الحديثة. فالتسهيلات الحديثة وأنواع الرعاية الصحية والمعدات المستجدة حديثة النشأة تتوفر بكثير. بجانب ذلك، الذهاب إلى المستشفيات الخاصة هو سمة من سمات الطبقات العليا والأرستقراطية.⁶¹¹

ومن المهم أنه بسبب موقف مثله، تترك الأمور تنحط وتندهور في القطاعات الحكومية فضلا عن إصلاحها والتحسين فيها. في جانب آخر، تمتص القطاعات الخاصة دماء الشعب الفقراء منهم والأثرياء بإسم الخدمات والتسهيلات الخاصة والمرافق الأخرى الخاصة بخدمات العلاج والطب. وهو موقف ذات خطورة اجتماعية تعاني منها المجتمعات بعامة. وقد حاول الأستاذ يعقوب من خلال هذه القصة الرد على مثل هذه النمطية والأوهام السائدة المضادة للمجتمع. وقد شرحها للأطفال عن طريق تناولها وتوضيح أنها أفكار خاطئة لا صلة لها بالواقع.⁶¹²

هذا، وقد استخدم الكاتب أسلوبا حواريا سائغا سهلا يراعي فيه مراحل الطفولة ويشحذ أذهان الأطفال ويشوقهم تجاه الشئون الاجتماعية لكي يفهموا النواحي الإيجابية والسلبية للموضوع. وبجانب ذلك، سعى إلى إيصالهم إلى الحلول والنتائج والتفاهم المقنع عما يحدث فيما حولهم من

⁶¹¹ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 113

⁶¹² - نفس المصدر، ص 114

خير الأمور وسوءها. إضافة إلى ذلك، إنه جعل القراء الناشئين يعايشون تلك الوقائع ويجربون اليأس منها والرطب. وذلك بتعبير حلو شائق وكلمات رائعة عذبة تزيد من رغبة الأطفال وتشير إعجابهم نحو الهدف المطلوب.

موضوع الموت

وها هي الكاتبة الفلسطينية "ميسون أسدي" الشهيرة التي تعرف بإنتاجاتها القيمة في أدب الأطفال وفي معالجة القضايا الاجتماعية وتمثيلها ببراعة لائقة ومؤثرة للأطفال والجيل الناعم. ومن بين قصصها للصغار تحتل القصة "أبي لم يمّت" مكانة ممتازة. وهي قصة ذات طابع اجتماعي واقعي تحدثت فيها الكاتبة واقع الموت المر والذي من الحقائق التي لا تنكر بهدف مساعدة الأطفال في قبول الموت وفهمه وتخفيف آلامهم وتوتراتهم النفسية والعاطفية.

بدون ريبة، الموت حق وجزء غير منفك للحياة. وبما أن الموت من المواقف الصعبة التي قد لا يتناولها الكتاب من بين موضوعاتهم جراء خطورتها وفضاعتها وأزماتها وقلقاتها التي تتمخض عنها. على عكس ذلك، ما زال الاهتمام المتزايد بالموضوعات من أمثال الخير والشر والحياة والأمل والمستقبل والنهايات السعيدة والخيال من أجل رفع مستوى همم الأطفال وتشجيعهم ولتعزيز القيم المعنوية ومساهمته على بناء شخصيته.

وإن القصة المبحوثة عنها تصور كيفية الفتاة صغيرة السن تسمى "أحلام" كما هي تعكس آلامها الشعورية. لأنها تألمت كثيرا عندما غرق أبوه في بركة السباحة وأصبحت حزينة بحيث لم تكن تتوقع مثله في حين من الأحيان. في أول أمرها، أخبرها ولاة أمورها وأقاربها بأن والدها سافر إلى مكان خارج البلد وأنه سيعود يوما ما. فكانت تنتظر قدومه وتتوقع عودته. ولكنه لم يرجع ولم يأتيها خبر عنها. وما زالت تقضي أيامها ولياليها إذ أخبرها عمها يوما أن أباه قد مات وأنه لن يعود أبدا، في حين هي كانت تعتقد بأن الأشرار فقط يموتون.

وهذا الخبر الفاجع وقع عليها كصاعقة وأوقعها في موجة الهم والغم والترح وتحولتها إلى شيء مكسور لم تستطع استعادة أجزاءها. وبينما كانت تتوجع إذ يذكرها عمها أنها إذا أرادت أن ترى أباه في المنام عندما يذكره ويخيله. وبالفعل، إنها جربت هذه التجارب وقالت، "أبي اشتقت

إليك أنا وأمي وعمي توفيق يسلم عليك⁶¹³. وفيما بعد، جاءت الفتاة مسرعة إلى أمها وأخبرتها أن أباها لم يمت وعمها جعلها تتحدث أباها. وتنتهي القصة إلى أن البركة قد تم ملأها لئلا يغرق فيها أحد بعد وبُني عليها منتزه جميل للأطفال.

وبهذا الأسلوب الجميل والمنهج الرائع أبدعت الكاتبة هذه القصة التي تتوافر فيه العواطف الصادقة الجياشة للطفلة الصغيرة بقدر بالغ من الشعور الحزين والانفعال المزيح بين الانطباعات ومعتقدات الموضوع. فكانت محاولة جريئة صادقة في التعامل مع قضية الموت في أدب الأطفال لكي يتعرف الصغار عليه بدلا من التهرب من مثل هذا الموضوع الواقعي على جانب الأدباء.

موضوع الطلاق

هناك كاتبة لبنانية أخرى تسمى "لوركا سببتي" نشرت لها قصة "لي بدل البيت بيتان" مع تصميم ورسم على يد "منى يقطان". وهي قصة تتحدث عن ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الشائعة في معظم مجتمعات العالم. وتلك هي ظاهرة الطلاق والانفصال بين الزوجين. والانفصال من القضايا الأكثر تعقيدا وشناعة وكراهة يؤدي إلى نتائج فاسدة وعواقب وخيمة كما هو أبغض المباحات عند الشرع الإسلامي كذلك.

ومن أهم ما يسبب فيه الانفصال أنه بعد الفصل بين الزوجين، تنشأ أمور وقضايا متشابكة يصعب التعامل معها كما يقع الفصل بين الزوجين لأجل المفاهيم المغلوطة وربما من جراء وجوه أخرى. هو يؤثر الأطفال مباشرة كما يفكك الأسر وينشأ خليجا بين العلاقات الفردية والاجتماعية قد يستغرق أعواما في أن تسد. وليس هذا الفارق بسيطا.

والقصة المسماة بـ "لي بدل البيت بيتان"⁶¹⁴ تتحدث هذه الظاهرة وتصف واقع الأطفال الذين يعانون من أمثال هذه التحديات والتجارب في حياتهم وتضيق عليهم الأرض بما رحبت. فالكاتبة لوركا سببتي من خلالها تطرح فكرة الطلاق من ناحية وجهة نظر الطفل الذي يشعر بقلق بسبب الشجار بين أبويه وصرخاتهما العالية في البيت كل يوم فكان الطفل يراقبهما بحزن وأسف. لكن الأم تطمئنه وتخبره بأنها اتقفت مع والده على الطلاق وتشرح له معنى كلمة الطلاق. يوجه الطفل عددا من الأسئلة مثل: أين يسكن بعد الطلاق؟ ومع من؟ وكيف؟ ولماذا؟ وماذا يقول

⁶¹³ - أسدي، ميسون، أبي لم يمت، ص 23.

⁶¹⁴ - سببتي، لوركا، لي بدل البيت بيتان، دار الساقى، بيروت، 2017م.

لأصدقائه في الصف؟، يجيب الوالدان عليها ويشرحان له نوعية الحياة بعد الطلاق ويخبران بأنه سيعيش معهما في بيتين منفصلين وأن حبهما له لن ينتهي أبداً. وأخيراً يشعر الطفل بالفرح حيث يقول: أنا الآن فرحان، صار عندي بدل البيت بيتان⁶¹⁵.

إن القصة في مجملها تتطرق إلى موضوع حساس جداً وتهدف إلى تقديم فكرة الطلاق للأطفال وتخفيف آلامهم وقلقاتهم بالإضافة إلى إعطائهم القدرة على التأقلم مع مشاكلهم النفسية الناتجة عن الانفصال بين الوالدين. ورغم أن القصة موجهة للأطفال العرب الذين هم في حاجة إلى المزيد من مثل هذه القصة حول الموضوع، إلا أنها لا تعكس واقع المجتمع العربي ومعاونة الأطفال الحقيقية والعلاقات المتوترة بين الزوجين بعد الطلاق حيث لانجد وفاقاً ووثاماً بين الزوجين في المجتمعات الشرقية بعد الانفصال إلا نادراً. فاعتمدت الكاتبة في طريقة كتابة القصة وأسلوبها على الكتاب الغربيين كما تقول فاطمة أنور اللواتي: "تتماهى طريقة تناول القصة لمسألة الطلاق مع الأسلوب المتبع في أدب الأطفال الغربي"⁶¹⁶. ومع ذلك، يرى الباحث أن هذه محاولة جريئة مخصصة تستحق الثناء والتقدير وينبغي للكتاب العرب الآخرين أن يكتبوا باستقلالية آخذين في الاعتبار مقتضيات المجتمع العربي والجانب التربوي للأطفال.

موضوع الإعاقة

إن الإعاقة هي من الموضوعات الاجتماعية الهامة التي ظهرت في أدب الأطفال العربي في السنوات الأخيرة. تعرض الطفل المعاق لإهمال شديد من قبل كتاب أدب الأطفال العربي ولم يجد تمثيلاً له في الأعمال الأدبية الموجهة للأطفال. يقول حمدي هاشم حسانين: "تظل ثقافتنا العربية مخاطبة الأكثرية والسواد الأعظم وإغفال الأقلية، وهذا خطأ شائع في مجتمعاتنا"⁶¹⁷. وبعد ما شهدته العالم من تطورات وحملات تعزيزية لحقوق المعوقين وإدخالهم في التيار الرئيسي للمجتمع خاصة بعد إعلان الأمم المتحدة سنة 1981م كعام دولي للمعاقين، زاد الاهتمام بقضايا الإعاقة وحقوقهم الأساسية لدمجهم في التيار الرئيسي للمجتمع على جميع المستويات.

⁶¹⁵ - سبيتي، لوركا، لي بدل البيت بيتان، بدون رقم الصفحة.

⁶¹⁶ - اللواتي، فاطمة أنور، الانفصال بين الزوجين في أدب الأطفال، جريدة السفير العربي، 19 فبراير، 2018م.

⁶¹⁷ - حسانين، حمدي هاشم، أجنحة للأطفال، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 603، أغسطس-سبتمبر، عام 2015م.

وظهر هذ الاتجاه في أدب الأطفال العربي أيضا في السنوات الأخيرة وبدأ الكتاب يتناولون موضوع الإعاقة في كتاباتهم الموجهة للأطفال. عالج الأستاذ يعقوب الشاروني في قصة "حكاية طارق وعلاء" الصادرة عام 2002م موضوع الإعاقة. تتحدث القصة عن صداقة بين طارق وعلاء وقبول الاختلافات الفردية وذوي الاحتياجات الخاصة. كان طارق يعاني تعلمًا ومشكلة في النطق ولكن وهبه الله قدرة فائقة في الرسم والتصوير. وعندما يلتحق طارق بالمدرسة العادية فيشعر بالعزلة ويشعر علاء أيضا بالخوف منه في البداية ولكن تشجع أم علاء ابنها على إقامة علاقة الصداقة مع الزميل الجديد فيصبح طارق وعلاء صديقين حميمين ويتعاونان مع بعضهما البعض كما تقدم المعلمة مساعدتها إلى طارق من خلال أمر التلاميذ الآخرين بمساعدته في إكمال الدروس الضائعة. وتنتهي القصة حيث يفوز رسم طارق بالجائزة الأولى في منافسة القراءة للجميع.⁶¹⁸

إن القصة في مجملها محاولة ناجحة في تناول موضوع الإعاقة بهدف قبول الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وشمولهم في المجتمع الرئيسي حيث تحاول شخصيات القصة لتغيير نظرة المجتمع تجاه الأطفال المعوقين. فأم علاء هي امرأة معاصرة واعية بقضايا المعاقين وتشجع ابنها على إقامة علاقة الصداقة مع طارق بدلا من منعه أن يجلس معه كما تفعل بعض الأمهات. وللكاتب الشاروني براعة في تناول موضوع الإعاقة حيث لم يتحدث قط عن جانب سلبي لشخصية طارق بشكل صريح بل حاول تصوير شخصيته كولد موهوب جدا في الرسم بطريقة إيجابية. تكتب الأستاذة الدكتورة ماريا ألبانو أن القصة لها جانب تربوي كبير حيث تركز على اكتشاف المهارات والإيجابيات بدلا من الإعاقات في الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة.⁶¹⁹ وتمتاز القصة بأسلوبها البديع ولغتها الجميلة وتتناسب مع الأطفال في العاشرة وما فوقها.

موضوع التحرش الجنسي

إن التطرق إلى موضوع التحرش الجنسي بالأطفال في أدب الأطفال العربي بهدف توعية الصغار والناشئين هو اتجاه جديد بدأ في السنوات الحالية على يد بعض الكتاب المهنيين

⁶¹⁸ - الشاروني، يعقوب، حكاية طارق وعلاء، دار المعارف، مصر، 2002م.
⁶¹⁹ - ألبانو، الدكتورة ماريّا، سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، ص 13.

والمختصين في مجال أدب الأطفال. ورغم أن التحرش الجنسي بالأطفال ظاهرة توجد في كافة مجتمعات العالم سواء أكانت عربية أو غربية إلا أن كثيرا من كتاب أدب الأطفال يتجاهلون بل يرفضون تناول هذه الظاهرة في كتاباتهم الموجهة للأطفال بسبب طبيعة المجتمعات والعائلات العربية المحافظة التي لاتسمح غالبا بالتطرق إلى مثل هذا الموضوع والظاهرة في أدب الأطفال. يكتب الدكتور محمد مرسي في دراسة خاصة حول التحرش الجنسي بالأطفال أن كلمة التحرش الجنسي ثقيلة على مسامح المجتمعات العربية ذات الطبيعة المحافظة. وهذا يؤدي إلى التعامل مع الظاهرة بواسطة التهوين أو التهويل⁶²⁰.

وبما أن قضية الاستغلال الجنسي للأطفال تعتبر من القضايا الاجتماعية الخطيرة في عصرنا هذا وتجري المحاولات والحملات على المستوى العالمي والعربي لحماية الأطفال الأبرياء من كل المخاطر المحدقة بهم والحفاظ على حقوقهم كما أصبحت المجتمعات أكثر نضجا في مخاطبة قضايا الأطفال، فبدأت محاولات لتناول هذا الموضوع الشائك والصعب في أدب الأطفال الذي يعتبر وسيلة هامة لتربية الأطفال وتثقيفهم بهدف بث الوعي بين الأطفال بالقضية وإعطاءهم الجرأة على التحدث عنها بلا خوف وخجل لكي يمكن تقليص الظاهرة والقضاء عليها.

تناولت الكاتبة اللبنانية سمر محفوظ براج موضوع التحرش الجنسي في قصتها الشهيرة "الخط الأحمر" الصادرة عام 2014م مع رسم وتصميم على يد الرسامة الموهوبة منى يقظان. حازت القصة على جائزة "كتابي" لكتب الأطفال في عام 2015م. تتحدث القصة عن توعية الأطفال بالتحرش الجنسي من خلال الحوار وبعض الأسئلة والإجابات بين أم وطفلها مازن. يدخل مازن مسرعا إلى البيت بعد أن رأى أن جارا يُدعى "عم باسم" يدهن مكان سيارته باللون الأحمر الذي يذكره بالامتحانات ويسأل عن سببه، فتجيب أمه أن المكان الذي توقف فيه سيارة خط أحمر ولايجوز لأحد أن يوقف سيارته مكان سيارة الآخر في موقف المبنى. وتشرح له بالأمثلة العديدة معنى الخط الأحمر مثل الإشارة الحمراء للسيارات والوطن والعائلة. وأخيرا تقول إن جسمه أيضا خط أحمر لأنه يشتمل على أجزاء خاصة به ولايجوز لأحد أن يقترب منها ويلمسها بصورة مزعجة سواء أكان صديقا أو جارا أو شخصا قريبا وتوضح الفرق بين لمس الطبيب والأم والجدة وبين

⁶²⁰ - مرسي، الدكتور محمد، دراسة التحرش الجنسي بالأطفال، مجلة المنال، مارس 2012م.

لمس على سبيل الإزعاج. وتقول لمازن أن يبتعد ويهرب ويخبر بلا خوف وخجل لو حاول أحد أن يلمسه ويزعجه.⁶²¹

إن الكاتبة براج قد تناولت موضوعاً صعباً وذا أهمية للغاية وقد نجحت إلى حد كبير في إيجاد طريقة للتحدث عن الموضوع مع الأطفال. إن أسلوب القصة البسيط والوقائي ولغتها الجميلة السهلة والأمثلة المعتددة من الأشياء المحسوسة من بيئة الطفل المحيطة به للتطرق إلى الموضوع تساعد كلها الأطفال على توعيتهم حول الموضوع كما تقوم بإمدادهم بالشجاعة والجرأة لمواجهة هذه المشكلة بكل قوة وبسالة والتحدث عنها بلاخوف وخجل إذا حدث هذا الموقف معهم. إن رسومات القصة مع ألوانها الجذابة والبديعة تزيد فرح الأطفال ورغبتهم في القراءة كما تشرح متن القصة وموقفها بطريقة بديعة مما يخبرنا عن براعة الرسامة منى يقظان في فن الرسم وتطبيقه على متن القصة.

علاوة على ذلك، هناك موضوعات اجتماعية أخرى ذات الأهمية البالغة من حيث القيم الاجتماعية والبشرية والإنسانية، منها التسامح وقبول الآخرين والعنف والاحتلال والمرض والمساواة بين الجنسين والتتمر بالإضافة إلى الغيرة بين الإخوة والولادة وغيرها لايسع المقام لتفاصيلها. هذه وأمثالها من الموضوعات الاجتماعية كما هي بذاتها مهمة، كذلك هي تمتاز بمكانتها في المجتمع بكل معنى الكلمة.

موضوعات سياسية في أدب الأطفال العربي من النثر:

على ما سبق من الموضوعات الاجتماعية في أدب الأطفال، لقد تمتع أدب الأطفال النثري بالموضوعات السياسية كذلك. ولا شك في أنه كانت مبادرة جديدة مثنية عليها بادر إليها كتاب هذا النوع من الأدب فيما بين إنتاجاتهم وكتاباتهم القيمة. والحرب والقتال ظاهرة فتاكة هدامة عندما تظهر بصورتها البشعة في بلد أو منطقة تدوسها بأقدامها وتقلبها إلى خراب و دمار لم تشهده من قبل. على هذه الشاكلة هي تجربة مرة في حياة الشعوب والأمم قلما تتمنى حدوثها.

⁶²¹ - براج، سمر محفوظ، الخط الأحمر، دار الساقى، بيروت، 2014م.

فهذه هي الكاتبة فاطمة شرف الدين، الكاتبة اللبنانية الشهيرة، تناولت الحرب في قصتها المعنونة بـ "في مدينتي حرب"⁶²² من وجهة نظر الطفل لإعطاءه القدرة على التعبير عما يجول في خاطره من عواطف مختلفة تجاه الحرب وخلق الأمل والتفاؤل فيه. هي قصة قصيرة ذات صور ملونة وطابع متمثلة في الخوف والذعر ومشاهد الحرب ومعطياته ونور الأمل والتفاؤل. وبما أن الدول العربية جميعها تعاني من صراعات التنافس وتشابك المصالح فيما بينهم كما لا تدخر الدول الأجنبية وسعها في إثارة الفتن وخلق المواقف المغلوطة بين الدول الأشقاء. ومع ازدياد اهتمام الإعلام ونشوء الوعي البشري بخطورة القضية مع تطور في مجال العلوم والتكنولوجيا وصدور قرارات دولية حول حقوق الإنسان، اهتم الكتاب العرب بتلقي الأطفال بخطورة هذه الظواهر وفضاعتها.

من خلال هذه القصة، تحاول الكاتبة أن تجعل الأطفال يعيشون واقع الحرب وتجاربها ومشاهدها وما يؤدي إليه من خراب وانحطاط شعبي في الثقافة والمعارف والتقدم كما تؤثر الميزانية المالية والنمو المحلي. فهي تعكس مناظر الفوضى والصراخ والعيول في أربعة جوانب البلد الذي يسوده في أعقابه صمت مرير قاسي وتخلو الشوارع وتقل الدكاكين والمدارس وترفع أصوات القذائف والقنابل. يرسم الطفل الصغير تصوير الحرب في مدينته بهذه الكلمات: "في مدينتي حرب فيها أسمع صوت القذائف صباحا حين أنهض ومساء في وقت نومي. حين يشتد القصف تقل مدرستي، وتخلو الشوارع من السيارات، ويقفل البائعون دكاكينهم. الكل يهرب ويختبئ".⁶²³

ورغم أن الحرب من موضوعات شائكة وصعبة يعتبرها بعض النقاد خلافا للقواعد الأساسية لكتابة الأطفال وهي توفيرهم الحماية من الحقائق القاسية كما يقول بيتر هنت: "إن الكتب حول موضوع الحرب تذهب ضد مبدأ أساسي لأدب الأطفال وهو حماية الأطفال من الحقائق القاسية".⁶²⁴ ولكن أدب الأطفال في السنوات الأخيرة ضمن الاتجاه الواقعي أصبح قادرا على تناول كل ما يخطر على البال من موضوعات صعبة بهدف تطوير قدرات المواجهة ومهارات التكيف في الأطفال لكي يمكن تقديم حقائق الحياة للأطفال بأسلوب يتناسب مع قدراتهم

⁶²² - شرف الدين، فاطمة، في مدينتي حرب، دار أصالة، بيروت، 2008م.

⁶²³ - نفس المصدر، بدون رقم الصفحة.

⁶²⁴ - Fox, Carol and Hunt, Peter, War, International companion Encyclopedia of children's literature, P 500.

وفهمهم بدلا من التهرب من الواقع الذي يعيشه الأطفال. ونجحت الكاتبة فاطمة شرف الدين بطريقتها المبدعة في الكتابة وأسلوبها السهل في تقديم مفهوم الحرب للأطفال العرب الذين يعيشونها في بعض البلدان العربية بهدف إعطائهم القدرة على التعبير عن عواطفهم تجاه الحرب في ضوء تجاربهم المباشرة وجعلهم متفائلين بالمستقبل.

وهناك كاتب آخر من أصل فلسطيني يسمى "سهيل كيوان" تطرق إلى إدخال موضوعات مستجدة في أدب الأطفال ليلفت انتباههم ويثير همهم عن التطورات والنظم الجديدة التي يتهافت عليه الناس تهافت النحلة على العسل. وكتب قصة "في بلدنا انتخابات". ومن المهم أنه بمجرد سماع كلمة "انتخابات" يتبادر إلى أذهاننا عملية ديموقراطية لانتخاب قائد أو زعيم عن طريق حر وبدون ممارسة الضغط على أحد. يشارك فيها المواطنون والشعوب بعامة عبر البلاد والمحافظات في إلقاء بأصواتهم وإبداء آرائهم.

وبدون شك أنه نظام مهم أحاط بالعالم كله بفضل طبيعته الشاملة لجميع فئة الشعوب والمواطنين بينما الملكية كانت متوارثة ترثها أسرة واحدة يصعد عرشها ملك ويتبع آخر وهكذا يستمر. نتحدث قصة "في بلدنا انتخابات" لسهيل كيوان عن انتخابات محلية لانتخاب سلطة محلية. يتحدث الناس عنها في القرية ويرفع لافتات ويلصق ملصقات ويبيدي آراء تائيدا وخلافا. وبالتالي، تقام المنصات يخاطب منها المرشحان أبو شاهر وأبو نادر الجماهير ويقذفان دعاويهما الرنانة والجوفاء بين أيديهم، بينما يفصح البعض رأيه عن مرشحه ويخفيه البعض الآخر.

ثم يأتي يوم الانتخابات ويتم الإعدادات من قبل اللجنة المعنية بها، كذلك يتم إعلان عطلة رسمية فيها وتوضع صناديق الاقتراع في المراكز الانتخابية يشرف عليها الموظفون الرسميون. ويتوجه الناس إلى المراكز الانتخابية ويدلون أصواتهم في صالح مرشحهم. وأخيرا يفوز أبو نادر بالانتخابات بفارق أربعين صوتا بشكل مفاجي ويتم تبادل التبريكات والتهانى من كل جانب حتى يقبل الحزب الخاسر نتيجة الانتخابات برحابة الصدر ويقدم التبريكات إلى الحزب الفائز. وفي كل هذه المظاهر السياسية والرسمية برز الكاتب سهيل كيوان ذا كفاءة بالغة ومملكة موهوبة في تناول موضوع بالغ الأهمية وتصوير مدى عمليات الانتخابات للأطفال والقراء الناشئين في عالم العرب لكي يمكن تنشئتهم السياسية وغرس القيم الديموقراطية فيهم منذ نعومة أظفارهم على خطوات صحيحة.

ورغم أن القصة موجهة للناشئين العرب بهدف توعيتهم السياسية والديموقراطية ولكنها أشبه بالانتخابات التي تعقد في المدن الفاضلة بعيدا من الواقع المرير والاشتباكات الدموية التي تحدث خلال عملية الانتخابات في الدول العربية. فكان من المناسب للكاتب أن يتناول هذا الجانب في قصته لكي يتعرف الطفل على الشكل الواقعي للانتخابات في الدول العربية ويتفكر في أوجه الإصلاحات والتحسينات. بالإضافة إلى ذلك، نحن لا نجد في قائمة المرشحين أية امرأة، وذلك يقدم صورة واقعية لحالة المرأة السياسية في الدول العربية. وعلى كل حال، تناول الأديب كيوان موضوعا هاما من ناحية تربوية للأطفال وينبغي للكاتب العرب الآخرين أن يعالجوا هذا الموضوع بكثرة وجدية نظرا لأهمية الموضوع والأوضاع السياسية في الدول العربية.

يكتب الناقد الشاب في مجال أدب الأطفال سهيل عيساوي حول أهمية التطرق إلى موضوع الانتخابات في أدب الأطفال العرب أن الأديب سهيل كيوان تناول موضوعا هاما بالنسبة إلى العرب، ومن الواجب أن يطلع الأطفال العرب على هذا الموضوع منذ نعومة أظفارهم لأنهم قادة المستقبل وعماده، والتربية الصحيحة منذ الصغر ستؤدي إلى زيادة قدراتهم لأخذ القرار في صالح الوطن والتصدي للتحديات والمشاكل في المستقبل.⁶²⁵ وقد اتضح مما درسناه من موضوعات اجتماعية وسياسية حديثة الظهور أنه قد اتخذ أدب الأطفال في السنوات الأخيرة وثبة فائقة وقفزة نوعية من حيث المبدأ والمادة والشكل والأمور الإنسانية المشتركة.

هذه بعض الموضوعات الاجتماعية والسياسية والحساسة التي قمنا بدراسة وتحليل وشرح الجوانب وأبعاد الموضوعات التي قد حاول الكاتب معالجتها وإيصالها إلى جمهور القراء الأطفال كما قد سعوا إلى توعية شعورهم عن هذه الظواهر والقيم الدنيوية التي يواجهها الأطفال في كثير من الأحيان و يبحثون الإجابات عن تساؤلاتهم والوقوف بهم.

موضوعات بيئية في أدب الأطفال العربي من النثر

إن القضية البيئية هي من أبرز المشاكل التي يواجهها العالم في الأيام الراهنة. وأدى التقدم الصناعي وقطع الأشجار وسلوك الناس المتهور تجاه استخدام الموارد الطبيعية في السنوات الماضية إلى خلق الكثير من المشاكل البيئية مثل تلوث المياه والهواء وارتفاع درجة حرارة كوكب

⁶²⁵ - عيساوي، سهيل، قراءة في قصة "في بلدنا انتخابات" للأديب سهيل كيوان، مجلة صوت العروبة الإلكترونية، 6 أغسطس، 2018م.

الأرض والاحتباس الحراري واستنفاد طبقة الأوزون وغيرها. وهذه المشاكل شكلت تهديدات خطيرة للحياة البشرية كما أثرت سلبا على مخلوقات الأرض الأخرى وأدت إلى انقراض العديد من أنواع الحيوانات بسبب الإهمال المباشر على جانب الإنسان. إن الأطفال هم قادة المستقبل ورجال الغد وأكبر طاقة كامنة للتغيير في المجتمع في المستقبل فبدأ الاهتمام بإثارة إحساسهم بالجمال والطبيعة ونشر الوعي البيئي بينهم منذ نعومة أظفارهم من خلال أدب الأطفال على المستوى العالمي. وفي السنوات الأخيرة، بهدف بث الوعي البيئي بين الأطفال وتشجيعهم على احترام البيئة والمحافظة عليها بدأ الكتاب العرب أيضا يتناولون القضايا البيئية في أدب الأطفال العربي الذي كان خاليا من مثل هذه الموضوعات كما يقول الدكتور إسماعيل عبد الفتاح: "الكثير من مضامين الكتب لا يلتفت إلى المشكلات السلوكية الشائعة في مجتمعاتنا مثل التلوث البيئي والخروج عن التقاليد".⁶²⁶

تناول الأستاذ يعقوب الشاروني موضوع البيئة في قصة معنونة بـ "مغامرة زهرة مع الشجرة"⁶²⁷ صادرة من دائرة المعارف عام 2003م مع رسوم وصور على يد عبد الرحمن. إن الأشجار والنباتات والغابات لها أهمية كبيرة في حماية البيئة والمحافظة عليها. فالقصة "مغامرة زهرة مع الشجرة" تتحدث عن مجموعة من الأطفال الذين يقومون بالحفاظ على شجرة الكافور في ميدان مدرستهم من خلال احتجاجهم بقيادة الطالبة الذكية والجريئة زهرة ضد قطع الأشجار من قبل رجال المقاول. إن البطلة زهرة وزملائها من الصبيان والبنات يحتضون الشجرة ويجعلون من أنفسهم سورا قويا ودرعا بشريا يمنع رجال المقاول من قطع الشجرة. ويصيح علواني أصغر الصبيان في حدة: "هذه الشجرة لن يقطعها أحد"⁶²⁸. ولما اشتد احتجاج الأطفال ضد قطع الشجرة دخل رجال المقاول المدرسة لتقديم شكوى ضد الأطفال. وفي لحظات كانت شائعات المنشار الذي قتل الأطفال قد ملأت البلد وهرول الأمهات للأطفال إلى المدرسة. وفي حين حضر وكيل المقاول حسنين ومهندس الري مراد ودارت مناقشات طويلة بينهم. وأخيرا يأمر المهندس مراد رجال المقاول ووكيله حسنين بأن يتركوا الشجرة لأن العقد بين المقاول وقسم الري لا يسمح بقطع الأشجار إلا فيها سوس. وفي نهاية القصة، يزور مفتش عام الري المدرسة ويشكر الأولاد ويعلن أن قسم الري

⁶²⁶ - عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 40.

⁶²⁷ - الشاروني، يعقوب، مغامرة زهرة مع الشجرة، دار المعارف، 2003م.

⁶²⁸ - الشاروني، يعقوب، مغامرة زهرة مع الشجرة، ص 10.

سيقوم بزرع ثمان مائة شتلة أشجار من أشجار الظل في طرق القرية وغيرها لكي يتم التعويض عن الشجرات المقطوعة. وهنا ارتفعت صيحات الأطفال وسرت بينهم موجة الفرح والسرور.

إن القصة في مجملها تقدم رسالة هامة للأطفال حول القضية البيئية وتشجعهم على الاهتمام بها من خلال تقديم كل ما في وسعهم للمحافظة على البيئة. ونجح الكاتب البارع في إثارة رغبة الأطفال في قراءة القصة من خلال استخدام اللغة السهلة والأسلوب الحوارية حيث تجري أحداث القصة على لسان شجرة الكافور العجوز التي تحكي حكاية جرحها العميق في جذعها على شجرة الظل الشابة. ومن المعلوم أن الأطفال يميلون إلى القصص التي تجري على لسان الحيوانات والنباتات كما تتحد رسوم القصة مع متونها وتستهوئ قلوب الأطفال. ورغم أن القصة تهدف إلى بث الوعي البيئي بين الأطفال ولكن الكاتب لم يذكر معلومات علمية عن الأشجار على لسان الأطفال مثل إنتاج الأوكسجين وإزالة ثاني أكسيد الكربون والملوثات من الهواء سوى ذكر فائدة الظل كما يقول الأستاذ: "إنهم يعبون تحت ظلها الحجلة والسيجة ونط الحبل فلماذا نبعدهم"⁶²⁹. وكان من الأفضل أن يقدم الكاتب بعض المعلومات عن فوائد الأشجار في حماية البيئة بطريقة علمية لكي يتعرف الأطفال على بعض المعلومات العلمية.

وبالإضافة إلى الأستاذ يعقوب الشاروني، تناول الكاتب السعودي المحنك يعقوب إسحاق أيضا قضية البيئة في قصصه لبث الوعي البيئي بين الصغار والناشئين. ففي قصة "أمننا الأرض مريضة"⁶³⁰، تناول مشكلة الاحتباس الحراري وارتفاع درجة الغلاف الجوي حول الأرض. يهدف الكاتب من مثل هذه القصة إلى مشاركة الطفل في فهم المشاكل البيئية وأسبابها لكي يتمكن من أداء مسؤوليته تجاه مكافحة التهديدات البيئية حسب قدرته واستطاعته.

وفي قصة "أمننا الأرض مريضة"، يقدم الكاتب الأرض كمريضة تذهب إلى المستشفى للعلاج وتمر بالفحص الطبي ويقيس الطبيب بمقياس الحرارة درجة حرارتها التي تصل إلى 52 درجة مئوية مما أدت إلى إثارة قلقات الطبيب والممرضات فيتساءلن عن أسباب درجة الحرارة إلى هذا الحد. يجيب الطبيب على أسئلتهن إجابة مفصلة بطريقة علمية تساعد الطفل الصغير على

⁶²⁹ - الشاروني، يعقوب، مغامرة زهرة مع الشجرة، ص 11.

⁶³⁰ - إسحاق، يعقوب، أمننا الأرض مريضة، دار أبي حسن، مكان النشر غير مذكور، 1428هـ.

فهم أسباب ارتفاع درجة حرارة الأرض وتهديداتها وأخطارها للكائنات الحية على الأرض. يبين الطبيب وظيفة الهواء ويشرح درجة الغليان ودرجة التجمد كما يتحدث عن ذوبان الجليد في القطبين الشمالي والجنوبي مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى الماء في المحيطات والبحار وغرق الجزر المأهولة بالناس كما سيؤدي ارتفاع درجة حرارة الأرض إلى الحريق في الغابات وانقراض بعض الحيوانات والنباتات والطيور وانتشار بعض الأمراض في الإنسان والحيوانات.⁶³¹

وفي الصفحات التالية للقصة يقدم الكاتب بعض الحلول لتخفيف درجة حرارة الأرض فيقول الطبيب إن المسؤولية عن خفض درجة حرارة الأرض ترجع إلى الجميع. ويمكنهم أن يقوموا بتحويل المصانع إلى مصانع ودية للبيئة لكي يمكن تقليل انبعاث ثاني أكسيد الكربون، وينبغي أن يتوقفوا عن قطع الأشجار بل يشجعوا الناس على زرع الأشجار بكثرة. وهنا يقول طفل لإحدى الممرضات: "إذا كان الأمر كذلك فسوف أزرع شجرة في مدرستي".⁶³² وتختتم القصة بذكر بعض الوسائل التي تساهم في تقليل أزمة ومشكلة ارتفاع درجة حرارة الأرض.

إن القصة تقدم للأطفال بعض الحقائق العلمية حول الكوكب الأرضي الذي يعيش عليه الصغار والناشئين. وذلك في محاولة لتبصير الأطفال بما يعاني كوكبنا الأرضي من مشاكل ومعاناة، ولزيادة وعيهم بالمشاكل البيئية التي يقف ورائها الإنسان مباشرة كما تقدم القصة بعض الحلول لمشاكل البيئة والتي يمكن أن يتم تنفيذها من قبل الأطفال في حياتهم للتغلب على الكارثة البيئية.

ويكمن جمال القصة في أسلوب التقديم فهو يعتمد كاملاً على الحوار بين شخصيات القصة ويتناسب لفئة الأطفال في العاشرة وما فوقها والذين قد اتسع قاموسهم اللغوي حيث نجد في عبارات القصة بعض الطول بسبب طبيعة الموضوع الذي يحتاج إلى بعض الشرح. وفي مجملها تحفل القصة بالفوائد الجمة من ناحية التوعية والتوجيه للصغار والناشئين ويمكن أن تقوم بإثراء الجانب النفسي والاجتماعي والإدراكي للأطفال وتشجيعهم على احترام البيئة وحبها وتقديم كل ما

⁶³¹ - إسحاق، يعقوب، أمنا الأرض مريضة، ص ص 5-12.

⁶³² - نفس المصدر، ص 16.

في وسعهم للمحافظة على البيئة. وحسب مقالته نورة الغامدي، سيدفع الجمع بين الواقعية وبين الخيال العلمي المشوق في القصة الأطفال للبحث واكتشاف أسباب الرقي بالبيئة⁶³³.

الخيال العلمي بمعناه الفني في أدب الأطفال

شهد أدب الأطفال العربي ضمن الاتجاه الجديد في السنوات الأخيرة بروز نوع جديد من القصة وهو قصة الخيال العلمي بمعناه الفني. تختلف قصة الخيال العلمي عن قصة الرجل الخارق للطبيعة التي تعتمد على الخرافات والعجائب بدون تقيدها بقاعدة أو ارتباطها بمعطيات العلوم الصحيحة، بينما تتخذ قصة الخيال العلمي موضوعاتها من الظواهر العلمية وتوقعاتها المقبلة والتنبؤ بها وانعكاسات ذلك على عالم المستقبل ومصير الإنسان. تقع غالباً أحداث قصة الخيال العلمي في الفضاء أو على كوكب آخر بعيداً عن الأرض في زمن الحال أو المستقبل و"يحاول الكاتب فيها أن يتصور ما يستطيع العلم أن يقدمه في المستقبل إلى الإنسان من إمكانيات، وأن يفتح عيوننا على الخير الذي يمكن أن تقدمه هذه الإمكانيات أو يحذرنا من أخطارها الممكنة".⁶³⁴ إن أدب الخيال العلمي يلعب دوراً هاماً في تكوين الفكر العلمي والاهتمام بالثقافة العلمية لدى القراء بعامة والصغار والناشئين خاصة ويساعد على تعميق فهمهم لدور العلم في حياتنا. يقول الأستاذ الشاروني: "هناك إجماع على أن أدب الخيال العلمي هو أفضل وسيلة لإثارة حماس المراهقين والشباب الصغير بالعلم ودوره الأساسي في حياتنا"⁶³⁵.

ورغم أهمية قصة الخيال العلمي في تنمية خيال الأطفال وتوسيع مداركهم على أساس علمي ظل أدب الأطفال العربي خالياً تقريباً من هذا النوع الرفيع من الأدب ولم يجد اهتماماً كافياً على جانب الأدباء. ولو أن الأدب العربي شهد اهتماماً بقصص الخيال العلمي لدى بعض الكتاب الكبار مثل توفيق الحكيم في مسرحية "رحلة إلى الغد" وقصة "سنة مليون" ومصطفى محمود في رواية "العنكبوت" بالإضافة إلى نهاد شريف في مصر والدكتور طالب عمران في سوريا وغيرهم إلا أن محاولاتهم ظلت موجهة للكبار بعامة كما يقول الأستاذ يعقوب الشاورني: "لكن كل هذه الكتابات هي مجرد نقطة في بحر الكتابة للكبار، ولم يوجد بعد من يكتب الخيال العلمي للشباب الصغير في العالم العربي".⁶³⁶ وتعليقاً على سبب قلة قصص الخيال العلمي في أدب الأطفال العربي والاهتمام غير الكافي بها تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور: "تبدو قصص الخيال العلمي

⁶³³ - الغامدي، نورة، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ص 125.

⁶³⁴ - الشاروني، يعقوب، قصص الأطفال مقارنة عالمية، ص 12.

⁶³⁵ - نفس المصدر، ص 12.

⁶³⁶ - الشاروني، يعقوب، قصص الأطفال مقارنة عالمية، ص 12.

قليلة في أدب الأطفال العرب في كافة المراحل وربما يعود ذلك إلى ضعف الثقافة العلمية التي يفترضها هذا النوع من الإبداع بشكل عام".⁶³⁷

ومع ذلك، نجد في السنوات الأخيرة بعض الكتاب الذين تناولوا قصص الخيال العلمي في كتاباتهم الموجهة للأطفال. فأصدر الكاتب المغربي أحمد عبد السلام البقالي قصة "الطوفان الأزرق" في عام 1997م وتكهن فيها بالتغيير البيئي ومشكلة الأوزون. وفي هذا المجال، برزت نورة أحمد النومان، الكاتبة الإماراتية حالياً كأشهر كاتبة في مجال الخيال العلمي وقدمت للأطفال العرب رواية "أجوان" عام 2012م على غرار رواية الخيال العلمي المنشورة في الدول المتقدمة ونشرت تكملة لأجوان باسم "ماندان" في عام 2014م. فازت رواية "أجوان" بجائزة اتصالات المرموقة عام 2013م في فئة أفضل كتاب لليافعين.

ورغم أن عالجت النومان في قصتها "أجوان" القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة التي تواجهها الدول العربية المختلفة مثل الحرب، والهجرة، واللجوء، والتشرد، والتطرف وغيرها كما تقول الكاتبة نفسها: "في روايتي "أجوان" هناك قضية اللجوء والمشردين واستغلال البشر من أجل تحقيق أجنادات خاصة"⁶³⁸، إلا أنها وفرت للأطفال العرب فرصة للسير في عالم الفضاء الخارجي والتعرف على المجرة والكواكب من خلال أسلوبها الجذاب الذي يجمع بين الخيال العلمي والأسلوب الأدبي الشيق. تقع معظم الأحداث الرئيسية للقصة على محطة ظافر الفضائية حيث تواجه المحطات الفضائية المختلفة والعديد من الكواكب لتدريب القوات الخاصة والمخلوقات الفضائية وعالم كراسوتكا لروهاني، كما نطلع على أجزاء المجرة المختلفة التي تتميز بظروفها المادية وعاداتها الثقافية حيث تقطن بها مجموعات منفردة وتزيد التوترات بين القوى المعارضة مع أجنادات مختلفة.

تتحدث القصة عن فتاة لاجئة تبلغ 19 سنة من عمرها تدعى "أجوان" التي تنتمي إلى كوكب مائي وتغادر إلى الفضاء الخارجي بواسطة سفينة فضائية بعد نجاتها من الدمار الذي تعرض له كوكبها المائي وأسفر عن مقتل مئات الآلاف من سكان عالمها المائي بمن فيهم زوجها ركان. تسافر أجوان مع بقية أفراد أسرتها إلى الفضاء الخارجي في سفينة فضائية مكتظة بمجموعة من اللاجئين الآخرين من الكواكب المختلفة وهم لا يعلمون أين يذهبون وماذا سيجدون هناك بعد الوصول. ومن سوء الحظ، لا تقف معاناة أجوان بعد وصولها إلى محطة ظافر الفضائية فهي تكشف أنها حامل وتزداد مشكلاتها بعد أن اختطفت منظمة شنيعة مجهولة طفلها

⁶³⁷ - بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، ص 27.

⁶³⁸ - مريم جمعة، حوار مع نورة أحمد النومان، جريدة البيان اليومية، دبي، 28 فبراير، 2018م.

من بطنها لتحويله إلى جندي خارق للحصول على أجندة خاصة. وبينما تحدث هذه الأشياء في حياة أجوان الخاصة، تقع أحداث غريبة على الكواكب الأخرى في وقت متزامن حيث يرتكب الأشخاص المجهولون بعمليات التطرف والعنف والإزعاج. تقول البروفيسورة نسرین عناطي: "إن أحداث القصة تتشابه إلى حد كبير بالفوضى التي شهدتها الدول العربية خلال الربيع العربي حيث أرغم اللاجئون العرب على القيام بمثل هذه الأسفار الخطيرة".⁶³⁹

تعترم أجوان على إنقاذ ابنها الرضيع من قبضة المنظمة الشنيعة المجهولة وتظهر شعورا قويا من التعاطف. ومن أجل تعزيز قوتها تنضم إلى مخيم التدريب العسكري متحدية بذلك مبادئ شعبها المسالم ثم تبدأ مهمتها الأولى للعثور على ابنها. تمثل أجوان نموذجا للقوة النسائية، فنلاحظ أن صدمات الأحداث توقظ في أجوان القدرة الكامنة بداخلها على التقمص العاطفي للآخرين كما نجد أنها تتمتع بقدرة على استشعار كل ما يشعر به المحيطون بها ونقل الأشياء مع قوة عقلها. في بداية القصة يبدو أن أجوان ضعيفة ولكن مع تطور القصة تصبح أكثر قوة وتبرز طاقتها الداخلية. وينتهي الجزء الأول من الرواية حيث لم تتمكن أجوان من كشف المكان المحدد الذي وضعت فيه المنظمة المجهولة طفلها بعد اختطافه. فتنهض من جديد وتصمد في وجه التحديات مع إرادة قوية للعثور على طفلها والاستقرار في حياتها وهي تقول: "أقسم لك بأنني لن أهدأ قبل أن أجدك يا طفلي".⁶⁴⁰

والقصة في مجملها تعالج قضية اللجوء والتشرد والإرهاب والتطرف واستغلال البشر وتعكس الواقع الاجتماعي والسياسي للمجتمعات العربية حيث تستخدم بعض المجموعات العنف والتطرف لأغراض سياسية. وشخصية "طارق" في القصة تجسد هذا، ترغب في أن يكون لها نفوذ فتستغل الفئات المهمشة في المجتمع وتقودها إلى القيام بأعمال تخريبية. تطرقت نورة النومان إلى هذه القضايا بطريقة مختلفة وجديدة واختارت عالم الفضاء لطرح هذه القضايا بأسلوب جذاب يجمع بين الخيال العلمي والأسلوب الأدبي الشيق. ورغم أن القصة موجهة لليافعين الذين قد يتسع قاموسهم اللغوي إلا أنهم سيحتاجون إلى القواميس والقراءات المتكررة لفهم بعض العبارات والمصطلحات العلمية. ومع ذلك، ظهرت براعة الكاتبة في اختيار أسماء شخصيات القصة والمدن والكواكب والمحطات الفضائية حيث يشعر القارئ بأنه يعيش في الفضاء الخارجي بالمعنى

⁶³⁹ - Anati, Nasreen, The Influence of the Arab Spring on Arabic Young Adult Literature, P 12.

⁶⁴⁰ - النومان، نورة أحمد، أجوان، ص 423.

الحقيقي. وأخيرا يأمل الباحث في أن الكاتبة المتخصصة بأدب الخيال العلمي ستقدم إنتاجاتها للفئة العمرية المختلفة للأطفال وستكتب حول ظاهرة التكنولوجيا فيها تطور وتفسير معقد علميا لكي يمكن تنمية الإبداع العلمي لدى الأطفال وتطوير مهاراتهم لحل المشكلات منذ نعومة أظفارهم.

موضوعات اجتماعية في أدب الأطفال العربي من الشعر:

فن الشعر فن جميل رائع يخاطب المشاعر ويهيج العواطف ويثير الوجدان مع مناقشة الأخيلة والأفكار بأسلوب مشوق ناصع. ولاشك في أن القالب الشعري هو ما يذخر بكثير من المعاني والمفاهيم بكلمات قصيرة، كما هو يحيط بالمعاني المشوقة والآراء اللطيفة الناعمة. وهذه المعاني إذا يتم تلقينها عن طريق حلو جذاب وبتعبير سلس. ومن المهم أن الشعر مع إحاطته بالموضوعات والمعاني السامية النبيلة، إنه تطرق إلى موضوعات جديدة فيما يتعلق بالموضوعات. وتلك الموضوعات تشمل موضوعات اجتماعية ودينية وإنسانية وسياسية وفكرية كما هي متناولة ومهتمة بها من قبل الكتاب والأدباء في أدب الأطفال.

تظهر الموضوعات والمضامين ذات الصلة بالقضايا الاجتماعية بطابع خاص في شعر أدب الأطفال. وذلك بدافع العمل الشعري الموجه للطفل. ففي كثير من الأحيان تركز القضية على عنوان خاص وفكرة معينة. وتأتي بالظاهرة الاجتماعية. والهدف منها بشكل مباشر توجيه وترفيه الطفل. ولقد وقف فئة من الشعراء العرب عند المظاهر الخاصة بالطفل وتصور علاقته بأسرته ومدرسته ومجتمعه وبقضاياه وعاداته السلبية منها والإيجابية.

فقد تناول الشعراء الجدد أمثال هذه الظواهر وحاولوا أن يتعاملوا معها بكل جدية وأمانة. والشعراء الذين تناولوا الموضوعات الاجتماعية في إنتاجاتهم الشعرية، منهم راشد عيسى، وله قصيدة بعنوان "بיתי و مدرستي". ناقش فيها الشاعر صلة الطفل بالمدرسة. فالمدرسة بيت الطفل وهي مهد تعليمه. فهو يقرض:

"و أغني في مدرستي أغنية الورد الأعلى

ففي الأبيات المذكورة أعلاها، يعبر الشاعر عواطف الأطفال ومشاعرهم وأحاسيسهم تجاه مدرستهم وما يحيط بها من طقوس الأخوة والألوان في إطار تعليمي وتثقيفي وتربوي على لسان الأطفال. وهي قصيدة رائعة أنتجها الشاعر بأسلوب شعري ومعنوي.

ومن القضايا الاجتماعية التي تناولها الشعراء الآخرون، منهم محمد جمال عمرو الذي كتب منظومة شعرية كثيرة وعالج فيها أهمية العلاقات بين الطفل وأسرته كذلك اعتنى بالظواهر الاجتماعية حديثة الظهور. ومنها قصيدته الرائعة "عيد الأم".

فيما يبدو أنه مناسبة من المناسبات التي يحتفل بها الناس لمشاطرة الأفراح وتقليل التوتر وللمحافظة على ذكريات الحياة. وشخصية الأم المثالية هي أخرى وأجدر أن يحترم ويحتفل بها. وقصيدة "عيد الأم" متمثلة في المحافظة على كرامتها وحرمتها واحترام شخصيتها. وهي على لسان الأطفال، فينشد:

"عيد الأم عيد الأحدى
فهى الأجل وهى الألى
أسمع منها وأطاوعها
وأساعدها وأعاونها
عيد الأم فى آذار
يملاً بيتى بالأنوار⁶⁴² "

يصور الشاعر محمد جمال عمرو على لسان الأطفال مشاعرهم وعواطفهم تجاه أمهاتهم بمناسبة خاصة. فإذا تحتوي القصيدة على مواقف ناعمة بالنسبة للأطفال، كذلك هي تلقن الأطفال وتعظمهم عن أهمية يوم الأم المثالية والاحتفال به تقديراً وتعظيماً لشأنها ومكانتها في المجتمع.

وبالإضافة إلى هذه الموضوعات الاجتماعية المبنية على علاقة الطفل بالأسرة والمدرسة وغيرها بدأ اتجاه جديد وهو تناول المشاكل الاجتماعية الحقيقية في شعر الأطفال. فقد عالجت

⁶⁴¹ - عيسى، راشد، هيا إلى العربية، ص 7.

⁶⁴² - عمرو، محمد جمال، عيد الأم "أغنيات للأطفال"، ص 74.

الشاعرة الفلسطينية في قصيدة "لماذا أمي حزينة" قضية التمييز بين البنت والولد وتفضيل الذكر على الأنثى في المجتمع العربي. وهذا من الواقع المرير الذي تعيشه الطفلة العربية وتشعر بالحزن والألم جراء ما تقوم به الأسرة العربية من تمييز بين الجنسين. تقول الدكتورة جهينة الخطيب: "ودخلت أشعار الأطفال إلى أعماق الطفل العربي الذي يعيش في مجتمع شرقي يفضل الذكر على الأنثى، والطفلة تعايش هذا الأمر ويؤلمها هذا".⁶⁴³ تقول الشاعرة على لسان طفلة:

"يظل فكري حائرا

أياماً كثيرة

فأمي تبدو دائماً

تعيسة حزينة

لأن أمي أنجبت

أختي أمينة

ولا أخ في بيتنا

ونشتهي البنينا⁶⁴⁴ "

إن مثل هذا الموضوع في شعر الأطفال جديد لم يتم التطرق إليه من قبل. وفي الحقيقة، دخلت القصيدة وشعر الطفل الآن إلى عالم الطفولة حيث تتحدث عن عواطف الأطفال وذواتهم وأفكارهم وردود فعلهم المختلفة فالطفلة تقع في حيرة وتشعر بالحزن والألم بسبب حزن أمها وتوبخ المجتمع والكبار خاصة بقضية تفضيل المولود الذكر على المولودة الأنثى.⁶⁴⁵ تتميز القصيدة بسهولة الكلمات وبساطتها وتعطي الأطفال القدرة على التعبير عما يشعرون في قلوبهم من ألم وحزن بسبب الأحداث المؤلمة وغير الرائقة التي تحدث حولهم.

⁶⁴³ - الخطيب، الدكتورة جهينة، أدب الأطفال في فلسطين، كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية، الجزء الأول،

ص 51.

⁶⁴⁴ - خطيب، عايدة، أشعار للأطفال، ص 8.

⁶⁴⁵ - عودة، نبيل، جمال عالم الطفولة بتجربة الأدبية عايدة الخطيب، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية، العدد 5059، يناير 2016م.

موضوعات وطنية في أدب الأطفال العربي من الشعر:

تعد الفكرة الوطنية من المفاهيم ذات الأهمية الوطنية يتم التعبير فيها عن الوطن وتاريخه وأبطاله ومآثره في أدب الأطفال الشعري كما يتم الإفصاح عنه بشكل نشيد شعري يتخذ أشكالا وألوانا. وقد حاول الشعراء تناول هذه المضامين في إنتاجاتهم الشعرية من أدب الأطفال. والهدف من ورائه غرس القيم الوطنية في الأطفال والقراء الناشئين وإعدادهم ذهنيا وفكريا. وهذا النوع الشعري في أدب الأطفال كان جديدا كل الجدة في الأدب العربي كما لم يتعرف عليه الأدباء شكلا ومضمونا. فسواء أكانت هي قضية فلسطين، قضية العروبة أو الوحدة العربية والقومية العربية. جميع هذه الأمور والمظاهر اتخذت صورا واضحة في الإنتاج الشعري من أدب الأطفال.

ومن هذا المنطلق، جاءت الرؤية الوطنية بكل ما يتناولها من الوطن وقضيته وشعبه ومن له صلة به. ومن أهم الشعراء الذين قرضوا شعرا كثيرا في الهم القومي والوحدة العربية وقضية فلسطين، الشاعر السوري سليمان العيسى الذي يعتبر رائدا حقيقيا في مجال أدب الأطفال الشعري. نظم الشاعر قصيدة بعنوان "فلسطين داري"، وإليك بعض الأبيات من القصيدة:

فلسطين داري ودرى انتصارى
تظل بلادى هوى فى فؤادى
وجوه غريبة بأرضى السليبية
إلى بيت جدى إلى دفاء مهدي
فلسطين داري ودرى انتصارى⁶⁴⁶

لقد عبر الشاعر من خلال هذه القصيدة حبه لفلسطين المقدسة وعاطفته المائجة الجياشة تجاه أرض أجداده والتي غصبتها القوات الصهيونية. ومنذ أن برزت قضية فلسطين على منصة الشهود وازدادت أزماتها عبر العقود والعصور بشكل العدوان الإسرائيلي والاحتلال الغاصب الغاشم، بادر الشعراء إلى إبداء وتعزيز صلتهم الوطيدة واتصالهم الوثيق. وعالج سليمان العيسى، قضية الوطنية هذه بشكل رائع جذاب. وذلك في أسلوب سائغ وكلمات سهلة عذبة راعيا فيها طريقا

⁶⁴⁶ - ديوان سليمان العيسى، فلسطين داري، ص 47-49.

جميلاً يناسب أذهان الأطفال ويسهل التعليم والتربية والوطنية الغراء في إطار فني شيق يجذب إليه الأطفال ويرغب فيها.

الوحدة العربية

تناول الشعراء المعاصرون قضية "الوحدة العربية" في قصائدهم الموجهة للأطفال لإيقاظ الهم القومي وبث أقدار الوحدة العربية فيهم منذ نعومة أظفارهم لأنهم رجال الغد وقادة المستقبل ويمكنهم أن يبذلوا جهودهم لجمع شمل العرب والدفاع عن مصالح الأمة العربية. ومن أجمل القصيدة حول الوحدة العربية كتبها الشاعر السوري سليمان العيسى بعنوان "قوس قزح". وفكرة الوحدة العربية هي فكرة نشأت على مستوى الخليج العربي بدافع غيرة الدفاع عن الوطن الأم بعد ظهور صراع فلسطين في العالم العربي. وتتابعها القومية العربية وتعززت على يد قائد مصري معروف السيد جمال عبد الناصر، الرئيس المصري الأسبق.

وعنوان القصيدة "قوس قزح" كما ينم عن الألوان المختلفة الظاهرة في سطح السماء في موضع مدور يدا بيد متماسكة ومتكاتفة، كذلك تتمثل الوحدة العربية في التعاون والقيام بجانب الآخر حرصاً على التفاعل والتماسك ومشاطرة الأفراح والأتراح ومشاركة الهموم والأحزان في كل رطب ويابس. فقد أنتج الشاعر سليمان هذه القصيدة بدافع هذه الفكرة المتميزة التي توحد كلمة الشعب ويلمّ شملهم. ومنها هذه الأبيات:

"فـي قـبـة السـماء
سـمائنا الزرقاء
وفوق أرض الخالدين، أرضنا الخضراء
عقدنا عرس فـرح
نصـبنا قـوس قـزح
بأيـدي الصـغار"⁶⁴⁷

ويشرح الشاعر للأطفال الألوان الموجودة المتنوعة في قوس و قزح بالمعاني المعينة فيقول إن اللون الأحمر في قوس وقزح يدل على دم الشهداء الذين كرسوا حياتهم في سبيل الوطن العزيز

⁶⁴⁷ - ديوان سليمان العيسى، قصيدة "قوس قزح"، ص 270.

والمقاومة ضد الاستعمار والقوات الصهيونية. وهكذا يشير اللون الأخضر في قوس وقزح إلى لون الأطفال والناشئين الذين سيملؤون الفضاء والدنيا غدا بالحب والأمن والسلام. وهكذا تدل الألوان الأخرى من الأزرق والأصفر على المعاني المعينة الجميلة الأخرى. ورغم اختلاف اللون يتحد القوس والقزح، فالدول العربية والأمة العربية ستتحد في المستقبل مثل القوس والقزح، وسيلعب الأطفال والصغار دورا هاما في هذه الوحدة العربية لأنهم نور الأمل والحياة والأمن والسلام والحب والوحدة، فينشد الشاعر:

"الأحمر لــــون الشــــهداء
الأخضر لــــون الأولاد
الأزرق لــــون سماء العــــز
الأصفر رمل الأجداد
يا قــــوس قــــزح
إسمع أصوات خطا الأشبال
إسمع موسيقا الأمجاد
وكما تنضم الألوان المنثورة فيك وتتحد
ينضم غدا وطني العربي فكل مرابعه جسد"⁶⁴⁸

هذه وأمثالها من الأبيات المذكورة أعلاها والمقتبسة من القصيدة المعنونة بـ "قوس قزح" تركز أساسيا في ترسيخ قيم الوحدة والوئام والاتحاد بين الدول العربية والشعوب الإسلامية في العالم. وقد حاول الشاعر إبلاغ هذه الرسالة إلى الأطفال العربية والناشئين الجدد.

العروبة

إن العروبة ميزة ومكرمة وسمة يتسم بها العرب والأمة العربية قاطبة. فهي عنوان فخر واعتزاز ومجد وكرامة يفتخر به الناس ويتقوه بمباهاة. وفي معظم الأحيان، يتم التعبير عنها من خلال النتاج الشعري والمنظومة الشعرية. وأمثال تلك الأصناف الشعرية تعتمد على المكارم القومية المتوارثة عنها. فكما هي تصور التاريخ المجيد وبطولة الأمة وشجاعتها، كذلك هي علامة

⁶⁴⁸ - ديوان سليمان العيسى، قصيدة "قوس وقزح"، ص 271.

الحضارة الفائقة والثقافة والمعارف. قصيدة "عروبتى" للأطفال التى أنشدها الشاعر المصرى أحمد
سويلم، قصيدة ناصعة ومنظومة شهيرة. وهى كالآتى:

"عروبتى حضارة عروبتى منارة
تاريخها طويل ومجدها أصيل
ودينها الإسلام يدعو إلى السلام
الله يحميها لنا كبارنا وصغارنا"⁶⁴⁹

فبمجرد دراسة القصيدة، يتجلى لنا أنها تشتمل على بعض المفاهيم والحقائق التى تعتمد عليها
العروبة ودعائهم مع عناصرها ومرافقها بأسلوب سلس مشوق وبسيط ومناسب للقاموس اللغوى
للأطفال، مع دعاء خالص لدوامها.

موضوعات دينية فى أدب الأطفال العربى من الشعر:

لقد كانت الموضوعات الدينية من المضامين الأكثر اهتماماً وتناولاً فى أدب الأطفال
الشعرى فى العالم العربى. فالدين الإسلامى القيم مع كافة تعليماته والشعائر الإسلامية كانت فى
غاية الاهتمام والاعتناء من قبل الكتاب والشعراء الإسلاميين عبر العصور. وكان الهدف منه أن
يتم تغذية الأطفال والناشئين الجدد بالمبادئ الدينية والطقوس الإسلامية الغراء ولأن تتم التربية
على المنهج الإسلامى السليم.

فمنذ أن كانت تحتوى على القصص حول التاريخ وحياتة الأنبياء والرسول والصحابة
والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، إذ تحولت إلى موضوعات دينية أخرى إلى جانب القيم
الدينية الأخرى، منها "قصيدة الدعاء" للأطفال للشاعر الأردنى راشد عيسى. ومنها هذه الأبيات:

"ما أرحمك يا خالقي ما أكرمك يا رازقى
صليت لك يا قادر ما أعدلك يا ناصر
تعطي لكل من سعى تجيب كل من دعا"⁶⁵⁰

⁶⁴⁹ - أحمد سويلم، ديوان الطفل العربى، قصيدة "عروبتى" ص 46.

⁶⁵⁰ - راشد عيسى، هيا إلى العربية، ص 23 .

فالشاعر راشد عيسى يحمّد الله تعالى ويناجيه كما يذكر كبريائه ويحدّث نعمه التي أنعمها على الإنسان من رزق وحياة كريمة وصحة كما هو يجيب كل من يدعوه. و من خلال هذه القصيد إنه لئن الأطفال بالإيمان بالله وشكره بأسلوب محكم و متين يناسب فنّهم العمريّة. وذلك سعيا في غرس هذه القيم في الأطفال لحسن تربيتهم وصقل مواهبهم الفطرية التي فطرها الله عليه. وإن حب الرسول محمد ﷺ والإيمان برسائلته الخالدة والتمسك بالأسوة الحسنة العطرة هو مما يدعو إليه الدين الإسلامي. وقد تطرق إليه الشاعر راشد عيسى وبنى قصيدته المعنونة بـ "خير البشر" متمثلا فيها كرامته الأدمية وفضله على جميع الأنبياء والرسل. كذلك يؤكد على مميزات وسماته الفاضلة النبيلة من عدل وشيمة ووفاء ولطف وكرم وعطف وعناية ومساعدة ومشاركة ومشاطرة. وخير شاهد على ذلك بعض الأبيات التالية للقصيدة:

من أسرة شريفة وسادة كرام	"نبينا عظيم وسيد كريم
محمد خير البشر	الله فيه قد أمر
والخير والفلاح كي ينصر الإسلام	يهدي إلى الصلاح
هو الرسول المرشد	نبينا محمد
فهو العطوف المنصف لأمتي إمام ⁶⁵¹	على الفقيه يعطف

بهذا الأسلوب الجميل والتعبير الشيق الواضح المبين، تناول الشاعر راشد عيسى هذه الأمور الجليلة وحاول تعليم الأطفال والصغار بهدي الرسول ﷺ عليه أفضل السلام.

علاوة على ذلك، برز في ساحة أدب الأطفال الشعري الشاعر محمد جمال عمرو وتناول الموضوعات الدينية في إنتاجاته الشعرية ونتاجه المنظوم. وذلك أملا في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتعليمات الدين الإسلامية في النشء الجديد للمجتمع الإسلامي. وعلى هذا المنوال إنه عنون مجموعاته الشعرية بـ "طه الحبيب" و "نبي الرحمة". وإليك بعض الأبيات من ديوانه "أحلى الأنغام" مما يرسخ عقيدة التوحيد في الأطفال:

"أشهد أنك أنت الله

⁶⁵¹ - راشد عيسى، خير البشر، هيا إلى العربية، 36.

ربي لا أعبد إله

أنت الواحد يا رباه

أشهد أنك أنت الله

أشهد أنك أنت الله ⁶⁵² "

موضوعات تربوية في أدب الأطفال العربي من الشعر:

تحتل القيم التربوية مكانة سامية في حياتنا الاجتماعية و حياة الشعب جميعا كما تتداخل الموضوعات بعضها ببعض. فالقيم التربوية هي مما يغرس في الأطفال أطوار الحياة من قبل ولادة أمورهم والمهتمين بشئونهم. وهي تتضمن طرق الحياة والتثقف بثقافات والتحلي بسمات ومميزات العادات الفاضلة والأوصاف الحميدة. فتمثل في بناء شخصية الطفل وتوجيه وجهاتهم النظرية والفكرية كما وتلبي حاجاته المعرفية والسلوكية، من الطعام والشراب والمجالسة والمشاطرة والتعاطف والوفاق والوحدة والتعاون وغيرها من الأوصاف.

هذه هي بعض المكارم التي قد حاول الشاعر راشد عيسى تناولها في قصيدة "آداب الأكل" وشرح فيها آداب الطعام وأساليب الحياة. ومنها الأبيات التالية:

"أجلس بهدوء ونظام وأسمي في بدء طعامي
لا أسرع في بلع اللقم كي يسهل جدا في الهضم
أشكر ربي بعد الأكل و أخي سامي يفعل مثلي
أغسل بالصابون يديا أمسح باماء شفتيا ⁶⁵³ "

على هذا المنوال البسيط العادي لقد أوجز راشد عيسى شئون الحياة والمعاشرة وآداب المأكل والملبس والتعامل. ولو أن هذه الأمور هي أمور بسيطة ربما لا يعتني بها الناس لاسيما بالنسبة للأطفال، إلا أنها أصبحت الآن ذات عناية بالغة واهتمام فائق. وقد أجاد راشد عيسى في معالجة هذه القضايا بأسلوب واضح شيق إلى جانب روعة الفكرة والخيال في الإبانة والظهور.

⁶⁵² - عمرو، محمد جمال، أطل الأنغام، ص 8.
⁶⁵³ - راشد عيسى، هيا إلى العربية، ص 18.

موضوعات ترفيهية في أدب الأطفال العربي من الشعر:

هنا تأتي موضوعات ترفيهية نجد مشاهدتها ومظاهرها متناولة في أدب الأطفال من الشعر. ولا شك في أن الفكرة الترفيهية تساعد على دفع الملل والسآمة عن الطفل كما يزيل التوتر والحزن. فنرى الشعراء المهتمين بأدب الأطفال ينظمون قصائد ومنظومات شعرية حول الموضوعات الفكاهية والترفيهية. وذلك في كلا النوعين من الأدب، النثر والشعر. وهذا الاتجاه الترفيهي والفكاهي نال شعبية بين الشعراء والكتاب المعاصرين في الأدب العربي المعاصر للأطفال. وبالتالي، لدينا نماذج كثيرة لهذا النوع من أدب الأطفال في دواوين ومجموعات شعرية عديدة، منها قصيدة الشاعر الأردني محمد جمال عمرو، "قف لا تلعب".

"عجبي عجبي عجبي عجبي"

كم تأمرني أمي و أبي

قف لا تلعب كي لاتعب

عد للكتب عد للكتب⁶⁵⁴

فهذا تصوير حقيقي لما يحدث مع معظم الأطفال في حياتهم العادية. فمعظم الآباء والأمهات يصرفون أنظارهم عن أهمية الألعاب ودورها في حياة الأطفال في تنميتهم الصحية والعقلية والعاطفية. وبسبب الإفراط في الحماية يمنعون الأطفال من ممارسة اللعب والنشاط البدني ويركزون على الجانب التعليمي والدراسي حيث يرغبون في أن يستمر الأولاد في القراءة والمطالعة دائما بدون إتاحتهم الفرصة الكافية للترفيه والمتعة. بادر جمال عمرو إلى معالجة مثل هذا الموضوع لتقليل التوتر وتوفير التسلية للأطفال مؤكدا أهمية اللعب والترفيه واللهو والمرح مع الأقران في حياتهم لتنميتهم الشاملة. يقول إبراهيم الكوفحي: "ومن العنوان نصيح إلى صوت الوالدين اللذان لا يكفان عن أمر الطفل بالتوقف عن اللعب، والعودة إلى الدراسة والكتب"⁶⁵⁵.

أما فيما يتعلق بطريقة الكتابة والمنهج الأسلوبية المختار لدى الشاعر، فقد اختار الكلمات السهلة اللطيفة والمأنوسة لا يجد الطفل عناء في فهمها وإدراك معانيها. إلى جانب ذلك، اعتمد

⁶⁵⁴ - عمرو، محمد جمال، نسيام الطفولة، ص 20.

⁶⁵⁵ - الكوفحي، إبراهيم، شعر محمد جمال عمرو: دراسة مضمونية وفنية، مجلة دراسات، المجلد، 38، العدد 2، ص 572.

على جمل صغيرة وبسيطة يسهل فهمها للطفل. فلا يتمتع الطفل بفهم الجمل الطويلة كما لا يمكن إدراك معانيها ببسر وسهولة. كذلك الجمل المعقدة تحول دون الفهم وتذوق المعنى. لقد اعتمد الشاعر على أسلوب التكرار وإعادة الكلمات. فالأطفال يتمتعون بالتكرار. وهو يساعدهم على التذكير والدوام. علاوة على ذلك، تطرق إلى موقف خاص بالنسبة للأطفال. وهو موقف قد ازداد الاهتمام بمثله على المستوى الأكاديمي والعلمي كما نشاهد في الآداب المختلفة.

هذه هي بعض نماذج وأمثلة أدب الأطفال من الشعر والموضوعات المعاصرة والجديدة في الأدب العربي الحديث للأطفال. وقد تمت المحاولة لمناقشة وشرح المفاهيم التي تحتوي عليها هذه النماذج الشعرية لأدب الأطفال.

خاتمة

هذه دراسة متواضعة عن أدب الأطفال العربي وموضوعاته التي يعالجها الكتاب المعاصرون في كتاباتهم الموجهة للأطفال. والحمد لله على أنني قد نجحت في إنجاز هذا البحث المتواضع بعد جهد جهيد وكد أكيد. لا ريب في أن البحث العلمي يلعب دورا هاما في كشف القناع عن وجه الحقيقة والواقع وتفنيذ المزاعم والتوهّمات الضاربة جذورها في تاريخ الأمم وحضارتها. إن هذا البحث قد أفادني كثيرا ودلني على كثير من الأمور الهامة المتعلقة بوضع أدب الأطفال العربي الإجمالي شكلا ومضمونا في العالم العربي كذلك تعرفت على ما طرأ عليه من تغيرات إيجابية وسلبية عبر الزمن، وبوجه خاص بعد التسعينات من القرن العشرين جراء التطورات والتقدمات في كافة مجالات الحياة على المستوى العربي والدولي.

لاحظنا من خلال عملية هذا البحث أن وضع أدب الأطفال الإجمالي في العالم العربي ظل في حالة بائسة من ناحية الطباعة والكتابة منذ ظهوره بمصر في زمن محمد علي ضمن اتصال العرب بأداب الغرب إلى التسعينات من القرن العشرين تقريبا. وبصرف النظر عن بعض محاولات أمير الشعراء أحمد شوقي كان معظم أدب الأطفال مبنيا على الترجمة والتعريب من الآداب الغربية ومقتصرًا على مادة التدريس في المدارس والكتاتيب لتعليم الأطفال بأسلوب وعطي وتعليمي بعيدا من المتعة والتسلية، إذ نهض رائد أدب الأطفال كامل الكيلاني والشاعر محمد الهراوي في العشرينات. فقدم الكيلاني والهراوي إنتاجاتهما الغزيرة في مجال النثر والشعر وحاولا تقديم مفهوم جديد لأدب الأطفال حيث وجد الأطفال لأول مرة بعض القصص والأشعار خارج مقرراتهم الدراسية للتسلية والترفيه.

ورغم أن زاد الاهتمام بأدب الأطفال منذ الستينات من القرن العشرين في الدول العربية المختلفة وبرز العديد من الكتاب والشعراء في مجال أدب الأطفال إلا أن معظم محاولاتهم الأدبية للأطفال ظل أسير التقليد والتكرار والمحاكات والاقْتباس في الموضوع والأسلوب. وعانى أدب الأطفال من أزمة الجودة والنوعية على كافة المستويات بأسباب عديدة مثل عدم الإلمام الكافي بأمور الكتابة والطباعة لكتب الأطفال وقلة الاهتمام بنفسياتهم في مراحل نموهم المختلفة وعدم الجدية على جانب الأدباء وغلبة اللون التعليمي والوعظي على صفحات أدب الأطفال.

وشهد أدب الأطفال العربي بعض التحسن في شكله الخارجي بعد إنشاء دور النشر العربية الخاصة لكتب الأطفال في السبعينات مثل دار الفتى العربي في لبنان ودائرة ثقافة الطفل في

العراق. مع ذلك، ما زالت دائرة موضوعات أدب الأطفال ضيقة وغير متسعة كانت تدور بعامه حول موضوعات تقليدية من الأخلاق والتعليم والدين وحكايات الأساطير والجن والسحرة. وكان يغلب على معظمها اللون التعليمي والوعظي. بينما الدراسات المكثفة في مجال علم نفس الطفل وإعلان السنة العالمية من منصة الأمم المتحدة عام 1979م وبرنامج "التعليم للجميع" عام 1990م والطرق الجديدة في تربية الأطفال وتعليمهم والتطورات العالمية والعربية في معظم مجالات الحياة لعبت دورا كبيرا في نشر الوعي وتغيير نظرة الكتاب العرب تجاه الأطفال وأدبهم. وبالتالي، برز جيل جديد من الكتاب الذين تخصصوا في مجال أدب الأطفال واختاروه كمهنة لهم واطلعوا على طريقة الكتابة الإبداعية للأطفال واستقادوا من الآداب الغربية وخبراتها الخصبة في مجال أدب الأطفال من خلال مشاركتهم في المؤتمرات والندوات والمهرجانات حول أدب الأطفال على المستوى العربي والدولي. وأخيرا زادت اهتمامات الحكومات العربية بأدب الأطفال وأنشئت جوائز عديدة لتشجيع الكتاب على الإتيان بالجودة والتنوع في كتاباتهم للأطفال. وأدت هذه الأسباب إلى نشوء أدب الأطفال في العالم العربي على طريقة جديدة.

ومنذ التسعينات من القرن العشرين فصاعدا بدأ يشهد أدب الأطفال اتجاها جديدا وتطورا نوعيا بكل معنى الكلمة. فقفز أدب الأطفال قفزات نوعية في مجال النشر والطباعة حيث نرى كتب الأطفال تمتاز الآن بطباعة أنيقة ونوعية الورق والغلاف المتين والسميك وحجم الكتاب المناسب وجودة الخط والرسوم التوضيحية والصور الخلابة التي تستهوي قلوب الصغار كما نجد كتبا لفئات الأطفال المختلفة حسب مراحل عمرهم. وكما حدثت هذه التغيرات في الشكل والمظهر الخارجي لأدب الأطفال، كذلك برز اتجاه جديد في شكله الداخلي. بدأت تتسع وتتنوع موضوعات أدب الأطفال وبرزت موضوعات جديدة وحساسة بالإضافة إلى ظهور نوع جديد من القصة مثل قصة الخيال العلمي كما عادت القصص الدينية والتراثية من جديد بقالب حديث من حيث اللغة والأسلوب والرسوم والإخراج.

تغيرت وجهات نظر الكتاب تجاه الطفل، فهو طفل نكي يستطيع مواجهة التحديات والصعوبات في حياته. وظهرت القصص التي تكتب من وجهة نظر الطفل ولسانه. وأصبح الطفل شخصية رئيسية وفاعلة في القصة، يعبر عن مشاعره وعواطفه واهتماماته وتطلعاته وقلقه وتمرده كما نجد في قصص "كيف أشعر" و "أفرح أحزن" و "لأخاف" لفاطمة شرف الدين وقصة "عندما مرضت صديقتي" لسمر محفوظ براج.

وجد الباحث أنه هناك تحول واضح في كتابات الأدباء المعاصرين من الاهتمام بالحكايات الخيالية والأسطورية إلى الاهتمام بالواقع الاجتماعي، فامتدت دائرة موضوعات اجتماعية مبنية على علاقة الطفل بمدرسته ومعلمه وأصدقائه وأسرته حتى برزت القضايا الاجتماعية في أدب الأطفال. ونجد الأستاذ الشاروني يتناول في قصة "تائه في القناة" معاناة المصريين وبوجه خاص الفلاحين خلال فترة حفر قناة السويس على يد الاستعمار البريطاني والسلطة المحلية لكي يتعرف الأطفال على كل ما عانى منه الجيل السابق من صعوبات وتحديات من أجل البقاء. وهكذا، نجد قضية نسوية في قصته الأخرى "أسرار بيت الطالبات" حيث يصور الكاتب معاناة البنات المصرية في سبيل التعليم والحرية ومواصلة الدراسة العليا وتحقيق ذاتها.

وعثر الباحث على أن الكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين عالجت في رواية "فاتن" مشكلة اجتماعية أسرية حيث تجبر البطلة فاتن على ترك المدرسة والعمل كخادمة. وهكذا نجد يعقوب إسحاق، الكاتب السعودي، يتناول في قصة "الوهم" بعض الاعتقادات الخاطئة السائدة بين المجتمع عن العلاج في المستشفيات الحكومية. كما عالجت فاطمة معدول، الكاتبة المصرية، في قصة "البنت مثل الولد" قضية المساواة بين الجنسين وحقوق الأطفال.

ظهرت قضية الإعاقة والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة كموضوع هام في أدب الأطفال. شجع الكتاب المعاصرون بمن فيهم الأستاذ يعقوب الشاروني من خلال قصصهم الرائعة حول الموضوع أطفالا عاديين والمجتمع على قبول الاختلافات الفردية وشمول الأطفال المعاقين في التيار الرئيسي للمجتمع لكي يمكن القضاء على النمطية السائدة نحوهم. ظهرت براعة الأستاذ الشاروني في معالجة قضية الإعاقة في قصة "حكاية طارق وعلاء" حيث لم يتكلم قط بشكل صريح عن الإعاقة وسلبياتها بل قدم شخصية البطل "طارق" الذي يعاني من تعلم ولكنه يتمتع بقدرة فائقة في الرسم والتصوير بصورة إيجابية من خلال اكتشاف المهارات والإيجابيات الكامنة التي أودعها الله فيه لكي يتمكن الطفل المعاق من تحقيق ذاته وشخصيته بواسطة قراءة القصص المتمثلة في نفسه ومشاكله وعواطفه وشخصيته وذاته.

برزت قضية البيئة والمحافظة عليها كأبرز موضوع في قصص الأطفال في السنوات الأخيرة. ونجد أن الكتاب عالجا جوانب عديدة من مشكلة البيئة مثل أزمة الماء والتلوث المائي

والهوائي والاحتباس الحراري وارتفاع درجة حرارة الأرض والتنمية المستدامة وغيرها لغرس القيم البيئية في الأطفال وتشجيعهم على حماية الأرض ومخلوقاتنا من الأضرار البيئية التي يقف ورائها الإنسان مباشرة. وعالج الأستاذ يعقوب الشاروني موضوع البيئة في قصة "مغامرة زهرة مع الشجرة" حيث تقوم مجموعة من الطلاب بقيادة البطلة زهرة باحتجاج ضد قاطعي الشجرة في ميدان مدرستهم وتجعل درعا بشريا حول الشجرة من خلال احتضانها. تتحدث القصة عن أهمية الأشجار في الحفاظ على البيئة وتحث الأطفال على تقديم كل ما في وسعهم للمحافظة على البيئة. وهكذا نجد يعقوب إسحاق، الكاتب السعودي، يعالج مشكلة الاحتباس الحراري وارتفاع درجة حرارة الأرض في قصة "أمنا الأرض مريضة" بهدف إيقاظ الوعي البيئي بين الصغار والناشئين. تحدثت القصة بأسلوب سهل عن أسباب وراء ارتفاع درجة الغلاف الجوي حول الأرض وأخطاره وتهديداته للكائنات الحية على الأرض كما تقدم بعض الحلول لتخفيف الكارثة. ومن خلالها قصد الكاتب إلى مشاركة الطفل في فهم المشاكل البيئية وأسبابها لكي يجعله يتمكن من أداء مسؤوليته تجاه مكافحة التهديدات البيئية حسب قدرته واستطاعته في المستقبل.

مع مرور الزمن، لم يعد أي موضوع بعيدا من متناول كتاب أدب الأطفال سواء كان بسيطا أو شائكا. فلاحظ الباحث أن الموضوعات الحساسة والمحرمة في أدب الأطفال مثل التحرش الجنسي والموت والحرب والطلاق وغيرها وجدت طريقها إلى أدب الأطفال. وعالجت الكاتبة سمر محفوظ براج في قصة "الخط الأحمر" موضوع التحرش الجنسي بالأطفال لتوعيتهم عن هذه الظاهرة الموجودة في سائر المجتمعات. برعت الكاتبة في إجادة الطريقة والأسلوب للتحدث عن الموضوع مع الأطفال حيث تشرح أم لطفلها مازن أن جسمه خط أحمر مثل الإشارة الحمراء وحدود الوطن، لايجوز لأحد أن يقترب منه بصورة مزعجة. تساعد القصة الأطفال على توعيتهم وتمدهم بالجرأة لمواجهة هذه المشكلة بكل قوة وبسالة وتشجعهم على التحدث عنها بلاخوف وخجل إذا حدث هذا الموقف معهم.

كما ظهر موضوع الطلاق في قصة "لي بدل البيت بيتان" للكاتبة اللبنانية لوركا سببتي. تعتبر هذه القصة جديدة من نوعها في أدب الأطفال العربي وتتناول إحدى القضايا الاجتماعية الهامة من وجهة نظر الطفل. تساعد القصة الأطفال على فهم معنى الطلاق كما تخفف قلقاتهم

ومخاوفهم عن الأمور التي سترتب الطلاق عليها من خلال إخبارهم بأن حب الوالدين تجاه أولادهم لن يتغير أبداً.

وهكذا، تناول الكتاب المعاصرون ضمن الاتجاه الجديد موضوع الموت في أدب الأطفال بهدف شرح مفهوم الموت للأطفال وتوفيرهم بعض التدابير للتعامل مع القلقات النفسية التي يمرون بها عند فقدان أحد من أهلهم أو قريبهم. عالجت الكاتبة فاطمة شرف الدين في قصة "جدتي والقمر" موضوع الموت. تساعد القصة الطفل على قبول فكرة الموت والفرق ويفهم من خلالها أن الموت هو جزء من دورة الحياة. كما كتبت الكاتبة الفلسطينية ميسون أسدي قصة "أبي لم يموت" حول نفس الموضوع لتؤكد الأطفال من أن الموت هو أمر يقيني لكل من الأشخاص سواء كانوا أشراراً أو أحياناً.

وجد الباحث أيضاً أن الكتاب بدأوا يتناولون موضوع الحرب والاحتلال والهجرة من وجهة نظر الطفل الذي يعيش هذه التجارب المريرة لكي يتم توفيره القدرة على التعبير عما يجول في خاطره من خوف وقلق وذعر في ظل الحرب ويمكن إضاءة نور الأمل والتفاؤل فيه. ففي قصة "في مدينتي حرب" للكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين نرى الحرب ومعاناتها في ضوء تجربة الطفل الذي يصف لنا، بكل بساطة، حياته اليومية في مدينة محتلة بلبنان. لكن هذا الطفل لديه أمل بمستقبل أفضل من الحاضر، فيقول إنه لن يخاف من الحرب إذا كبر ويقول للمحتل أن يرحل عن مدينته. كما نجد في قصة "لو كنت طائراً" لنفس الكاتبة موضوع الهجرة الناتجة عن الحرب والاحتلال على سبيل الواقع الذي يعيشه الأطفال في بعض البلدان العربية. يرغب الطفل الفلسطيني الصغير في أن يكون طائراً لكي يطير إلى بيته الجميل على الجانب الآخر من الحائط ويؤكد والد الطفل له من أن الأمل في العودة إلى الوطن العزيز لن يموت أبداً.

وكذلك، برز الموضوع السياسي في أدب الأطفال بهدف التنشئة السياسية وغرس القيم الديمقراطية في الأطفال منذ نعومة أظفارهم. وفي هذا الباب، نجد قصة "في بلدنا انتخابات" للأديب الفلسطيني سهيل كيوان الذي يقدم مفهوم الانتخابات وعمليتها بطريقة ديمقراطية لكي يمكن إيقاظ إحساس الأطفال بالمسئولية تجاه وطنهم وبلدهم من خلال تعويدهم منذ حداثة سنهم على التعبير عن آرائهم واحترام رأي الآخرين والمشاركة في إبداء الرأي حول ما يهم مجتمعهم لأنها هي المقدمة الأساسية لاختيار من يمثلهم في مجلس الشعب. علاوة على ذلك، عثر الباحث

على قصة "هبت ريح قوية" لفاطمة شرف الدين حول الثورات في الدول العربية المختلفة من وجهة نظر الأطفال لتأهيلهم لعالم السياسة بشكل طريف قريب من عالمهم البسيط.

وكما ظهرت هذه الاتجاهات والتجديدات في قصص الأطفال وموضوعاتها في السنوات الأخيرة، فأخذ شعر الأطفال أيضا منعطفا جديدا فيما يتعلق بمضامينه وألوانه وطريقة كتابته بعيدا من اللون التعليمي والوعظي. نجد أن بروز الجيل الجديد الموهوب من الشعراء واهتماماتهم بعالم الأطفال الخاص واحتياجاتهم في المراحل العمرية المختلفة أدخلت أشعار الأطفال إلى عالم الطفولة، فحركت ميولهم وعواطفهم وعبرت عن إحساسهم وشعورهم حيث ظهرت هويات الأطفال وألعابهم وعلاقاتهم العائلية في الأشعار الموجهة للأطفال. ونجد أن شعر الأطفال في السنوات الأخيرة تطرق إلى موضوعات جديدة من المضامين الوطنية والعلمية والاجتماعية والثقافية والترفيهية والجمالية بالإضافة إلى القضايا الدينية المتبعة عليها من عصور كما عالج الموضوعات الجديدة مثل البيئة وضرورة الحفاظ عليها من التلوث. واتخذت قضية فلسطينية والههم القومي حيزا كبيرا في الدواوين العربية الموجهة للأطفال والصغار.

فنجد أن الشاعر السوري سليمان العيسى يتناول قضية الوطن في قصيدة "وطني" وقرض بكثرة حول قضية فلسطين والوحدة العربية مثل "فلسطين داري" و "قوس قزح" لغرس القيم الوطنية في الأطفال وإيقاظ همهم القومي والعربي. كما تناول أحمد سويم قضية العروبة في قصيدة "عروبتى" لتوثيق علاقة الأطفال بتاريخهم الأصيل ومجدهم العريق الذي هو مصدر الفخر والاعتزاز لكل من الصغار والكبار. وهكذا، يتناول محمد جمال عمرو علاقة الطفل مع أسرته خاصة مع أمه في قصيدة "عيد الأم" ضمن الموضوعات الاجتماعية حيث يعبر الطفل عن عواطفه الجياشة من الحب والاحترام والسعادة والطاعة لأنها بمناسبة عيد ميلادها.

ولاحظنا أن دائرة الموضوع الاجتماعي في شعر الأطفال بدأت تتسع تدريجيا فنجد الشاعرة عايدة خطيب تتناول مشكلة اجتماعية في قصيدة "لماذا أمي حزينة" حيث تشعر الطفلة بالألم والحزن بسبب قضية التمييز بين البنت والولد وتفضيل الذكر على الأنثى في المجتمع العربي. كما في قصيدة "أكره الحمام" لمست الشاعرة نفسية الطفل ووجدانه الصادق. وعثر الباحث

على أن القصيدة العربية قد دخلت إلى عالم الطفولة بمعناها الصادق، فيدافع الشاعر فاضل علي عن حق الطفل التعبيري في قصيدة "خدي كالورد" حيث يلتمس الطفل من الكبار أن يستمعوا إلى كل مايجول في خاطره من الحديث إلى النهاية.

وشاهدنا أن شعر الأطفال مليئ بالموضوعات الدينية والتربوية والتعليمية والترفيهية. فالشاعر راشد عيسى في قصيدة "الدعاء" و"خير البشر" تناول موضوعا دينيا لغرس القيم الدينية في الأطفال وترسيخ عقيدتهم وتعزيز علاقتهم بالله سبحانه وتعالى ونبيه محمد ﷺ. كما تناول في قصيدة "آداب الأكل" موضوعا تربويا لتعويد الأطفال على آداب الطعام المستحبة. وهكذا نجد محمد جمال عمرو يتناول موضوعا ترفيهيا في قصيدة "قف لاتلعب" لدفع الملل وتنشيط أذهان الأطفال.

وهكذا نجد أن الشعراء المعاصرين برعوا في تناول موضوعات جمالية وعلمية ومظاهر الطبيعة. فشاعرنا سليمان العيسى يتناول في قصيدة "الفصول الأربعة" وغيرها موضوعا جماليا لإيقاظ الذوق الجمالي في الأطفال وزيادة إحساسهم بمظاهر الفطرة وجمالها. كما تناول في قصيدة "الماء" موضوعا علميا حيث قدم نظرية التبخر العلمية التي هي من المسلمات لدى العلماء لكي يمكن إثارة تشويق الأطفال إلى الدراسة والبحث العلمي.

وهذا ما وصل إليه بحثي، فأكتفي بهذا، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه المحاولة المتواضعة موضع القبول لدى الأوساط العلمية والمهتمين بأدب الأطفال العربي، كما أدعوه أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والفلاح والسعادة، آمين بجاه سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم.

قائمة المصادر الرئيسية والثانوية

المصادر الرئيسية العربية

1. ابن منظور، أبو الحسين أحمد: لسان العرب، ج 11، ط 3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ.
2. إسحاق، يعقوب: أضرار البيئة الملوثة، دار أبي حسن، 1428هـ، مكان النشر غير مذكور.
3. إسحاق، يعقوب: أمنا الأرض مريضة، دار أبي حسن، 1428هـ، مكان النشر غير مذكور.
4. إسحاق، يعقوب: إيهاب والإرهاب، دار أبي حسن، السعودية، 1430هـ، مكان النشر غير مذكور.
5. إسحاق، يعقوب: كلنا أطباء للأرض المريضة، دار أبي حسن، 1428هـ، مكان النشر غير مذكور.
6. أسدي، ميسون: أبي لم يمت، دار الهدى، الجزائر، 2017م.
7. براج، سمر محفوظ: البطاقة العجيبة، دار السلوى للدراسات والنشر، عمان، الأردن، 2014م.
8. براج، سمر محفوظ: الخط الأحمر، دار الساقى، لبنان، بيروت، 2014م.
9. براج، سمر محفوظ: أمي والتدخين، دار أصالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011م.
10. براج، سمر محفوظ: عندما مرضت صديقتي، يو كي برس للنشر، بيروت، لبنان، 2011م.
11. البيومي، بشرى محمد: رسالة من نور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011م.
12. جلال، محمد عثمان: العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ، الطبعة الأولى، مطبعة النيل، القاهرة، مصر، 1906م.

13. جمال، محمد عمرو: ديوان أحلى الأنغام، مؤسسة أحد للإنتاج الفني والتوزيع، الشارقة، الإمارات، 1995م.
14. جمعة، خالد: الخراف لا تأكل القطط، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، فلسطين، 2005م.
15. جوزيف، إلياس و ناصيف، جرجس: معجم عين الفعل، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1995م.
16. خطيب، عايدة: أحب أخي ولكن، مكتبة كل شيء، حيفا، إسرائيل، 2015م.
17. خطيب، عايدة: أشعار للأطفال، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2001م.
18. زكريا، محمد: مغني المطر، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، فلسطين، 2010م.
19. سبتي، لوركا: لي بدل البيت بيتان، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2017م.
20. سماح، إدريس: الملجأ، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2005م.
21. سويلم، أحمد: ديوان الطفل العربي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، (سنة الطباعة غير مذكورة).
22. الشاروني، يعقوب: أبناء في العاصفة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2012م.
23. الشاروني، يعقوب: أسرار بيت الطالبات، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2010م.
24. الشاروني، يعقوب: حكاية طارق مع علاء، سلسلة "مكتبتي"، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2002م.
25. الشاروني، يعقوب: معجزة في الصحراء، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2013م.
26. الشاروني، يعقوب: مغامرة زهرة مع الشجرة، الطبعة السادسة، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2012م.
27. شرف الدين، فاطمة: جدتي والقمر، دار كلمات للنشر، الشارقة، الإمارات، 2008م.
28. شرف الدين، فاطمة: حذاء العيد، دار كلمات للنشر، الشارقة، الإمارات، 2010م.

29. شرف الدين، فاطمة: رمضان في الإمارات، دار كلمات للنشر، الشارقة، الإمارات، 2015م.
30. شرف الدين، فاطمة: سمسّم في بطن ماما، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2015م.
31. شرف الدين، فاطمة: فاتن، دار كلمات للنشر، الشارقة، الإمارات، 2010م.
32. شرف الدين، فاطمة: في مدينتى حرب، الطبعة الثانية، دار أصالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2014م.
33. شرف الدين، فاطمة: لو كنت طائرا، دار كلمات للنشر، الشارقة، الإمارات، 2009م.
34. شرف الدين، فاطمة: هكذا أمو تحصل، دار الساقى للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013م.
35. شوقى، أحمد: الشوقيات، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 2011م.
36. عمرو، محمد جمال: ديوان نسيّات الطفولة، الهيئة العليا لثقافة الطفل العربى، أبو ظبى، الإمارات، 2001م.
37. عيسى، راشد: قصيدة "خير البشر"، هيا إلى العربية، الطبعة الأولى، دار المنهل، عمان، الأردن، 2000م.
38. عيسى، راشد: قصيدة "دعاء"، هيا إلى الإيمان، الطبعة الأولى، دار المنهل، عمان، الأردن، 2000م.
39. العيسى، سليمان: ديوان الأطفال، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1999م.
40. غندور، نهلة: هي هما هن، دار النشر - الخياط الصغير، بيروت، لبنان، 2010م.
41. الفيروزآبادى، مجد الين محمد: القاموس المحيط، ج 4، دار الجيل، بيروت، لبنان، (سنة الطباعة لم تذكر).
42. كيوان، سهيل: في بلدنا انتخابات، مؤسسة الأسوار، عكا، إسرائيل، 2017م.
43. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط 2، ج 2، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، (سنة الطباعة لم تذكر).

44. مجموعة مؤلفين: معجم اللغة العربية، ط 1، ج 6، دار المحيط، بيروت، لبنان، 1995م.
45. معدول، فاطمة: البنت مثل الولد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2009م.
46. نمر، سونيا: مختار أبو أذنين كبار، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، فلسطين، 2001م.
47. النومان، نورة أحمد: أجوان، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2016م.
48. الهراوي، محمد و التونسي، حلمي: أشعار وصور الحروف، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1992م.
49. الهراوي، محمد: سمير الأطفال، ج 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (سنة الطباعة لم تذكر).
50. يوسف، عبد التواب: حياة محمد في عشرين قصة، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2005م.

المجلات والجرائد العربية المطبوعة والإلكترونية

1. أبو فنه، محمود وعازم، أحمد: حوار مع عايدة خطيب حول تجربتها في مجال أدب الأطفال، مجلة المرايا، العدد الثاني، المعهد الأكاديمي العربي للتربية، كلية بيت برل، إسرائيل، سبتمبر، 2016م.
2. جمعة، مريم: "نورة النومان: رواية الخيال العلمي الإماراتية قادمة"، جريدة البيان العربية الإلكترونية، الإمارات، 3 مايو، 2018م.
<https://www.albayan.ae/five-senses/dialogue/2018-02-28->
[1.3198075](https://www.albayan.ae/five-senses/dialogue/2018-02-28-).
3. الحارثي، مشعل: الحوار مع بابا يعقوب، مجلة الإمامة الأسبوعية، المملكة السعودية، 28 يناير، 2012م.

4. *الديب، محمود: حوار مع الأديب عبد التواب يوسف، شبكة الألوكة الإلكترونية، 24 يونيو، 2012م.*

[\(https://www.alukah.net/literature language/0/42087/\)](https://www.alukah.net/literature_language/0/42087/)

5. *الشاروني، يعقوب: الكتابة للطفل: كتب الرواد لا تتاسب أطفال الكمبيوتر، جريدة التحرير الإلكترونية، 30 يناير، 2018م.*

[\(https://www.tahrirnews.com/Story/866705/\)](https://www.tahrirnews.com/Story/866705/)

6. *شرف الدين، فاطمة: المداعبة بشغاف أفئدة الأطفال الندي، جريدة إيلاف السعودية الإلكترونية، 21 نوفمبر، 2013م.*

[.\(https://elaph.com/Web/Culture/2013/11/849937.html\)](https://elaph.com/Web/Culture/2013/11/849937.html)

7. *علي، فاضل جمال: قصيدة "خدي كالورد"، مدونة حي بن يقظان الإلكترونية، 10 أكتوبر، 2011م.*

[.\(http://haybinyakzhan.blogspot.com/2011/10/blog-post_10.html\)](http://haybinyakzhan.blogspot.com/2011/10/blog-post_10.html)

المصادر الثانوية العربية

1. *إبراهيم، د. وفاء: الوعي الجمالي عند الطفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1997م.*

2. *إبراهيم، مديحة: مسرح الطفل في مصر والعالم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011م.*

3. *أبو الخير، محمد حامد: عبد التواب يوسف ومسرح الطفل العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1996م.*

4. *أبو الرضاء، الدكتور سعد: النص الأدبي للأطفال: أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005م.*

5. *أبو جعفر، الدكتور محمد عبد الله: علم النفس النمو، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية، وزارة التربية والتعليم، دولة ليبيا، 2015م.*

6. أبو هيف، دكتور عبد الله: التنمية الثقافية للطفل العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001م.
7. أبيض، الدكتورة ملكة: التربية في الوطن العربي: منظور قومي تاريخي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2012م.
8. إسماعيل، الدكتور محمود حسن: المرجع في أدب الأطفال، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2004م.
9. إسماعيل، محمد عماد الدين: الأطفال مرآة المجتمع، عالم المعرفة، الكويت، 1986م.
10. إسماعيل، محمد عماد الدين: الطفل من الحمل إلى الرشد، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1995م.
11. بريغش، محمد حسن: أدب الأطفال: أهدافه وسماته، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996م.
12. بشور، الدكتورة نجلاء نصير: أدب الأطفال العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2013م.
13. البقاعي، الدكتورة إيمان: المتقن في أدب الأطفال والشباب لطلاب التربية ودور المعلمين، ط 1، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، 2011م.
14. البقاعي، الدكتورة إيمان: قصة الأطفال والناشئة في لبنان (جدلية الشكل والمضمون)، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2012م.
15. البقاعي، الدكتورة إيمان: قصص الأطفال (ماهيتها، اختيارها، كيف نرويها)، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 2003م.
16. بكار، الدكتور عبد الكريم: مشكلات الأطفال: تشخيص وعلاج لأهم عشر مشكلات، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2010م.
17. البكري، الدكتور طارق: مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، رسالة الدكتوراه، جامعة الإمام الأوزاعي، بيروت، لبنان، 1999م.
18. بيكي، جيمس: مصر القديمة، ترجمة: محفوظ نجيب، مطبعة المحلة الجديدة، القاهرة، مصر. (سنة الطباعة غير مذكورة).

19. *الجبالي، حمزة: مشاكل الطفل والمراهق النفسية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م.*
20. *الجويني، مصطفى الصاوي: حول أدب الأطفال، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1986م.*
21. *حجازي، مصطفى: ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، 1990م.*
22. *الحديدي، الدكتور علي: في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، مصر، 1986م.*
23. *حسين، كمال الدين: مقدمة في ادب الطفل، مطبعة العمرانية للأوفست، الجيزة، مصر، 2002م.*
24. *حقي، ألفت: سيكولوجية الطفل (علم نفس الطفولة)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1996م.*
25. *حلاوة، محمد السيد: الأدب القصصي للطفل، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، 2000م.*
26. *حور، د. محمد إبراهيم: الطفل والتراث: مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم، الطبعة الأولى، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، 1993م.*
27. *الخطيب، محمد شحات: الطفولة في التنظيمات الدولية والإقليمية والمحلية، الطبعة الأولى، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2013م.*
28. *داود، دكتور أنس: أدب الأطفال في البدء كانت أنشودة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993م.*
29. *دكاك، الدكتورة أمل حمدي: القصة في مجلات الأطفال ودورها في تنشئة الأطفال اجتماعيا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2012م.*
30. *دياب، مفتاح محمد: مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، الطبعة الأولى، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995م.*
31. *الديك، نادي ساري: في أدب الأطفال دراسة نقدية تطبيقية من السومريين حتى القرن العشرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الأسوار، عكا، إسرائيل، 2001م.*

32. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1988م.
33. راشد، أنتيلة: الشعر في مجلات الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1988م.
34. راغب، الدكتور نبيل: فنون الأدب العالمي، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر، 1996م.
35. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج 7، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
36. الزغول، عماد عبد الرحيم: مبادئ علم النفس التربوي، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2012م.
37. زلط، أحمد: أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، الطبعة الأولى، دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، 1994م.
38. زلط، أحمد: أدب الطفل العربي: دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، الطبعة الأولى، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، 9 شارع ناصر الثورة، القاهرة، مصر، 1998م.
39. زلط، أحمد: أدب الطفولة "أصوله ومفاهيمه رؤى تراثية"، الطبعة الرابعة، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
40. زلط، أحمد: أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، دار المعارف، القاهرة، 1994م.
41. زلط، أحمد: أدب الطفولة: أصوله ومفاهيمه رواده، الطبعة الثانية، الشركة العربية للنشر والتوزيع، شارع جول جمال، الجيزة، مصر، 1994م.
42. زلط، أحمد: في أدب الطفل المعاصر: قضايا واتجاهاته ونقده، الطبعة الأولى، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005م.
43. زهران، الدكتور حامد عبد السلام: علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة، عالم الكتب، الطبعة الثامنة، القاهرة، مصر، 1986م.
44. الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ط 14، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2011م.

45. زيدان، محمد مصطفى: النمو النفسي للطفل والمراهق، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990م.
46. سعيد، الدكتورة نفوسة زكريا: خرافات لافونتين في الأدب العربي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر. (سنة الطباعة غير مذكورة).
47. سعيد، محمود شاكر: أساسيات في أدب الأطفال، الطبعة الأولى، دار المعراج، الرياض، السعودية، 1993م.
48. سلوت، نور السيد: مفاهيم القيم المتضمنة في الأناشيد المقدمة لطلبة المرحلة الأساسية الدنيا في مدارس فلسطين، رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2005م.
49. سويلم، أحمد: أطفالنا في عيون الشعراء، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988م.
50. الشاروني، هالة: سحر الحكاية في أدب يعقوب الشاروني القصصي، الطبعة الأولى، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2015م.
51. الشاروني، يعقوب: أدب الأطفال: علم وفن، معرض الشارقة للكتب، الإمارات، 2013م.
52. شبلول، أحمد فضل: أدب الأطفال في الوطن العربي: قضايا وآراء، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2000م.
53. شبلول، أحمد فضل: جماليات النص الشعري للأطفال، الطبعة الأولى، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996م.
54. شحاتة، د. حسن: مستقبل ثقافة الطفل العربي: رصيد الواقع ورؤى الغد، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2008م.
55. شحاتة، دكتور حسن: أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، الطبعة الثانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1994م.
56. شحاتة، حسن: قراءات الأطفال، الطبعة الخامسة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2001م.

57. شعراوي، عبد المعطي: المسرح المصري المعاصر: أصله وبداياته، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1986م.
58. شوقي، أحمد: مقدمة الشوقيات، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، 1898م.
59. الشوكاني، محمد بن علي: الدراري المضية، شرح الدرر البهية في المسائل الفقهية، ط 2، مؤسسة الريان، الكويت، 1996م.
60. الشيخ، غريد: كيف نحكي حكاية للأطفال، الطبعة الثانية، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2011م.
61. الصباحيين، الدكتور علي موسى و القضاة، الدكتور محمد فرحان: سلوك التتمر عند الأطفال والمراهقين: مفهومه أسبابه علاجه، الطبعة الأولى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2013م.
62. صبري، الدكتور محمد: الشوقيات المجهولة، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2003م.
63. صبري، ماهر إسماعيل: طفلك يسأل وأنت تجيب، أبناؤنا...سلسلة سفير التربوية، الكتاب السابع عشر، دار سفير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1995م.
64. عبد الدائم، عبد الله: التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان، 1984م.
65. عبد الفتاح، أبو معال: أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، دار الشروق، عمان، الأردن، 2000م.
66. عبد الفتاح، أبو معال: دراسات في أدب الأطفال وأغانيمهم، دار البشير، عمان، الأردن، (سنة الطباعة لم تذكر).
67. عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، الطبعة الأولى، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000م.
68. عبد الله، محمد حسن: قصص الأطفال (أصولها الفنية-روادها)، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992م.

69. *عبلة، مرجان: التربية الجنسية للأطفال حق لهم واجب علينا، جائزة خليفة التربوية، أبو ظبي، الإمارات، 2011م.*
70. *العناني، حنان عبد الحميد: الدراما والمسرح في تربية الطفل، ط 2، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015م.*
71. *عوض، الدكتور أحمد عبده: أدب الطفل العربي: رؤى جديدة وصيغ بديلة، دار الشامي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000م.*
72. *عوض، لويس: المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، الجزء الأول، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، مصر، 1962م.*
73. *الغامدي، نورة: قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، 2011م.*
74. *الفیصل، د. سمر روجي: أدب الرياض والأطفال والفتيان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2017م.*
75. *الفیصل، سمر روجي: أدب الأطفال وثقافتهم: قراءة نقدية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998م.*
76. *القائمي، الدكتور علي: تربية الطفل دينيا و أخلاقيا، الطبعة الأولى، مكتبة فخرآوي، المنامة، البحرين، 1995م.*
77. *القلمآوي، سهير: ألف ليلة وليلة، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1959م.*
78. *كنعان، الدكتور أحمد علي: أدب الأطفال والقيم التربوية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 199م.*
79. *الكيلاني، نجيب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م.*

80. لاين، فريش فون دير: الحكاية الخرافية: نشأتها مناهج دراستها فنياتها، ترجمة وتحقيق: إبراهيم، نبيلة واسماعيل، عز الدين، الطبعة الخامسة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1990م.
81. ليرر، ثيث: أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، ترجمة: د. ملكة أبيض، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2010م.
82. مجموعة من الكتاب: كامل كيلاني في مرآة التاريخ، مكتبة كيلاني، القاهرة، مصر، 1999م.
83. مجموعة مؤلفين: الطفل والمجتمع، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1993م.
84. مجموعة مؤلفين: المؤتمر الدولي حول الطفولة في الإسلام، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، 1990م.
85. مجموعة مؤلفين: دائرة المعارف العالمية، ج 15، نشر وترجمة: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1996م.
86. محفوظ، الدكتورة سهير أحمد: تبسيط أدب الكبار للأطفال: دراسة نظرية مع نماذج تحليلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1991م.
87. محمد، عواطف إبراهيم وقناوي، محمد هدى: الطفل العربي والمسرح، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1984م.
88. محمود، ياسر: تربية الطفل: فنون ومهارات من 6-9 سنوات، الطبعة الثانية، قطر الندى للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، 2004م.
89. مصطفى، خليفة حسين: ثقافة الطفل العربي: واقع وآفاق، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990م.
90. المطيري، حبيب بن معلا: مسرحية الطفل: دراسة نقدية، دار القمم للإعلام، الرياض، السعودية، 1426هـ.
91. مقدادي، د. موفق رياض: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، الكويت، 2012م.

92. المؤيد، سلوى يوسف: ابني لا يكفي أن أحبك: رحلة إلى قلب الطفل وعقله، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995م.
93. نجيب، أحمد: أدب الأطفال: علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1991م.
94. نجيب، أحمد: المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (سنة الطباعة لم تذكر).
95. الهابط، طلعت أبو اليزيد: أدب الطفل لماذا؟، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، 2006م.
96. هول، شارون كيه: تنشئة الأطفال في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: أحمد الشيهي، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2016م.
97. الهيتي، د. هادي نعمان: أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1986م.
98. يوسف، عبد التواب: الهراوي: رائد مسرح الطفل العربي، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، مصر، 1985م.

المجلات والجرائد العربية المطبوعة والإلكترونية

1. تلعب، الدكتور سلامة عبد المؤمن: علاقة التأثير والتأثر بين أدب الأطفال العربي وأدب الأطفال العالمي: دراسة في الأدب المقارن، منصة المنهل العربية العالمية، أدب الأطفال، العدد 10، فبراير 2015م.
2. جاد، حنان، بين الأدب وقلة الأدب: روايات اليافعين والقضية الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 108، 2016م.
3. جرابسي، حنان كركبي ويحي، رافع: التعامل مع الموت في قصص الأطفال، المجلة، العدد 4، مجمع اللغة العربية، حيفا، إسرائيل، 2013م.
4. حسانين، حمدي هاشم: أجنحة للأطفال، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 603، أغسطس - سبتمبر، الكويت، 2015م.

5. حميد، مئثر: أءب الأطفال العربى وءطوره، مجلة القسم العربى، العءء 22، ءامعة بنءاب، لاهور، باكسءان، 2015م.
6. ءرىس، سمىءة: نءءب للطفل وءأنه نءن، مجلة ءوءبة، العءء 32، صىف، المملكة السعوءىة العربىة، 2011م.
7. السماء، الءءءور إءرىس: السىاسة فى أءب الأطفال والناشئة العرب: عوء على بءء، افءءاىة مجلة الآءاب، بىروء، لبنان، نوءمبر 2016م.
8. الشارونى، يعقوب: مقارنة بىن أشهر روائىن للأطفال فى الأءبىن الإنءلىزى والأمرىكى: "ألىس فى بلاد العءائب" و "ساعر أوز العءىب"، مجلة الملقى، العءء السابع، أبرىل 2015م.
9. الشربى، الءءءورة سلام نءم الءىن: الءوار مع الءءءورة صباء عىسوى عن أءب الطفولة، موقع "لها أون لائن" الإلكءرونى، 19 فبرارى، 2007م.
(<http://um.lahaonline.com/articles/view/11773.htm>)
10. شهاب، رافء سالم: أءب الأطفال فى العالء العربى مفهومه نشأءه أنواعه وءطوره: ءراسة ءءلىلىة، مجلة ءءقنى، المءء 26، العءء 6، العراق، 2013م.
11. عبء المءبء، الءءءور زراقء: الواقىة الاءءماعىة فى قصص يعقوب الشارونى، مءونة ءى بن يقظان الإلكءرونىة، 3 ءىسمبر، 2017م.
(http://haybinyakzhan.blogspot.com/2017/12/blog-post_3.html)
12. العمرى، ءاوىء أءءر: أءب الطفولة: نشأءه وءطوره، مجلة الءراسات العربىة والفارسىة، ءامعة الله آباء، الءنء، ءولوى، 2016م.
13. العمرى، عبء الءفىظ: أءب الءىال العلمى: ءعرىفه وسماءه، موقع منءمة المءءمع العلمى العربى، 12 فبرارى، 2015م. (<http://arsco.org/article-detail-528-8-0>)
14. عوءة، نبىل: ءمال عالم الطفولة بءءربة الأءبىة عابءة الءطىب، مجلة الءوار المءءن الإلكءرونىة، العءء 5059، بىناىر 2016م.
(<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=502763&r=0>)
15. عىساوى، سهىل إبراهىم: الموء فى قصص الأطفال، منبر ءىوان العرب الإلكءرونى، 3 أءءوبر، 2012م.
(<https://www.diwanalarab.com/spip.php?article47988>)

16. عيساوي، سهيل إبراهيم: قراءة في قصة "في بلدنا انتخابات" للأديب سهيل كيوان، مجلة صوت العروبة الإلكترونية، 6 أغسطس، 2018م.
(<https://arabvoice.com/85952/>).
17. كريدية، شيرين: سوق كتاب الطفل العربي في ظل المتغيرات الحاصلة، مجلة الملتقى العربي، العدد السادس، نوفمبر، الشارقة، الإمارات، 2014م.
18. كنعان، الدكتور أحمد علي: أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول والثاني، 2011م.
19. الكوفحي، إبراهيم: شعر محمد جمال عمرو للأطفال: دراسة مضمونية وفنية، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 38، العدد 2، عمان، الأردن، 2011م.
20. كويلي، ماريا لينكس: انعطافة كبرى في الروايات الموجهة للناشئ العربي، موقع قنطرة الإلكتروني، 2017م. (<https://ar.qantara.de/content/>).
21. اللواتي، فاطمة أنور: الانفصال بين الزوجين في أدب الأطفال، جريدة السفير العربي، 19 فبراير، عام 2018م.
(<http://assafirarabi.com/ar/19036/2018/02/19/>).
22. مرسي، الدكتور محمد: دراسة التحرش الجنسي بالأطفال، مجلة المنال الإلكترونية، مارس، 2012م. (<https://almanalmagazine.com/>).
23. مقدادي، موفق رياض: أدب الأطفال العربي: واقع وتحديات، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، العدد 1، عمان، الأردن، 2014م.
24. المناني، د. تاج الدين: كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربي، الجزء الأول، قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا، الهند، 2016م.
25. المناني، د. تاج الدين: كتاب المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية، الجزء الثاني، قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا، الهند، 2016م.
26. الهيتي، الدكتور هادي نعمان: ثقافة الأطفال، مجلة عالم المعرفة، آذار، العدد 123، الكويت، عام 1988م.
27. يوسف، عبد التواب: كتب الأطفال المتميزة: المرسومة والمصورة، مجلة الفيصل، العدد 247، مايو/يونيو، المملكة السعودية العربية، 1997م.

المصادر الرئيسية الانجليزية

1. *Andreae, Giles: There's a house inside my Mummy*, A. Whitman Publishing, Georgia, 2002.
2. *Baum, L. Frank: The wonderful wizard of Oz*, George M Hill Company, USA, 1900.
3. *Brown, Margret Wise: The Dead Bird*, Harper Collins, New York, USA, 2016.
4. *Brown, Mark and Brown, Laurie: Dinosaurs Divorce: A guide for changing family*, Atlantic Monthly Press, New York, 1986.
5. *Carroll, Lewis: Alice's Adventures in wonderland*, Macmillan, UK, 1865.
6. *Federico, Julie K: Some parts are not for sharing*, Tate Publishing, London, 2008.
7. *Girard, Linda Walvoord: My body is private*, Albert Whitman & company, USA, 1984.
8. *Hubbard, Rebecca: Kindness in a scary world*, Titledown publishing, USA, 2017.
9. *Janeway, James: A token for children*, Worcester, Massachusetts, USA, 1795.
10. *Masurel, Claire: Two Homes*, Walker publisher, London, 2001.
11. *McBrier, Page: Beatrice's goat*, Aladdin paperbacks, New York, 2001.
12. *Thomas, Pat: I miss you: A first look at Death*, Hodder Wayland, California, USA, 2000.

13. *Thomas, Pat*: My family is changing, Hachette Children's group, London, 2014.
14. *Zelinger, Laurie*: Please explain terrorism to me, loving healing press, London, 2016.

المصادر الثانوية الإنجليزية

1. *Abu Nasr, Julinda*: Girls: A Minority in Children's literature, 32nd International Congress of International Board on Books for Young People, Santiago de Compostela, Spain, 8–12 September 2010.
2. *Alqudsi, Taghreed*: The history of published Arabic children's literature as reflected in the collections of three publishers in Egypt, 1912–1986, University of Texas, Austin, USA, 1988.
3. *Anati, Nasreen*: The influence of the Arab spring on Arabic Young Adult Literature, Children's literature in Education: An International Quarterly, July 2017, (<https://doi.org/10.1007/s10583-017-9326-6>).
4. *Cedernil, Valentina*: A Magic Carpet Trip to the Children's Books of the Middle East (Discovering the voice of Arabic Children's Books of today), Bachelor Research, Department of Arabic Language and Literature, University of Gothenburg, Sweden, Academic Year 2011.
5. *Cullinan, Bernice E*: Reality Reflected in Children's Literature, Elementary English, Vol. 51, No. 3, March 1974.
6. *Dunges, Petra*: Arabic Children's Literature Today: Determining factors and tendencies, PMLA Journal, Vol. 126, No. 1, January, 2011.

7. *Elleman, Barbara*: Current Trends in Literature for Children, American Library Association, Chicago, USA, 1987.
8. *Gibson, Lois Rauch and Zaidman, Laura M*: Death in Children's Literature: Taboo or Not Taboo? Children's Literature Association Quarterly, Vol. 16, No. 4, 1991.
9. *Granahan, Shirley*: John Newbery: Father of Children's Literature, Essential Library, New York, 2009.
10. *Hallowell, Lillian*: A book of Children's Literature, New York, 1966.
11. *Hunt, Peter*: International Companion Encyclopedia of Children's Literature, Volume I, 2nd Edition, Routledge Publisher, London, 2004.
12. *Kiefer, Barbara and Tyson, Cynthia*: Charlotte Huck's Children's Literature: A Brief Guide, 3rd edition, McGraw-Hill Education, New York, USA, 2018.
13. *L. Anderson, Nancy*: Elementary Children's Literature: Infancy through age 13, 2nd Edition, Pearson, London, UK, 2005.
14. *Mier, Margret*: The new realism in children' literature, English Quarterly, V17, N1, September, 1985.
15. *Moss, Judith P*: Death in Children's Literature, Elementary English, Vol.49, No. 4, pp530-532, 1972.
16. *O' Malley, Andrew*: The making of modern child: Children's Literature and childhood in the late eighteenth century, Routledge, New York, 2003.

17. *Rodgers, Yana V and Wheeler, Ronald C: Teaching economics through children's literature in the primary grades, the reading teacher, Vol. 61, No. 1, September 2007.*
18. *Russell, David L: Literature for children: A short Introduction, 9th Edition, Pearson, New York, USA, 2015.*
19. *Sala, Rosa Tabernero and Valios, Virginia Calvo: Children's Literature and Taboo topics: Approaches to Kitty Krowther's Work, International Journal of Language and Literature, Vol. No. 5, pp. 121–131, December 2017.*
20. *Sharma, Ram Nath and Sharma Rachana: Child Psychology, Atlantic Publishers and Distributors, New Delhi, India, 2006.*
21. *Sherwood, Mary: The history of Fairchild family, J. Hatchard, London, 1818.*
22. *Standard, David E: Death and Puritan Child, American Quarterly, Vol. 26, No. 5, 1974.*
23. *Wells, April Dawn: Themes found in young adult literature: A comparative study between 1980 and 2000, a master's paper, North Carolina University, USA, April 2003.*

محتويات

9 -1

مقدمة

الباب الأول

أدب الأطفال العربي: النشأة والتطور، الأهمية، الغاية والخاصية، ومراحل نمو الطفل
المختلفة وخصائصها

(10 - 54)

- 11 الفصل الأول: نشأة أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي
28 الفصل الثاني: أدب الأطفال العربي: أهميته، أهدافه، غايته وخصائصه
44 الفصل الثالث: مراحل نمو الطفل المختلفة وخصائصها

الباب الثاني

الباب الثاني: أدب الأطفال العربي: أشكاله وأعلامه وموضوعاته في كتاباتهم

(55 - 114)

- 56 الفصل الأول: أدب الأطفال العربي وأشكاله المختلفة
71 الفصل الثاني: الأعلام الكلاسيكيون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال
92 الفصل الثالث: الأعلام المعاصرون والموضوعات العامة في كتاباتهم للأطفال

الباب الثالث

أدب الأطفال الغربي وأثره في أدب الأطفال العربي

(115- 184)

- 116 الفصل الأول: نظرة عابرة على أدب الأطفال الغربي
132 الفصل الثاني: الموضوعات في أدب الأطفال الغربي
169 الفصل الثالث: أدب الأطفال الغربي وأثره في أدب الأطفال العربي

الباب الرابع

دراسة تحليلية انتقائية لموضوعات معاصرة في أدب الأطفال العربي

(185- 264)

- 186 الفصل الأول: موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في النثر
213 الفصل الثاني: موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي في الشعر
234 الفصل الثالث: تحليل موضوعات معاصرة لأدب الأطفال العربي من النثر والشعر
265 خاتمة
272 قائمة المصادر الرئيسية والثانوية

Contemporary Themes of Children's Literature in Arabic: An Analytical Select Study

Thesis Submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfilment of the requirements
for the award of the degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

Submitted by

GHULAM NABI

Under the Supervision of

Dr. Md. Qutbuddin



Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi- 110067

2019